

تأليف

بكر عبد الحافظ الخليفات

تقديم

سماحة الدكتور هاني خليل عابد
مفتي محافظة البلقاء - الأردن



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

الكتاب : الجنّة في القرآن الكريم

Title : Paradise in the Holy Qur'an
Al Janna fi al- Qur'ân al-Karîm

التصنيف : دراسات قرآنية

Classification: Quoranic studies

المؤلف : بكر عبد الحافظ الخليفات

Author : Bakr Abdul Hafiz al-Khlayfat

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة - بيـــروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	448	عدد الصفحات
Size	17*24 cm	قياس الصفحات
Year	2012 A.D. -1433 H.	سنة الطباعة
Printed in : Lebanon		بلد الطباعة : لبنـــان
Edition : 1st		الطبعة : الأولى

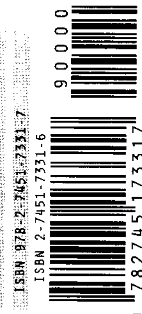
المملكـــة الأردنيـــة الهاشمـــية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٤/١٦٠٤)

٢٤٤،٨
الخليفات، بكر عبد الحافظ عبد الوالي
الجنة في القرآن الكريم/ بكر عبد الحافظ عبد الوالي الخليفات- عمان .- المؤلف، ٢٠١١
(٤٤٨) ص.
ر.إ.: ٢٠١١/٤/١٦٠٤.
الواصفات :الجنة// القرآن الكريم /
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN 978-2-7451-7331-7
ISBN 2-7451-7331-6

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

آل عمران: الآية: ١٣٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

سورة التحريم: الآية: ٨.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾

سورة الإنسان: الآيات ١١-٢٢.



عـن أبـي هُرَيْـرَةَ رضـي الله عـنه قـال: قـال رسـول اللهِ ﷺ : «قـال الله تعالـى أَعْـدَدْتُ لِعِـبَادِي الـصَّالِحِينَ مـا لَا عَـيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَـمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقرؤوا إن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ».

(صحيح البخاري: ح ٣٠٧٢. صحيح مسلم: ح ٢٨٢٤).

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ: «أَلا هَلْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَـةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَـةٌ كَثِيـرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَـةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَـلِيمَةٍ بَهِـيَّةٍ قَالُـوا نَحْـنُ الْمُـشَمِّرُونَ لَهَـا يَـا رَسُـولَ اللهِ قَـالَ قُولُـوا إِنْ شَاءَ اللهُ».

(صحيح ابن حبان، باب وصف الجنة وأهلها: ح ٧٣٨١/ ج ١٦/ص ٣٨٩).

الإهداء

إلى من كانا سببا في وجودي في هذه الحياة ووجدت فيهما العطف والحنان.. أبي وأمي العزيزين.

وإلى شريكة حياتي ورفيقة دربي، وإلى سر سعادتي وفرحي.. زوجتي الحبيبة وابنتي الغالية.





تقديم

سماحة الدكتور هاني خليل عابد

مفتي محافظة البلقاء / الأردن

لقد أسعدني أن أطلع على هذا الكتاب للأستاذ بكر خليفات الذي أسهب فيه في الحديث حول موضوع محبب للنفوس محل وهدف دعاء الراجين من الله عز وجل ألا وهو موضوع الجنة. جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لرجل: "ما تقول في الصلاة " فقال: أتشهّد ثم أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أنا والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ: "حولها ندندن " رواه أبو داود: باب في تخفيف الصلاة، حديث رقم: ٧٩٢. وأورده ابن حبان في صحيحه، واللفظ له، حديث رقم: ٨٦٩. فالحديث عن الجنة محبب للنفوس والعقول، ورأيت في بحث الكاتب وما جمعه من مادة عظيمة حول مسألة الجنة حيث يسجل له:

١. جمعه للآيات الوارد فيها موضوع الجنة ووصفها بين يدي القارئ ليخرج بتصور أكثر شمولية وأدق استيعاباً لموضوع الجنة وما اشتملت عليه من محاسن في دار اللذة التي يكرم الله عز وجل بها عباده الصادقين.

٢. يضاف إلى ذلك استعراض السور القرآنية بشكل مرتب ابتداءً من سورة البقرة وحتى السور الأخيرة من جزء ﴿ عَمَّ ﴾ من أجل الوقوف مع اللوحات الجمالية التي تقرع السمع بما يشتهيه، والخيال بالمتع التي تريح النفس.

٣. ومن محاسن هذا الكتاب أنه لم يقتصر على الآيات القرآنية بل وقف

أيضاً مفسراً للقرآن بما ورد في السنة النبوية حول موضوع الجنة وما فيهما من نعيم أشارت الأحاديث النبوية إليه، وذكرته ودعت إلى الإيمان به.

٤. وكذلك فإن الكاتب رجع إلى مراجع متعددة في التفسير كابن كثير والآلوسي وغيرهما الذين فسروا الآيات القرآنية المتعلقة بالجنة وفق التصور الشرعي عن الجنة وهي أنها دار خلقها الله عز وجل لسعادة عباده الصالحين، وأن الصالح عندما يدخلها يجد فيها كل سعادة وكل كمال وأنه لا يرى فيها بؤساً ولا شقاء ولا موتاً ولا مرضاً ولا ألماً.

فأقول جزى الله الكاتب خير جزاء على عمله هذا الذي يحبب الناس في الاستعداد لليوم الآخر ورؤية الجنة ودخولها وذلك من خلال الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ولعل سائلاً يسأل: لماذا كثر في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة الحديث عن الجنة وما فيها من اللذائذ في ميزان المطعومات والمشروبات والملبوسات وغيرها..؟

والجواب عن ذلك:

١. أن الله عز وجل عندما يخبرنا عن شراب أهل الجنة وأنواعه، وكذا أنواع لباس أهل الجنة وغير ذلك من اللذائذ، فذلك حتى نؤمن بهذه المفردات، لأن الأجر على قدر الإيمان، فكلما كثرت مفردات الإيمان التي نؤمن بها، كلما أزداد أجرنا وثوابنا.

٢. لبيان أن الجنة دار حسّية وليست معنوية مثلما يحاول دعاة الباطنية أن يروجوا له بأن الجنة دار نعيم معنوي: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف: آية: ٥.

فكل هذا الكم الهائل من الحديث عن آيات الجنة وأحاديث الجنة ما كان حديثاً يفترى ولبيان أن الجنة حق قال رسول الله ﷺ: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أبواب

الجنة الثمانية شاء". رواه مسلم / ١٤٩ (كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان).

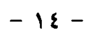
٣. إن الوصف الهندسي الوارد في القرآن الكريم حول موضوع الجنة وما فيها من أنهار وحدائق وملبوسات ومشروبات يرتقي بالذهن البشري والخيال الإنساني للإبداع في مجال البناء والعمارة وهندسة المدن والحدائق العامة، فلقد انتفع المسلمون من فلسفة الآيات القرآنية التصويرية حيال موضوع الجنة فاهتموا بالحدائق العامة والأشجار الخلابة والمياه المتدفقة وجماليات الحضارة الإسلامية في فن العمارة وفن الحدائق الذي ما زال مبثوثاً في العالم إلى اليوم، ومحل اعجاب السائحين وبحث المتخصصين.

٤. ولعل أهم دروس الحديث القرآني عن الجنة هو الشوق لدار السلام ولدار الخلود وتحويل هذا الشوق واستثماره في برامج يتجه فيها العقل والوجدان عند المسلم للعمل الصالح، وعمارة الكون بما يرضي رب العالمين.

أشكر للكاتب سعيه لإخراج هذا العمل العظيم سائلاً المولى لي وله ولعموم المسلمين الصادقين دخول الجنة أجمعين.

١٢/ ربيع ثاني / ١٤٣٢ هـ مفتي محافظة البلقاء

١٧ / ٣ / ٢٠١١ م د. هاني خليل عابد





المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه المقربين وأتباعه الطائعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله بما يوازي نعمه ورضاه، وبما يكافئ ثوابه وعطاؤه.. ثواب وعطاء العيون الباكية من خشيته، والنفوس المجاهدة في سبيله، والقلوب المستقيمة الطائعة المطمئنة، والحمد لله في الأولى والآخرة، وكما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه ونور وجهه الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

وبعد:

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق جنته إلا لتكون لعباده المؤمنين، وجعل من الحياة الدنيا الطريق والجسر الوحيد المؤدي إلى هذه الجنة، ثم أوجد في هذه الدنيا من الطرق الكثيرة، منها ما يؤدي إليها، ومنها ما يقود إلى النار، ثم أرسل النبيين والمرسلين ليبينوا للناس معالم الفلاح والنجاح والنجاة من النار والفوز بهذه الجنة من خلال نور هديه وهداه الذي يفرق بين الحق والباطل، ويبين طرق الخير والخيرات، ويفصلها عن طرق الشر والمهلكات.

ولما كانت طريق الجنة قد حفها الله تعالى بالمكاره، وطريق النار بالشهوات فقد جاءت مشيئة الله تعالى لتحفيز عباده على بيان بعض ما أعده لهم من نعيم جناته، فكان أن ذكر هذه الجنة في العديد من آيات سور القرآن الكريم، ووصف بعض ما فيها من متعة واستمتاع ورغد وطيب عيش، وعجّل لأوليائه وأهل طاعته من نفحات نعيمه وروح جنته ما يجدونه ويشهدونه في حياتهم الدنيا من شعورهم بالرضا وحلاوة الإيمان

وطيب العيش بما قسم الله لهم وقضى، حتى إن أحدهم قال:

إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه فإنهم في طيب عيش.

وقال آخر: أهل الليل في ليلهم، ألذ من أهل اللهو في لهوهم.

ولما كان الرضا ورغد العيش وخير اللهو هي ما في الآخرة، وأن هذه الدنيا زائلة، وأن الجنة هي المستقر والمقام. فقد ارتأيت أن أجمع آيات الجنة من سور القرآن الكريم ضمن كتاب مع بيان مفهوم وتفسير هذه الآيات وشرح بعض معانيها بما فيه من الخير والفائدة لكل من أراد الفلاح والنجاة من النار والفوز بجنات الآخرة.

وقد اعتمدت في بيان مفهوم وتفسير هذه الآيات على سلسلة من المراجع والتفاسير لبعض علماء هذه الأمة، مع بعض الزيادة التوضيحية عليها بما يتلاءم مع موضوع الكتاب، معتمدا على الله تعالى بما فيه من الهدى الذي إن وصلت فيه إلى المعنى المراد والصحيح بأن يكون لي من الأجر عنده ما فيه من الخير، وفيما لو أصبت فأكون من أولئك الضعفاء الذين وضع الله تعالى فيهم سره، والمغفرة منه إن أخطأت معتمدا على كرمه وعفوه، فأقول ما قاله الفاروق عمر رضي الله عنه: "أصابت المرأة وأخطأ عمر".

ثم اتبعت في شرح هذه الآيات أسلوب وطريقة القرآن الكريم الفنية في تصويره وعرضه للقصص القرآنية للأمم السابقة، من حيث التركيز في كل مرة على معنى محدد من القصة بما يلائم طبيعة الأحداث، ويواكب المعنى المراد من إيصاله في كل مرة ترد فيه نفس القصة في أي سورة من سور القرآن الكريم، وحتى إذا ما جئنا على جميع هذه السور وجدنا أن هذه القصة وجميع معانيها قد اكتملت.

وقد يلحظ القارئ تكراراً لبعض الأحاديث الشريفة أو لبعض المعاني والشروح في قوالب شتى، وأساليب متنوعة، وهذا الصنيع مقصود ومتعمد كي يصل ويثبت المعنى والهدف المراد بأكثر من طرح فترسخ الغاية من المعلومة بغزارة النقل، ومن يتدبر ويعلم القرآن الكريم يعلم ذلك، بالإضافة لما تحويه آيات الذكر

الحكيم والأحاديث الشريفة من تعاليم وأحكام عديدة صالحة لمواضيع شتى في كل زمان ومكان.

ومن هنا حاولت أن أركز في تفسير وشرح آيات الجنة في القرآن الكريم في كل مرة على أن أبرز معنى محدداً، أو أكثر من معنى كي نصل بذلك إلى ما فيه من دقة الوصف لهذه الجنة، أو الوصول إلى معرفة السبل المؤدية إليها والفوز بها والتي هي من أصل رحمة الله تعالى، من أجل بث روح التنافس في نفوس من أراد نيل هذه الجنة وما فيها من نعيم.

وبما أن هذه الجنة هي الهدف والمراد ومحل تنافس عباد الله الأبرار فقد آثرت عدم الإكثار من ذكر المراجع والإشارات الدالة عليها في الحواشي كي لا يحصل تشويش على القارئ بحيث تكون قراءته مستمرة وفكره متصلاً فيصل إلى الاستفادة القصوى والمرجوة من الكتاب والذي هو أصلاً غير مختص في التفسير أو بالأحكام الشرعية والقضايا الفقهية التي تقوم عليها حقوق العباد وتتطلب التثبيت والتوثيق الدقيق المباشر لها بالإضافة إلى أننا كنا نتناول معنى محدداً أو أكثر من معنى من الآية الكريمة الوارد فيها ذكر الجنة، وعليه فإن هذا الكتاب إنما هو كتاب يعنى بوصف الجنة وفضائل الأعمال التي تقود إليها بقدر معين. ومن أراد المزيد فليستزد من تلك المراجع والتفاسير.

وأخيراً.. فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم يد العون والمساعدة في انجاز هذا الكتاب ليخرج على هذه الصورة.

راجيا من الله أن ينتفع بهذا الكتاب أمة المسلمين، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن لا يحرمني ولا يحرم أمة المسلمين من التمتع بما تضمن ذكره من لذات النعيم المقيم من جنات النعيم.

قال تعالى ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سورة البقرة: آية: ١٢٧.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ما ورد في وصف الجنة من القرآن الكريم والأحاديث

وصف الجنة
من القرآن الكريم والأحاديث



قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ سورة محمد: الآية: ٢٤.

وقفت عند هذه الآية الكريمة متدبراً ومتأملاً بمكنون آيات القرآن الكريم وأخباره وإعجازه ووصفه لكثير من مخلوقات الله تعالى الحاضرة والغيبية، وما هو معروف لدينا أو أصبح معروفاً بعد أن غاب عمن قبلنا وتصور ما غاب بعض كنهه عنا، وتخيل ما سيكشف لمن بعدنا من أسرار هذا الكون بعد أن يدرك العلم أسراره ومكنوناته وإشاراته فيكشف الستار عن مدلولات هذه الآيات لتصبح واضحة وجلية لا يختلف عليها اثنان، عندها نقول إن هذه الاكتشافات قد أخبرنا الله بها في القرآن الكريم الذي أنزله تعالى على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد ﷺ قبل ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة.

فالقرآن الكريم هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله تعالى على سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، أنزله بالحق بشيراً ونذيراً، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان هذا الكتاب - كتاب الله - الذي حفظه وتعهد بحفظه رحمة للعالمين ليكون المنارة التي يهتدي بها العباد على مر السنين وتعاقب الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فعليها.

ومن هذا المعنى انبثقت طائفتان من العباد هما المؤمنون والكافرون، ولكل منهما مسار يختلف عن الآخر من حيث المحطات التي يقف عندها في رحلته التي

لا بد لها من النهاية سواء طالت أم قصرت. وقد تكون هذه الاختلافات جوهرية أو جزئية أو سطحية ومنها ما يصل حد الشجار والقتال. لأنها اختلافات كفر وإيمان يتعين عندها دفع الله الناس بعضهم ببعض لتكتمل مشيئته سبحانه وتعالى. ومن هنا أعد الله تعالى لكل طائفة ما يليق بها من استقبال، فكان موعد المؤمنين الجنة، وموعد الكافرين النار. لا يستويان، أصحاب الجنة هم الفائزون، فما هي هذه الجنة التي فاز بها المؤمنون والتي استحقوها رحمة من الله وبما كانوا يعملون.

إن الله تعالى ذكر الجنة أو أحد أسمائها ووصفها ووصف أصحابها في العديد من آيات القرآن الكريم، وجاء هذا الوصف ملامساً لحدود وقدرة العقل البشري كي يتصور ويدرك بعضا من حجم ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من أجر يوم الآخرة حتى تكون هذه الصور الزاد الذي يتزود به المؤمن للوصول إلى هذه الجنة.

وأن هذه الحياة ما هي إلا إلى زوال، وأن الآخرة خير وأبقى، وان صاحب اللب هو من يدرك هذه الحقيقة فيعمل جاهداً للفوز بهذا النعيم، وان أتعس وأشقى الناس من يظنون أن هذه الدنيا قرارهم ودارهم ومبتغى أمانيهم، فيعطيهم الله منها وما لهم في الآخرة من خلاق. لذا فإنه لا بد لكل من ورد الحياة الدنيا أن يتنبه إلى حقيقة اتصال هذه الحياة بالحياة الآخرة، وأنه لا بد له من أن يسلك دروبها حتى يصل به المطاف إلى الجسر المؤدي إلى الآخرة، وهو جسر الموت الذي ينتقل فيه الإنسان من عالم الفناء إلى عالم البقاء، وإن المؤمن ليجد في هذه النقلة خطوة من ضيق الأرض إلى سعة الجنة وما فيها من نعيم دائم لا يقل ولا ينضب.

وبعد الذي ذكر، فلنتعرف معا على هذه الجنة.

تعريف الجنة

الجنة في اللغة: هي الحديقة ذات النخل والشجر الكثيف المتشابك أو البستان المثمر المحتوي على شتى أنواع الفاكهة، وجمعها جنان أو جنات. وقيل: الجنة: كل بستان يستر بأشجاره الأرض، وقد تسمى الأشجار الساترة جنة. وهي في كلام العرب لا تكون جنة إلا وفيها نخل وعنب وإلا فهي حديقة. (انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص٩٦. لسان العرب: ٩٩/١٣. مختار الصحاح: ٤٨/١.

القاموس المحيط: ٤/٢١٢ - ٢١٣. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٢٥).. قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ سورة الحشر: الآية: ٢٠.

أما في الاصطلاح: فهي المكان الذي أعده الله تعالى لعباده الصالحين يوم الآخر، وهي دار الثواب والدار الجامعة لكل نعيم وهي في علم الغيبيات والإيمان بها مرتبط بالإيمان بالله وباليوم الآخر، وقد جاء الإيمان بها أيضاً لتكون صفة يختص بها المتقون المقيمون للصلاة المنفقون مما أعطاهم الله. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٣.

وإن الله تعالى أسماها الجنة وخصها بتلك المفردة، تقريباً لمفهومها لدى العرب بداية في الجزيرة العربية ذات المناخ الحار والجاف، فعندما كانوا يذهبون إلى بلاد الشام في رحلة الصيف وهي بلاد الخضرة كانوا يستمتعون بجمالها وطبيعتها الفاتنة المحببة لقلوبهم، فكانت الجنة وهي الشجر الكثيف المتشابك أقرب باباً لقلوبهم وأوسع نافذة لعقولهم ليدركوا حصاد الإيمان بالله وحده لا شريك له.

وأن تلك الجنة التي خلقها الله تعالى ثواباً منه لعباده الصالحين وزينها ورفعها وجعلها غاية الصالحين تستوجب العمل والعبادة والمثابرة لنيل رضاه عز وجل، فكان لا بد من الابتلاء والتحلي بالصبر لدخولها، لأنها ستكون المأوى الدائم لمن يستحقونها، وثمرة حصاد إيمانهم.

كيفية الوصول إلى الجنة

إن الوصول إلى الجنة يتطلب بذل الجهد والعمل بمنهج الله الذي خطه للناس من حيث التعاليم المنزلة، واتباع سنة نبيه، ومن ثم الدعاء للوصول إلى الهدي الذي يهدي إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، صراط الحق من الله على من أنعم الله عليهم، غير صراط من ظنوا أنهم على الصراط المستقيم من المغضوب عليهم والضالين. قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ

ﭐلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾. سورة الفاتحة: **الآيتان ٦-٧.**

فهذه هي الحقيقة التي جاءت بها هذه الرسالة، قائمة كحد السيف لا التواء فيها ولا ميل، الحق فيها واضح ولا غموض فيه ولا التباس، لذا جاءت جميع مفرداتها متناغمة ومتفاعلة مع الفطرة الإنسانية التي أودعها الله تعالى في النفس البشرية لتهتدي بها وتصل من خلالها إلى النجاة والفوز بما أعده الله تعالى لها من نعيم دائم غير مقطوع ولا ممنوع، فجاءت الآيات القرآنية لترغّب وتحبب وتقرب هذه النفس كي تصل وتفوز وتتنافس فيما بينها كي ترقى إلى درجات العلا في **الجنة.**

وكما أن للكفر درجات فإن للإيمان درجات، وأن لكل درجة منزلة ووصفاً يليق بها ويميزها عن سواها مما يزيد حدة التنافس الخيّر بين المؤمنين. لذا كان لا بد هنا من بيان ما هي هذه الجنة وما وصفت به، وما وصف حال أصحابها المتنعمين بنعيمها، المخلدين بخلودها، وبحسب ما جاءت به الآيات القرآنية، كي تكون الناقوس الذي يدق كلما خبأت النفس البشرية بما يواجهها من مشاق ومصاعب الحياة من فقر وحزن ومرض وخوف وابتلاء، فيدق الناقوس ليذكر النفس بهذه الجنة.

أسماء الجنة في القرآن الكريم

ورد ذكر الجنة في القرآن الكريم بأسماء وصفات عديدة تدل عليها، كما بين ابن القيم: إن للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتابه، وأسماء رسله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء النار. (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، قدم له وأشرف على تصحيحه علي السيد صبح المدني. ص٧).

ومن هذا السياق نخلص إلى أن الصفة تدل على الشيء نفسه وهو الموصوف، وأن كثيرا ما تستخدم الصفة للأشياء زيادة في الدقة أو الحصر أو

التخصيص أو التعريف للموصوف، فيعرف بها.

وقد أحصى ابن عباس وقسم الجنة إلى سبع جنان أو جنات هي:

- جنة الفردوس.
- عدن.
- جنة النعيم.
- جنة المأوى.
- دار الخلد.
- دار السلام.
- عليين. (معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٩٦).

بينما ذهب بعض المفسرين إلى أن للجنة اثني عشر اسماً وكما أحصاها ابن القيم وهي:

- الجنة.
- دار السلام.
- دار الخلد.
- دار المقامة.
- جنة المأوى.
- جنات عدن.
- دار الحيوان.
- الفردوس.
- جنات النعيم.
- المقام الأمين.
- مقعد صدق.
- قدم صدق. (حادي الأرواح: ص ٧١ - ٧٢).

ومنهم من قال إن هناك أكثر من جنة وعددها أربع هي:

- عدن - النعيم.

- الفردوس - المأوى. (وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٢٩).

وأن باقي الجنان هي صفات لهذه الجنات.

والراجح عندي أن الجنة هي واحدة فقط وكما أوردها ابن القيم، - وأن الله تعالى واحد مع تعدد أسمائه وصفاته، والنار واحدة مع تعدد دركاتها وصفاتها وأسمائها - وأن بقية الأسماء ما هي إلا صفات ودرجات تخص كل درجة من درجات الإيمان عند المؤمنين، وهي مقسمة إلى حدود ومنازل معينة وبصفة معينة، وكل منزلة ودرجة منها تعد جنة، ومثال ذلك أن نذكر أن بلداً معيناً هو جنة لكثرة ما فيه من خضرة، ومناظر جميلة وزاهية في عدة مناطق، وكما أن الشخص الواحد يمكن أن يمتلك في هذا البلد أكثر من مكان وحسب إمكانياته المادية، فإن المؤمن يمكن أن يمتلك أكثر من جنة في الجنة الواحدة وحسب درجة وصفة إيمانه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾: سورة الرحمن: الآية: ٤٦.

ولمن هم أقل درجة منهم، قال تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ سورة الرحمن: الآية: ٦٢.

وقد أورد الله تعالى لفظ الجنة في القرآن الكريم بصيغة الإفراد مع التعريف والتجريد من الوصف والإضافة في أربع وأربعين آية في خمس وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وهي أكثر الأسماء ذكراً مما يدل على أن الجنة هي واحدة وأن باقي الجنان ما هي إلا درجات ومنازل وصفات لمراتبها مع جواز ذكر لفظ الجنة مفرداً أو بصيغة الجمع مع إضافة الدرجة، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ سورة الكهف: الآية: ١٠٧.

فالفردوس مثلا هي مكانة ومنزلة عليا في الجنة تسمو وتعلو إلى مرتبة أن يطلق عليها لفظ جنة بشكل مستقل مع أنها مرتبة ودرجة من درجات الجنة الأم، وهكذا سائر الجنات، وكما يظهر في هذا الحديث الشريف:

«عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: "**في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس**". (سنن الترمذي: ح ٢٥٣١/ ج ٤/ ص٦٥٧).

وقد ورد الحديث عن الجنة مع أوصافها في القرآن الكريم في سور عديدة بلغت اثنتين وسبعين سورة من أصل المائة وأربع عشرة سورة من سور القرآن الكريم، منها اثنتان وخمسون سورة مكية، وعشرون سورة مدنية.

ونلاحظ هنا أن ذكر الجنة في السور المكية يفوق عددها في السور المدنية بأكثر من الضعف، وهذا يدل على أن الرسالة السماوية جاءت لتقرب وترغب الناس في نتاج ثمرات الإيمان بالله وحده، وبما يتلاءم مع تلك الفترة الأولى من بداية الدعوة الإسلامية، ثم تأتي السور المدنية لتكمل ما بدأته السور المكية من ترغيب في نتاج ثمرات الإيمان بالله والفوز بالجنة، مع تباين هاتين المرحلتين من حيث طبيعتهما وأحكامهما ومجريات الأحداث فيهما.

السور المكية التي ذُكِرَتْ فيها الجنة

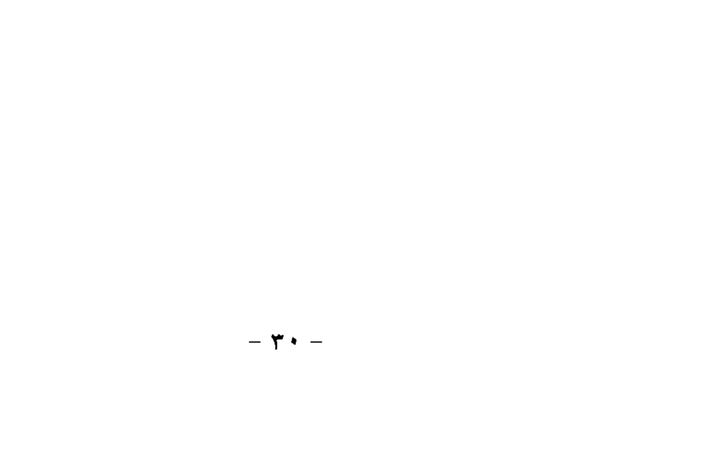
بلغ عدد السور المكية التي ذكرت فيها الجنة اثنتين وخمسين سورة، وهي مرتبة وحسب تسلسل السور القرآنية في القرآن الكريم وكما يلي:

١. سورة الأنعام	٢. سورة الأعراف	٣. سورة يونس
٤. سورة هود	٥. سورة إبراهيم	٦. سورة الحجر
٧. سورة النحل	٨. سورة الكهف	٩. سورة مريم
١٠. سورة طه	١١. سورة الأنبياء	١٢. سورة المؤمنون
١٣. سورة الفرقان	١٤. سورة الشعراء	١٥. سورة العنكبوت
١٦. سورة الروم	١٧. سورة لقمان	١٨. سورة السجدة
١٩. سورة سبأ	٢٠. سورة فاطر	٢١. سورة يس
٢٢. سورة الصافات	٢٣. سورة ص	٢٤. سورة الزمر
٢٥. سورة غافر	٢٦. سورة فصلت	٢٧. سورة الشورى
٢٨. سورة الزخرف	٢٩. سورة الدخان	٣٠. سورة الجاثية
٣١. سورة الأحقاف	٣٢. سورة ق	٣٣. سورة الذاريات
٣٤. سورة الطور	٣٥. سورة النجم	٣٦. سورة القمر
٣٧. سورة الواقعة	٣٨. سورة القلم	٣٩. سورة الحاقة
٤٠. سورة المعارج	٤١. سورة المدثر	٤٢. سورة القيامة
٤٣. سورة المرسلات	٤٤. سورة النبأ	٤٥. سورة النازعات
٤٦. سورة عبس	٤٧. سورة التكوير	٤٨. سورة الانفطار
٤٩. سورة المطففين	٥٠. سورة البروج	٥١. سورة الغاشية
٥٢. سورة الفجر		

السور المدنيـة التي ذُكِرَتْ فيها الجنـة

وردت الجنـة فـي الـسور المدنـية في عـشرين سـورة، وهـي مـرتبة وحـسب تسلسل السور القرآنية في القرآن الكريم وكما يلي:

١. سورة البقرة	٢. سورة آل عمران
٣. سورة النساء	٤. سورة المائدة
٥. سورة الأنفال	٦. سورة التوبة
٧. سورة الرعد	٨. سورة الحج
٩. سورة محمد	١٠. سورة الفتح
١١. سورة الرحمن	١٢. سورة الحديد
١٣. سورة المجادلة	١٤. سورة الحشر
١٥. سورة الصف	١٦. سورة التغابن
١٧. سورة الطلاق	١٨. سورة التحريم
١٩. سورة الإنسان	٢٠. سورة البينة



آيات وصف الجنة
في سور القرآن الكريم

وهي مرتبة وفق ترتيب سور القرآن الكريم وكما يلي:

١. **الآيات في سورة البقرة:**

أ. قال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: الآية: ٢٥.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: الآية: ٣٥.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة: الآية: ٨٢.

د. قال جل وعلا:

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: الآية: ١١١.

هـ. قال الله جل وعلا:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ

مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: الآية: ٢١٤.

و. قال جل وعلا:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: الآية: ٢٢١.

٢. الآيات في سورة آل عمران:

أ. قال تعالى:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ آل عمران: الآية: ١٥.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: الآية: ١٣٣.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران: الآية: ١٣٦.

د. قال جل وعلا:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ آل عمران: الآية: ١٤٢.

هـ. قال الله جل وعلا:

﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ آل عمران: الآيات: ١٦٩-١٧١.

و. قال جل وعلا:

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ آل عمران: الآية: ١٨٥.

ز. قال الله تعالى:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ آل عمران: الآية: ١٩٥.

ح. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ

فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ آل عمران: الآية: ١٩٨.

٣. الآيات في سورة النساء:

أ. قال تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ النساء: الآية: ١٣.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ النساء: الآية: ٥٧.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ النساء: الآية: ١٢٢.

د. قال جل وعلا:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء: الآية: ١٢٤.

٤. الآيات في سورة المائدة:

أ. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ

وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: الآية: ١٢.

ب. قال عز وجل:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ المائدة: الآية: ٦٥.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: الآية ٧٢.

د. قال جل وعلا:

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: الآية: ٨٥.

هـ. قال الله جل وعلا:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ المائدة: الآية: ١١٩.

٥. الجنة في سورة الأنعام:

قال تعالى:

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام: الآية: ١٢٧.

٦. الجنة في آيات سورة الأعراف:

أ. قال تعالى:

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأعراف: الآية: ١٩.

ب. قال عز وجل:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأعراف: الآية: ٢٢.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأعراف: الآية: ٢٧.

د. قال جل وعلا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأعراف: الآية: ٤٠.

هـ. قال الله جل وعلا:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن

تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: الآيات: ٤٢-٥٠.

٧. **الجنة في سورة الأنفال:**

قال تعالى:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: الآية: ٤.

٨. **الجنة في آيات سورة التوبة:**

أ. قال تعالى:

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ التوبة: الآيتان: ٢١- ٢٢.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: الآية: ٧٢.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: الآية: ٨٩.

د. قال جل وعلا:

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة: الآية: ١٠٠.

هـ. قال الله جل وعلا:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة: الآية: ١١١.

٩. الآيات في سورة يونس:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يونس: الآيتان: ٩- ١٠.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس: الآيتان: ٢٥- ٢٦.

١٠. الآيات في سورة هود:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ هود: الآية: ٢٣.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ هود: الآية: ١٠٨.

١١. الآيات في سورة الرعد:

أ. قال تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ الرعد: الآيتان: ٢٣- ٢٤.

ب. قال عز وجل:

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ الرعد: الآية: ٣٥.

١٢. الجنة في سورة إبراهيم:

قال تعالى:

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ إبراهيم: الآية: ٢٣.

١٣. الآيات في سورة الحجر:

قال الله جل وعلا:

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ الحجر: الآيات: ٤٥- ٤٨.

١٤. الآيات في سورة النحل:

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ

ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النحل: الآيات: ٣٠-٣٢.

١٥. الآيات في سورة الكهف:

أ. قال تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف: الآية: ٣١.

ب. قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ الكهف: الآيتان: ١٠٧- ١٠٨.

١٦. الآيات في سورة مريم:

قال الله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم: الآيات: ٦٠- ٦٣.

١٧. الآيات في سورة طه:

قال عز وجل:

أ. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ

مَن تَزَكَّىٰ ﴾ طه: الآيتان: ٧٥- ٧٦.

ب. قال عز وجل:

﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ طه: الآية: ١١٧.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ طه: الآية: ١٢١.

١٨. الآيات في سورة الأنبياء:

قال جل وعلا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ الأنبياء: الآيات: ١٠١- ١٠٣.

١٩. الآيات في سورة الحج:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ الحج: الآية: ١٤.

ب. قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الحج: الآيتان: ٢٣- ٢٤.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الحج: الآية: ٥٦.

٢٠. الآيات في سورة المؤمنون:

قال الله تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ المؤمنون: الآيتان: ١٠- ١١.

٢١. الآيات في سورة الفرقان:

أ. قال تعالى:

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ الفرقان: الآيتان: ١٥- ١٦.

ب. قال عز وجل:

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ الفرقان: الآية: ٢٤.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الفرقان: الآيتان: ٧٥- ٧٦.

٢٢. الآيات في سورة الشعراء

أ. قال تعالى:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الشعراء: الآيتان: ٨٤-٨٥.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الشعراء: الآية: ٩٠.

٢٣. الجنة في سورة العنكبوت

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ العنكبوت: الآية ٥٨.

٢٤. الجنة في سورة الروم

قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الروم: الآية: ١٥.

٢٥. الآيات في سورة لقمان

قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ لقمان: الآيتان: ٨ - ٩.

٢٦. الآيات في سورة السجدة

أ. قال تعالى:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: الآية: ١٧.

ب. قال عز وجل:

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: الآية: ١٩.

٢٧. الجنة في سورة سبأ

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ سبأ: الآية: ٣٧.

٢٨. الآيات في سورة فاطر

قال الله عز وجل:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فاطر: الآيات ٣٣-٣٥.

٢٩. الآيات في سورة يس

أ. قال تعالى:

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة يس: الآيتان: ٢٦-٢٧.

ب. قال عز وجل:

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى

ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ سورة يس: الآيات: ٥٥- ٥٨.

٣٠. الآيات في سورة الصافات

قال تعالى:

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ الصافات: الآيات: ٤٠-٦١.

٣١. الآيات في سورة ص

قال جل وعلا:

﴿هَـٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا

مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ سورة ص: الآيات: ٤٩- ٥٤.

٣٢. الجنة في سورة الزمر

أ. قال تعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ الزمر: الآية: ٢٠.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ الزمر: الآيتان: ٧٣- ٧٤.

٣٣. الآيات في سورة غافر

أ. قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ غافر: الآية: ٨.

ب. قال عز وجل:

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ غافر: الآية: ٤٠.

٣٤. الآيات في سورة فصلت

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ فصلت: الآيات: ٣٠-٣٢.

٣٥. الآيات في سورة الشورى

أ. قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ الشورى: الآية: ٧.

ب. قال عز وجل:

﴿ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الشورى: الآية: ٢٢.

٣٦. الآيات في سورة الزخرف

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ الزخرف: الآيات: ٦٩-٧٣.

٣٧. الآيات في سورة الدخان

قال جل جلاله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الدخان: الآيات: ٥١-٥٧.

٣٨. الجنة في سورة الجاثية

قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الجاثية: الآية: ٣٠.

٣٩. الآيات في سورة الأحقاف

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأحقاف: الآيتان: ١٣- ١٤.

ب. قال عز وجل:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ الأحقاف: الآية: ١٦.

٤٠. الجنة في آيات سورة محمد

أ. قال تعالى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ محمد: الآيتان: ٥- ٦.

ب. قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ محمد: الآية: ١٢.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ محمد: الآية: ١٥.

٤١. الجنة في آيات سورة الفتح

أ. قال تعالى:

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الفتح: الآية: ٥.

ب. قال عز وجل:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ

عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح: الآية: ١٧.

٤٢. الجنة في آيات سورة ق

أ. قال تعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ق: الآية: ٣١.

ب. قال عز وجل:

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ق: الآيتان: ٣٤- ٣٥.

٤٣. الجنة في سورة الذاريات

قال جل جلاله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الذاريات: الآيتان: ١٥- ١٦.

٤٤. الجنة في سورة الطور

قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا

وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الطور: الآيات: ١٧- ٢٨.

٤٥. الجنة في سورة النجم

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ النجم: الآيات: ١٣-١٥.

٤٦. الجنة في سورة القمر

قال جل وعلا:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ القمر: الآيتان: ٥٤- ٥٥.

٤٧. الجنة في سورة الرحمن

قال تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾

مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ الرحمن: الآيات: ٤٦- ٧٨.

٤٨. الجنة في آيات سورة الواقعة

أ. قال تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾

لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ الواقعة: الآيات: ١٠-٤٠.

ب. قال عز وجل:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ الواقعة: الآيتان: ٨٨-٨٩.

٤٩. الجنة في آيات سورة الحديد

أ. قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الحديد: الآية: ١٢.

ب. قال عز وجل:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ **الحديد: الآية: ٢١.**

٥٠. الجنة في سورة المجادلة

قال عز وجل:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: الآية: ٢٢.

٥١. الجنة في سورة الحشر

قال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ الحشر: الآية: ٢٠.

٥٢. الجنة في سورة الصف

قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الصف: الآية: ١٢.

٥٣. الجنة في سورة التغابن

قال عز وجل:

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التغابن: الآية: ٩.

٥٤. الجنة في سورة الطلاق

قال تعالى:

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ الطلاق: الآية: ١١.

٥٥. الجنة في آيات سورة التحريم

أ. قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التحريم: الآية: ٨.

ب. قال عز وجل:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ التحريم: الآية: ١١.

٥٦. الجنة في سورة القلم

قال جل جلاله:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ القلم: الآية: ٣٤.

٥٧. الجنة في آيات سورة الإنسان

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ الإنسان: الآيتان: ٥-٦.

ب. قال عز وجل:

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا

زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

الإنسان الآيات: ١١-٢٢.

٥٨. الجنة في سورة الحاقة

قال الله عز وجل:

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ الحاقة: الآيات: ٢١- ٢٤.

٥٩. الجنة في آيات سورة المعارج

أ. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾

المعارج: الآيتان: ٣٤-٣٥.

ب. قال عز وجل:

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ المعارج: الآية: ٣٨.

٦٠. الجنة في سورة المدثر

قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

المدثر: الآيات: ٣٩- ٤١.

٦١. الجنة في سورة القيامة

قال الله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: الآيتان: ٢٢- ٢٣.

٦٢. الجنة في سورة المرسلات

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ المرسلات: الآيات: ٤١-٤٣.

٦٣. الجنة في سورة النبأ

قال الله جل وعلا:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ النبأ: الآيات: ٣١- ٣٦.

٦٤. الجنة في سورة النازعات

قال الله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات: الآيتان: ٤٠-٤١.

٦٥. الجنة في سورة عبس

قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ عبس: الآيتان: ٣٨-٣٩.

٦٦. الجنة في سورة التكوير

قال الله جل وعلا:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ التكوير: الآيتان: ١٣-١٤.

٦٧. الجنة في سورة الانفطار

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ الانفطار: الآية: ١٣.

٦٨. الجنة في آيات سورة المطففين

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ المطففين: الآيات: ٢٢- ٢٨.

ب. قال عز وجل:

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ المطففين: الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

٦٩. الجنة في سورة البروج

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ البروج: الآية: ١١.

٧٠. الجنة في سورة الغاشية

قال عز وجل:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ الغاشية: الآيات: ٨- ١٦.

٧١. الجنة في سورة الفجر

قال الله عز وجل:

﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ الفجر: الآيتان: ٢٩-٣٠.

٧٢. الجنة في سورة البينة

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ البينة: الآيتان: ٧- ٨.

مقارنة بين وصف الجنة في السور المكية وبين السور المدنية

تميز وصف الجنة في السور المكية عن السور المدنية من خلال عدة أمور، منها أن آيات وصف الجنة في السور المكية كان معظمها يأتي بالوصف المفصل للجنة أكثر من الوصف المجمل لها، حيث نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الجنة بجميع أسمائها، وصفاتها المجملة، وفصل ما فيها من صفات النعيم والرزق، فذكر صفات الطعام، والشراب، واللباس، وأنواع الحلي، وصفات النساء، والمساكن، والغرف، وصفات من يقوم على خدمة أهلها، من الغلمان والولدان.

والسبب من وراء هذا الوصف المفصل، هو طبيعة المرحلة من بداية الدعوة الإسلامية، حيث كان المسلمون في تلك الفترة يواجهون ويلاقون أشد أنواع التعذيب والمعاناة، والمعاداة والتكذيب، من قبل المشركين، فكان الوصف المفصل للجنة يداعب نفوسهم ويثبت قلوبهم، وذلك لما عقلوه عن هذه الجنة وما فيها من ألوان النعيم، عوضاً لهم عن ثباتهم على إيمانهم وصبرهم على أذاهم، لذا فإننا نجد أن وصف الجنة في السور المكية جاء بأكثر من ضعف السور المدنية. حيث بلغ عدد السور المكية التي ذكرت فيها الجنة، أو أحد أسمائها، أو أحدى صفاتها، اثنتين وخمسين سورة، بينما بلغت في السور المدنية، عشرين سورة. وجاء الوصف فيها مجملاً أكثر منه مفصلاً، كون المسلمين قد استقر حالهم في المدينة المنورة، وبدءوا يشعرون بالأمن والأمان، وهذا من جانب، ومن الجانب الآخر، فإن المسلمين قد عرفوا وصف هذه الجنة وصفاً مفصلاً وبما جاءت به آيات السور المكية، لذا فقد أصبح العلم بها وبأوصافها وأسمائها محققا لهم بالإضافة لما قد نزل، وعرفوه عنها في السور المدنية.

أحاديث نبوية مختارة في صفة الجنة

وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة تذكر صفة الجنة، وقد اخترنا منها ما يلي:

«عن أبي هُرَيْرَةَ عن رسول الله ﷺ قال: "لَمَّا خَلَقَ الله الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إلى الْجَنَّةِ فقال انظر إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها قال فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعَدَّ الله لِأَهْلِهَا فيها قال فَرَجَعَ إليه قال فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ إلا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بها فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فقال ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إلى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها قال فَرَجَعَ إِلَيْهَا فإذا هِيَ قد حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إليه فقال وَعِزَّتِكَ لقد خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قال اذْهَبْ إلى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها فإذا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إليه فقال وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بها فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فقال ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فقال وَعِزَّتِكَ لقد خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ منها أَحَدٌ إلا دَخَلَهَا" (سنن الترمذي: ح ٢٥٦٠/ ج ٤/ ص ٦٩٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قياما أربعين سنة، شاخصة أبصارهم، ينتظرون فصل القضاء". فذكر الحديث إلى أن قال: "ثم يقول، يعني الرب، تبارك وتعالى: ارفعوا رؤوسكم، فيرفعون رؤوسهم، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك.. ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده.. ومنهم من يعطى أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم، رجلا يعطى نوره على قدر إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه، وإذا أطفئ قام، فيمرون على قدر نورهم.. منهم من يمر كطرفة العين، ومنهم من يمر كالبرق.. ومنهم من يمر كالسحاب.. ومنهم من يمر كالريح.. ومنهم من يمر كشد الفرس.. ومنهم من يمر كشد الرحل، حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه، يحبو على وجهه ويديه ورجليه.. تخر يد وتعلق يد،

وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص، وقف عليها فقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدا إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها.. قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة، فيغتسل، فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من ظل الباب، فيقول: رب أدخلني الجنة. فيقول له: أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار.. فيقول: رب اجعل بيني وبينها حجابا لا أسمع حسيسها.

قال: فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك، كأن ما هو فيه إليه حلم. فيقول: رب أعطني ذلك المنزل.. فيقول له: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره.. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، وأنّى منزل أحسن منه؟ فيعطاه، فينزله، ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه إليه حلم. قال: رب أعطني ذلك المنزل.. فيقول الله تبارك وتعالى له: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره.. فيقول: لا وعزتك، وأنّى منزل أحسن منه؟ فيعطاه، فينزله، ثم يسكت.. فيقول الله جل ذكره: ما لك لا تسأل.. فيقول: رب قد سألتك حتى استحييتك، وأقسمت حتى استحييتك.. فيقول الله عز وجل ذكره: ألم ترض إن أعطيتك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه.. فيقول: أتهزأ بي وأنت رب العزة!! فيضحك الرب تعالى من قوله.

قال: فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث، ضحك حتى تبدو أضراسه.

قال: فيقول الرب جل ذكره: لا ولكني على ذلك قادر، سل.. فيقول: ألحقني بالناس.. فيقول: الحق بالناس.. فينطلق يرمل في الجنة، حتى إذا دنا من الناس، رفع له قصر من درة، فيخر ساجدا، فيقال له ارفع رأسك، مالك؟

فيقول: رأيت ربي، أو تراءى لي ربي.. فيقال له: إنما هو منزل من منازلك.. قال: ثم يلقى رجلا، فيتهيأ للسجود له.. فيقال له: مه.. فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة.. فيقول: إنما أنا خازن من خزانك، وعبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على ما أنا عليه. قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر.

قال: وهو من درة مجوفة، سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتحها منها تستقبله

جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، فيها سبعون بابا، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء، عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا اعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا.

فيقال له: اشرف، فيشرف.. فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك.

قال: فقال عمر: ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً، فكيف أعلاهم؟!

قال: يا أمير المؤمنين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، إن الله جل ذكره خلق داراً جعل ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها، فلم يرها احد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة.

ثم قرأ كعب: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ سورة السجدة: الآية: ١٧.

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من بهاء خلقه.. ثم قال: من كان كتابه في عليين نزل في تلك الدار، التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه، فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه، فيقولون: واهاً لهذه الريح، هذا ريح رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه.

قال: ويحك يا كعب، إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها.

فقال كعب: إن لجهنم يوم القيامة لزفرة.. ما من ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا خر لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الله ليقول: رب نفسي.. نفسي، حتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أن لا تنجو". (الترغيب والترهيب: ٤/٢٧٦).

وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيّ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "مَوْضِعُ سَوْطٍ في الْجَنَّةِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها". (صحيح البخاري: ح ٣٠٧٨، باب ما جاء في صفة الجنة، ج٣/ص ١١٨٧).

روى الإمام مسلم عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ وقد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فيقول لهم أَهْلُوهُمْ والله لقد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ والله لقد ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا". (صحيح مسلم: ح ٢٨٣٣).

عن أبي ذر قال: "أَتَيْتُ النبي ﷺ وهو نَائِمٌ عليه ثَوْبٌ أَبْيَضُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فإذا هو نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إليه فقال ما من عَبْدٍ قال لَا إِلَهَ إلا الله ثُمَّ مَاتَ على ذلك إلا دخل الْجَنَّةَ قلت وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قلت وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قال وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ثَلَاثًا ثُمَّ قال في الرَّابِعَةِ على رَغْمِ أَنْفِ أبي ذَرٍّ قال فَخَرَجَ أبو ذَرٍّ وهو يقول وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أبي ذَرٍّ". (صحيح مسلم: ح ٩٤/ ج/ ١/ص ٩٥).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة درجة قالوا بلى يا رسول الله قال رجل يدخل من باب الجنة فيتلقاه غلمانه فيقولون مرحبا بسيدنا قد آن لك أن تزورنا قال فتمد له الزرابي أربعين سنة ثم ينظر عن يمينه وشماله فيرى الجنان فيقول لمن ما ههنا فيقال لك حتى إذا انتهى رفعت له ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء لها سبعون شعبا في كل شعب سبعون غرفة في كل غرفة سبعون بابا فيقال اقرأ وارقه فيرقى حتى إذا انتهى إلى سرير ملكه اتكأ عليه سعته ميل في ميل له فيه قصور فيسعى إليه بسبعين صحفة من ذهب ليس فيها صحفة فيها من لون أختها يجد لذة آخرها كما يجد لذة أولها ثم يسعى إليها بألوان الأشربة فيشرب منها ما اشتهى ثم يقول الغلمان اتركوه وأزواجه فينطلق الغلمان ثم ينظر فإذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحبتها فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك فينظر إليها فيقول من أنت فتقول أنا من الحور العين من اللاتي خبئن لك فينظر إليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ثم يرفع بصره إلى الغرفة فإذا أخرى أجمل منها فتقول ما آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيرتقي إليها

أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ثم إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك اسمه فينظرون إلى وجه الرحمن فيقول يا أهل الجنة هللوني فيتجاوبون بتهليل الرحمن ثم يقول يا داود قم فمجدني كما كنت تمجدني في الدنيا قال فيمجد داود ربه عز وجل". (الترغيب والترهيب: ح ٥٦/ج٤/ص٢٧٨).





وصف الجنة في سور القرآن الكريم

وصف الجنة في سور القرآن الكريم

١- سورة البقرة

جاء الحديث عن الجنة وأوصافها في سورة البقرة، في ست آيات متفرقة وكما يلي:

أ. قال تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: آية: ٢٥.

جاءت هذه الآية الكريمة تزف البشرى للمؤمنين، لكي تطمئن قلوبهم بعد الآية السابقة لها وما حوته من هول ووصف للنار التي تأكل الناس والحجارة، فجاءت مخاطبة للرسول ﷺ، ليزف البشرى لهؤلاء الفئة من الناس وليبشرهم على أنهم مستثنون من هذه النار التي وقودها الناس والحجارة. وان لهم هذه الجنة وما سوف يكونون عليه من حال مبهج، ونعيم دائم فيها.

فيأتي ذكر الجنة مضافا إليها ألوان النعيم الذي سيكونون عليه فيها، فهذه الأنهار التي تجري وهذا الرزق من الثمر الذي قد يكون رزقوا به من قبل في الحياة الدنيا مع اختلاف المذاق ها هنا، أو قد يكونون رزقوا به في الجنة مرة تلو المرة وحتى وإن تشابه في الشكل أو الاسم، فالطعم يزيد لذة في كل مرة عن التي سبقتها.

قال المفسرون: إنهم - أي أهل الجنة - يظنون ما يتناولونه شبيهاً بما نالوه في الجنة قبل، ثم يتبين لهم أنه يخالفه بالطعم واللذة. (تفسير الجلالين الميسر: ٥).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدرة الله تعالى على إضفاء سمة التنوع

في الشيء الواحد المنبثق عن خلية واحدة تكوينها واحد وتركيبها واحد. فثمار التفاح على سبيل المثال لها أشكال وألوان مختلفة، ولها مذاق مميز تختلف فيه ويميزها عن غيرها من أنواع الثمار، ولكل شكل ولون منها مذاق مختلف عن الآخر، فكل شجرة تختلف في طعمها عن الأخرى، لا بل إننا نجد أن الثمرة الواحدة تختلف في مذاقها عن الثمرة الأخرى في الشجرة الواحدة. وهذه سمة واضحة في صنعة البارئ تعالى.

ثم يأتي بعد هذا النعيم ذكر الأزواج المطهرة، لتتناغم مع طبيعة وغرائز النفس البشرية التي أودعها الله تعالى فيها، ولكن هذه الأزواج ليست كتلك التي في الحياة الدنيا فقط وإنما هي أيضاً من الحور العين، وجميع هذه الأزواج هنا مطهرة، نقية، وخالية من الحيض والقذر.

قال المفسرون: أي أنهن لا يحتجن إلى ما يحتاج إليه نساء أهل الدنيا من الأكل والشرب، ولا حتى إلى ما يتطهر منه، بالإضافة إلى أنها أزواج مطهرة من الأدناس الذاتية مثل الحيض والنفاس والجنابة والبول والغائط وغير ذلك. (انظر جامع البيان، للطبري: ١ / ٣٩٥. التفسير الكبير: ٢ / ١٣٠. البحر المحيط: ١ / ١١٧).

بعد ذلك تأتي الآية بالإشارة إلى أن هذا النعيم غير نافد ولا منقطع، وأن بقاء المؤمنين في هذا النعيم أيضاً باق ومخلد لا نهاية له، وبقاءهم في الجنة بقاء لما فيها من نعيم. وهنا تكتمل البشرى للمؤمنين.

ب. قال تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: آية: ٣٥.

ورد ذكر الجنة في هذه الآية من خلال خطاب رب العالمين إلى سيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام، وجاء اللفظ هنا مفرداً ومعرفاً، خالياً من الإضافة والوصف، لبيان نتيجة الطاعة لله تعالى والامتثال لأوامره، وعدم مخالفتها مع ترك حرية الاختيار له.

ومن هنا يبرز مدى الثبات على الطاعة لله تعالى، والصمود أمام الاختيار الذي

عليه يتحدد المصير، فيباح لآدم عليه السلام وزوجه كل طعام ما في الجنة من دون عناء، إلا شجرة واحدة هي شجرة الامتحان والابتلاء.

وقد اختلف المفسرون في تحديد نوع هذه الشجرة، فبعضهم من قال إنها شجرة الحنطة.. وبعضهم أشار إلى أنها شجرة التفاح، ومنهم من قال إنها الكرمة وهو قول ابن عباس. (صفوة التفاسير: ١ / ٤٣).

وكل من هذه الأشجار أو غيرها قد تكون صحيحة، لكن الهدف من ذكرها في الآية الكريمة، ليس لمعرفة نوعها، فهي شجرة كباقي وسائر أشجار الجنة، بل إن القصد من ذكرها قد جاء على أنها شجرة اختبار وابتلاء لسيدنا آدم وزوجه، ولإتمام مشيئة الله تعالى في خلافة آدم للأرض التي اقرها وحددها له قبل خلقه، وليكون هذا الاختبار رحمة من الله تعالى لهذا المخلوق المستخلف في الأرض من خلال تزويده بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها تكراراً ومراراً، وذلك استعداداً للمعركة بين الخير والشر، والطاعة والعصيان. فمن أطاع.. سلم، ومن عصى فقد ظلم، والظلم هنا هو ظلم النفس بارتكاب المعاصي والآثام وعدم الطاعة لله والامتثال لأوامره ونواهيه.

قال سيد قطب: لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة.. إلا شجرة.. شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض، فبغير محظور لا تنبت الإرادة. (في ظلال القرآن: ١ / ٥٨).

ج. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: آية: ٨٢.

جاء ذكر الجنة في هذه الآية الكريمة بعد ذكر النار في الآية السابقة، وذكر أصحاب النار وما هم عليه من حال، لتبين أن الأعمال تنقسم إلى قسمين الأول سيئ يورد النار، وهو ثمرة الكفر، والثاني هو العمل الصالح الذي يورد الجنة، وهو ثمرة الإيمان الصحيح، الذي يعتبر الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه المؤدي إلى رضى الله والخلود في الجنة.

قال علماء السلف: إن العمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى يعتبر شرطاً في كمال الإيمان. (تفسير الجلالين الميسر: ص ٥).

فلا يكفي أن نقول إننا مسلمون حتى يستقر الإيمان في قلوبنا، عندها ينبثق هذا الإيمان من القلب في صورة العمل الصالح، وعندها نستحق الخلود في الجنة، وكلمة الخلود تعني بقاء ودوام الحال على ما هو عليه، وقد يكون هذا الخلود، خلود فيه اليسر، أو قد يكون فيه العسر، فأصحاب الجنة وما هم عليه من نعيم في يسر، وأصحاب النار بظلمهم أنفسهم في عسر.

والخلود في الحياة الآخرة فيه إشارة جلية وواضحة إلى زوال الحال في الدنيا، وزوال ما فيها من نعيم. وعليه فما أحوجنا إلى ترسيخ مبادئ الإيمان الصحيح في قلوبنا، حتى يخرج منه العمل الصالح المتطابق مع منهج الله تعالى، المؤدي إلى يسر الخلود.

د. قال عز وجل:

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ البقرة: آية: ١١١.

جاءت هذه الآية الكريمة لتفضح وتكشف القناع عن النوايا والشهوات الباطلة ليهود المدينة، ونصارى نجران، عندما قالوا - كل على حدة - إن الجنة هي حكر ووقف لهم ولطائفتهم فقط، وذلك لزعزعة إيمان المسلمين، وإدخال الشك في عقيدتهم واعتقادهم. قالوا ذلك بالرغم من معرفتهم أن الجنة حق، وأن الإيمان بها حق، ولا يدخلها إلا من سار على طريق الحق، ولكن تعصبهم ومكرهم، أبعداهم عن الحق حتى أخذتهم العزة بالإثم، وقالوا ما قالوه، فما الحق فيما قالوه؟

قال ابن عباس: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى والإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. (تفسير ابن كثير: ١ / ١٥٦).

إن الجنة هي الثواب الذي أعده الله تعالى لعباده المؤمنين، وهي حكر لهؤلاء

المؤمنين دون غيرهم، وإن العمل الصالح والإيمان الراسخ هما ثمرة الإسلام والإحسان المؤديان لدخول الجنة، ولا طريق غير طريق الإيمان بالله تعالى يقود إلى هذه الجنة.

هـ. قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة: آية: ٢١٤.

إن الله تعالى عندما خلق الجنة وزينها وجمّلها وجمّل ما فيها، جعل لها حقاً على كل من يدخلها، وهذا الحق جاء متوافقاً ومتماشياً مع سنن الله تعالى في هذا الكون، فلا بد من التعب والكد، للوصول إلى كل غاية.. إن تدرس تنجح، وإن تزرع تحصد، وإن المؤمن العابد لربه، الصابر على الابتلاء والمحن، لهو أحق بدخول هذه الجنة. وهذا ما يميز الخبيث من الطيب ويميز المؤمنين من الكافرين.

يقول سيد قطب: هكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها، وإلى سنته - سبحانه - في تربية عباده المختارين، الذين يكل إليهم رايته، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته. وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم.. (في ظلال القرآن: ١ / ٢١٨).

و. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: آية: ٢٢١.

عندما عصى آدم ربه، ثم تاب فتاب الله عليه، وتمت مشيئة الله في أن يخلف آدم الأرض هو وذريته بعد أن هبط إليها من الجنة، جاءت دعوة الله لهؤلاء البشر

من خلال إرسال الرسل والنبيين لرسم الطريق القويم لهم، ثم ليبين لهم بعض الأحكام التي تخصهم. لذا كان لا بد من التركيز على اللبنة الأساسية في المجتمع وهذه اللبنة هي الأسرة، والتي إن صلحت صلح المجتمع كله، والأسرة لها دفتان تقودانها، وتوجهانها، هما الأب والأم، فلا بد من صلاحهما وصلاح معتقداتهما كي تسير الأسرة في الاتجاه الصحيح.

وهذا توجيه من الله تعالى لعباده المؤمنين، ينبع منه الحرص في حسن اختيار الشراكة الزوجية الصالحة التي تسير مع منهج الله تعالى ودعوته المؤدية للفوز بالجنة وكل عمل موجب لها. فالخير مع الخير يلتقي، والشر مع الشر يلتقي، ولكن لا يمكن أبدا أن يلتقي الخير مع الشر، لأن لكل منهما طريقاً ومصيراً مختلفاً عن الآخر. والذكرى تنفع المؤمنين، فمن تذكر واتعظ واستغفر.. فاز بدعوة الله تعالى ونال **الجنة**، ومن أبى.. فقد خاب وخسر.

قال المفسرون: أي لا تتزوجوا أيها المسلمون بالمشركات من غير أهل الكتاب حتى يؤمنَّ بالله واليوم الآخر.. ولأمة مؤمنة خير وأفضل من حرة مشركة. (صفوة التفاسير: ١ / ١٢٦).

وما ينطبق على المسلمين في هذا الشأن ينطبق على المسلمات أيضاً.

٢- الجنة في آيات سورة آل عمران

ورد ذكر الجنة في سورة آل عمران في ثماني آيات متفرقة، وكما يلي:

أ. قال عز وجل:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران: آية: ١٥.

جاءت هذه الآية الكريمة تلقن رسول الله ﷺ، ومن خلال استخدام أسلوب الاستفهام التقريري، بأن يبشر المتقين - من عباد الله - وأن يخبرهم ويطلعهم على ما هو أفضل من شهوات ومتاع ونعيم الدنيا الزائل. فجاءت لتذكرهم بالمتاع الدائم، والنعيم الذي لا حصر له في الجنة، وأنهارها التي تجري فيها.. وأي أنهار هذه.. وما هو حال أنهار الدنيا مع أنهار الجنة؟ فلنتعرف على ماهية كل من هذه الأنهار.

تطلق كلمة نهر في اللغة على مجرى الشيء الذي يشق الأرض ويسيل فيها بقوة، لذا أطلق على الماء الجاري هذا الاسم. ومن هذا السياق، نعلم أن للنهر أركاناً لا بد من وجودها لاستمرار إطلاق هذا اللفظ عليه - والحال ينطبق فقط على أنهار الدنيا - فلا بد من أن يكون للنهر منبع وحدود يسير فيها، قد تتسع أو تضيق بحسب قوة المنبع وحسب درجة ميل انحدار المجرى، ثم أخيرا يأتي المصب، والذي عادة ما يكون في البحر.

وكل أنهار الدنيا مهما كثرت أو قلت فهي محدودة المكان وربما الزمان، بمعنى أنها قد تجف في وقت ما، وأن المنفعة منها، أو الاستفادة منها تكون أيضاً محدودة ومقصورة إلى حد معين. فكم من دولة من دول العالم وضعت فيما بينها وبين جارتها اتفاقات وأسساً تقسم، وتبين، وتنظم مدى الاستفادة من النهر الواحد المار من كلتا الدولتين.. إذن فالمنفعة هنا تأتي بحساب.

أما أنهار الجنة فهي مختلفة تماما عن أنهار الدنيا، ومهما حاولنا أن نتصورها

أو أن نصفها فلن نصل إلى مبتغانا، فالعقل البشري لا يمكن أن يدرك كنهها بطبيعته المحدودة، إنما سميت أنهاراً، لتقريب ما يمكن للعقل البشري أن يدركه، وإشارة إلى ما في الجنة من نعيم، فأنهار الجنة متعددة ومتنوعة، فهناك أنهار من الماء، ومن اللبن، وأنهار من العسل، ومن الخمر، وأخرى ممزوجة كافورا، وأخرى سلسبيلا أو مزاجها من تسنيم.

بيّن المفسرون المراد بقوله تعالى: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾: أي ماء الأنهار، أو تجري من تحتهم وهم بالغرفات آمنون. (انظر: التفسير الكبير: ٢١ / ١٢٢. روح المعاني: ١٥ / ٢٧٠.

وكل هذه الأنهار لا تجف ولا تنضب، والمنفعة فيها بغير حساب، وتجري من غير أخدود ومن غير حدود، تنساب في كل مكان من الجنة، وحيثما كان وتواجد المؤمنون.

قال تعالى:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الكهف: الآية: ٣١.

بعد ذلك تأتي البشرى الثانية، وهي الخلود في الجنة، وهذا الخلود يحوي خلود المتقين في الجنة، وخلود لما فيها من نعيم، فلا زوال ولا نهاية محددة لكل منهما.

ثم يأتي نعيم آخر أعد لهؤلاء المتقين.. نعيم يتقارب مع هوى النفس الإنسانية في الحياة الدنيا.. وهو نعيم الأزواج، ولكن هذه المرة جاء في شكل مختلف، فهذه الأزواج هنا نقية، خالية من النجاسة والدنس، بريئة وعفيفة من كل العيوب، فهي أزواج مطهرة.

وقد أشار أبو حيان إلى أن تطهير هؤلاء الأزواج هو تطهير عام لهن من كل ما يشين، حيث قال: إنهن مطهرات من كل ما يشين لأن من طهره الله تعالى ووصفه

بالتطهير كان في غاية النظافة والوضاءة. (البحر المحيط: ١ / ١١٨).

ثم تلوح البشرى الأخيرة للمتقين في هذه الآية، فتأتي لتفوق كل ما في الدنيا والجنة من نعم ونعيم، أنها المتعة الروحية التي تطغى على سائر متعهم الحسية والروحية معا، كيف لا.. وهي بشرى رضوان الله تعالى على أصحاب الجنة.. وأي رضوان هذا.. انه الرضوان والرضا الجم والكبير والكثير بكل ما في اللفظ من نداوة وطراوة، وبكل ما في ظله من رحمة وحنان.

قال أبو السعود: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ ﴾ التنوين للتفخيم وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاد التنوين من الفخامة أي رضوان وأي رضوان لا يقادر قدرة كائن من الله عز وجل. (تفسير أبي السعود: ٢ / ١٦).

ثم تكتمل الآية بالتذكير بقدرة الله تعالى، ومعرفته بحقيقة الفطرة الإنسانية للعباد، وما هي عليه من ميول ونوازع، وما يدور في خلجاتها وسريرتها، وما يصلح لها من توجيهات وإيحاءات تنتفع بها في حياتها الدنيا وفي حياتها الآخرة. ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

ب. قال تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران: الآية: ١٣٣.

جاءت هذه الآية الكريمة، بصورة حسية وحركية، تصور من خلالها السبيل للوصول إلى الجنة، ولترسم صفة من صفات المتقين من عباد الله المؤمنين، وهي صفة الإسراع والإكثار من الاستغفار لله تعالى إذا ما أخطأوا وارتكبوا سيئة.

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي بادروا إلى ما يوجب المغفرة بطاعة الله وامتثال أوامره. (صفوة التفاسير: ١ / ٢١٠).

فهذه النفس البشرية بطبيعتها خطاءة، ولما كان الله عليماً بهذه النفس، فقد فتح لها باب التوبة والاستغفار من الذنوب، وجعل لها من هذا الباب طريقاً واسعاً

يؤدي إلى جنة واسعة، عرضها السموات والأرض. وإذا ما تصورنا أن عرض هذه الجنة هو ما بين السموات والأرض.. فكم يبلغ طولها إذن؟! وهل يمكن لعقلنا البشري المتعلق بحدود هذه الأرض وهذه الدنيا أن يدرك ما بعد السماء الدنيا والتي تظهر فيها شمسها مع عظم حجمها وكأنها هباءة طائرة في هذا الكون؟.. وهل ما نعرفه من قوانين، وقياسات في هذه الأرض تتماشى وتتوافق مع ما بعد الأرض؟.. وإذا ما توافقت، فهل تتوافق مع قوانين ونواميس الحياة الآخرة؟!

وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بد لنا من أن نضرب مثالاً، ونأخذ بعض هذه المعطيات، فنحن نعرف في هذه الأرض أن هناك أربعة اتجاهات، هي الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، كما ونعلم أن هناك شيئاً اسمه أسفل وأعلى، وهناك ليلاً ونهاراً، وساعات وأياماً... الخ. ولكن إذا ما خرجنا من دائرة الغلاف الجوي للأرض، فهل يعود أي وجود لهذه النواميس..؟..!!

حتما لا.. إذن لا بد من أن يكون هنالك في الحياة الآخرة معطيات وقياسات وقوانين مختلفة لا يمكن للعقل البشري المرتبط بحدود هذه الأرض من أن يدركها، فيستوعبها.

لذا جاء وصف الله تعالى لنا لهذه الجنة بحدود ما نعرفه من أمر الدنيا، ليقرب لنا صفتها بشكل حسي، وعام، ومن ثم لتستقر في قلوب عباده المتقين.

ج - قال سبحانه وتعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران: الآية: ١٣٦.

هذه الآية الكريمة بدأت وكما يظهر باسم إشارة يعود على فئة معينة من الناس، وهم عباد الله المتقون: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي الموصوفون بتلك الصفات الحميدة جزاؤهم وثوابهم العفو عما سلف من الذنوب. (صفوة التفاسير: ١ / ٢١١). ثم عرجت الآية الكريمة على الجزاء الأكبر الذي سيلاقيه هؤلاء المتقون، من نعيم الجنة الذي لا حصر له، والاستمتاع باقٍ لهم فيها،

ما بقوا فيها، والأنهار الخالدة فيها، ما دامت السموات والأرض.. وما داموا فيها.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ سورة هود: الآية: ١٠٨.

ولكن، ماذا عمل هؤلاء المتقون حتى استحقوا ووصلوا إلى هذه الدرجة الكبيرة من الأجر العظيم؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من معرفة المفهوم العام والطبيعي والبسيط للعمل.

إن المفهوم العام والطبيعي للعمل هو البذل والعطاء المتبوع بالنتيجة (إيجابية كانت أم سلبية).

فإذا ما عمل أحدهم عملاً، فإنه يؤجر عليه وبغض النظر عن طبيعة هذا الأجر، ولكن ليس كل عمل يستحق أن يؤجر عليه صاحبه.. لا بل إن هذا العمل قد يكون سببا في شقاء وعقاب فاعله وعامله، تماشيا مع مبدأي الثواب والعقاب، (سلبا أو إيجاباً).

ومن هنا يمكننا أن نقسم الأعمال من حيث مبدأي الثواب والعقاب إلى قسمين:

القسم الأول: عمل صالح، فيه طاعة لله ورضاه، ثوابه الأجر العظيم عند الله تعالى، وهو دخول جنته.

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ سورة الكهف: الآية: ١١٠.

القسم الثاني:

عمل سيئ، فيه عصيان لله تعالى وفيه غضبه، الجزاء فيه يكون الشقاء الذي ما بعده شقاء، وهو ورود النار.

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٨١.

أيضاً لا ننسى أن نذكر هنا، أن كل امتناع عن عمل أو فعل، يعد عملاً، ويدخل ضمن كل قسم من الأقسام السابقة، بحسب رضا الله تعالى أو سخطه عليه، فمثلا الإنسان الذي لا يصلي أو لا يؤدي الزكاة، يدخل في ضمن القسم الثاني، وإذا ما امتنع عن ارتكاب معصية، فهو من ضمن القسم الأول.

والآن فلنستعرض بعض الأعمال التي اتصف بها عباد الله المتقون، والتي كان فيها رضا الله تعالى.

فإذا ما جئنا عليها، فإننا نجدها أنها تبدأ وتنتهي بعمل واحد تنبثق منه سائر أعمالهم، ألا وهو طاعة الله تعالى في كل شيء، فمن أطاع الله.. أطاع الرسول، ومن أطاع الله.. عمل بتعاليمه، ومن أطاع الله.. وقف عند حدوده، وانتهى عند نواهيه، ومن أطاع الله.. لازم الاستغفار...

وهكذا فإن كل من يعمل عملاً ويجعل فيه طاعة الله تعالى ورضاه.. يكون قد استحق هذا الأجر العظيم ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

د. قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران: الآية: ١٤٢.

أظهرت الآية الكريمة إحدى الصور الفنية للقرآن الكريم في عرض الأحداث ومعالجتها بصورة فنية رائعة، فجاءت مبتدئة بصيغة السؤال الاستنكاري الذي يبدد الشكوك، ويصحح التصورات، فتنجلي الأفكار وينقشع عنها الغمام، فتبدو واضحة جلية، لا لبس فيها، عندها يستبين المسار ويسهل الاختيار، فكان لا بد من هذا التصوير كي يصحح المؤمنون أفكارهم وتصوراتهم حول معتقداتهم لتتلاءم مع صحة تنفيذ طاعاتهم.

فلا يكفي أن يقول الإنسان آمنت بلسانه دون واقع حاله، ثم ينتظر ليدخل الجنة، ولا يكفي أن يشير إلى الجهاد من دون أن يجاهد ولو بلسانه، ولا أن يقول

إنني صابر، وهو بغير صابر، ثم ينتظر ليدخل الجنة.

كلا.. إن طريق الجنة زاده لا يكون بالأماني والتمني، وإنما بالعمل الصالح والامتحان العملي، فمن أراد الجهاد، فلا بد من أن يجاهد، وإن جاهد لا بد من أن يصبر على بلاء وعناء ومشقة الجهاد، والمشقة والصبر والمجاهدة لا تقتصر فقط على الجهاد، إنما نجدها في كل تكاليف الدين القويم، فالواقف عند حدود الله في نفسه، فهو مجاهد، والمتقبل للأذى والمشقة في سبيل نشر الدعوة، فهو صابر ومجاهد. وهذا كله لا يكون إلا من خلال الإيمان الصحيح الذي يقود المؤمن إلى ثواب الله تعالى، فيدخل الجنة.

قال الطبري ما مختصره: أظننتم يا معشر أصحاب محمد أن تنالوا كرامة ربكم ولمّا يتبين لعبادي المؤمنين المجاهدون منكم في سبيل الله والصابرون عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه!! (تفسير الطبري: ١٠٨/٤).

هـ. قال عز شأنه:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

هذه الآية الكريمة، جاءت تصور واقع حال فئة معينة من أصحاب الجنة وما هم عليه من نعيم، داحضة للأقاويل، مثبتة من عزم المؤمنين، ثم لترسم الفرح والسرور في قلوب المسلمين ولتدفعهم على التنافس فيما بينهم في سبيل إعلاء كلمة الله، والحصول على اشرف المنازل التي وصل إليها إخوانهم الذين سبقوهم إليها من الذين قدموا أنفسهم وأرواحهم في سبيل الله، لينالوا الشهادة، فكان حقا على الله أن يدخلهم جناته، ويخصهم بنعيمه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لمّا أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل

من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾". (تفسير القرطبي: ٤ / ٢٦٨).

ثم تظهر الآية الكريمة واقع حالهم على أنهم أحياء عند ربهم غير أموات، وأنهم يتصفون بكل صفات الأحياء، فهم يرزقون.. وأي رزق هذا؟ انه رزق رب العالمين الذي لا حصر له، والذي لا يمكن تصوره أو إدراك حقيقته.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "من آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كان حَقًّا على اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها فَقَالُوا يا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ الناس قال إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فإذا سَأَلْتُمْ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قال محمد بن فُلَيْحٍ عن أبيه وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن". (صحيح البخاري: ح ٢٦٣٧/ج٣/ص١٠٢٨).

ثم تأتي الصفة الثانية على أنهم أحياء، لا أموات، فهم ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من حسن المنزلة والدرجات الرفيعة من الجنة.

فتأتي هذه الصفات فتحرك بداخلهم حب الخير والاستبشار بمصير من هم من وراءهم من إخوانهم المؤمنين في الوصول إلى ما وصلوا إليه، ثم لتبث الطمأنينة في قلوب جميع المؤمنين وتبعد الحزن عنهم. فما داموا أحياء ويتصفون بكل صفات الأحياء، وما داموا قد نالوا رضا الله تعالى وفضله، فلا مجال للخوف أو الحزن عليهم، فأجرهم قد وقع على الله.

وما دام أن أجرهم قد وقع على الله، لا بد لنا وبعد هذا الاسترسال البسيط حول المعنى العام لهذه الآية الكريمة، من أن نعود ونفصّل ولو بالشيء اليسير بعض ما خصه الله تعالى لهذه الفئة من أصحاب الجنة من ثواب. حيث نلاحظ أن في الآية الكريمة كلمات أوردها الله تعالى بصيغة النكرة الخالية من أل التعريف،

وذلك لإطلاق الحد العام لهذه الكلمات وعدم حصر المعنى فيها، فالتنكير وكما هو معروف لنا، أنه يفيد السعة والعظمة التي لا تحد جوانبها ولا يدرك جوهرها عقل، ولا يصل إلى وصفها خيال، فجاءت كلمة "أحياء" نكرة لا "الأحياء"، وذلك للخروج من المعنى العام المتعارف عليه لدينا لهذه الكلمة، مع أن الآية تذكر بعض الصفات التي يتصف بها الأحياء، ولكن هذا الوصف جاء ليقرب إلى عقولنا طبيعة المعنى الحسي لهذه الحياة.

ومن المعاني الحسية لحياة هذه الفئة من أصحاب الجنة "الشهداء" هو ما ورد في الحديث الشريف.

عن عبد اللهِ بن مُرَّةَ عن مَسْرُوقٍ قال سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ بن مسعود عن هذه الْآيَةِ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ **قال أَمَا إِنَّا قد سَأَلْنَا عن ذلك فقال أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لها قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إلى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُم اطِّلَاعَةً فقال هل تَشْتَهُونَ شيئا قالوا أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا فَفَعَلَ ذلك بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فلما رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا من أَنْ يُسْأَلُوا قالوا يا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا حتى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فلما رَأَى أَنْ ليس لهم حَاجَةٌ تُرِكُوا.** (صحيح مسلم: ح ١٨٨٧/ج٣/ص١٥٠٢).

أيضاً من الكلمات التي وردت في الآية الكريمة بصيغة نكره، كلمة "رزق"، وكلمة "فضل"، ولكون انه توجد صلة فيما بينهما لا بد لنا من الخوض فيهما معاً، فما دام أن هناك رزقاً من الله تعالى فهو فضل منه يؤتيه ويتفضل به على من يشاء من عباده، ومن أهم وأبرز هذا الرزق وهذا الفضل إضافة لما تشتهيه أنفسهم من الله تعالى لهؤلاء الشهداء، انه يرزقهم ويتفضل عليهم بأن جعل لهم الفردوس الأعلى، وجعل لهم رفقة الأنبياء، والصديقين، والصالحين، كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ

مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ النساء: الآيتان: ٦٩-٧٠.

و. قال عز شأنه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: آية: ١٨٥.

إن الوصف العام لهذه الآية الكريمة جاء مبتدئاً بحقيقة واقعية لا بد منها سواء ذكرها من تذكر أم غفل عنها من غفل. وهي حقيقة المصير المحتوم الذي لا مفر منه وهو الموت الذي قدره سبحانه وتعالى ليسري على جميع مخلوقاته من دون استثناء، فالجن والإنس يموتون وكذلك الملائكة وحملة العرش، حتى لا يبقى أحد في السموات والأرض، إلا وجهه الكريم، فينفرد الله بصفاته وأسمائه، فهو الأول والآخر، والواحد الأحد، الدائم والباقي، قال تعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: الآيتان: ٢٦-٢٧.

ولكن هل ينتهي المطاف عند هذا الحد؟.. كلا، إن بعد الموت حياة، وان بعد العمل ثواب وجزاء، فلا بد لمن أحسن نيل حسن الأجر، وللمسيء سوء الوزر.

بعد ذلك تأتي الآية الكريمة لتصور حال الخلق يوم الحساب بصورة فنية تتصف بالحركة وكأن فيها شداً وجذباً، وكأنما للنار جاذبية تشد إليها كل من حبط عمله، ويتزحزح عنها ويتجنبها كل من رفعه عمله، فيكون مصيره الفوز بالجنة لما يكون قد قدمه لهذا اليوم من عمل، من خلال إدراكه ويقينه بأن الدنيا فانية وأن نعيمها ومتاعها زائل وباطل، عندها يتحقق له الأجر الكريم من الله تعالى فيجنبه دخول النار ويدخله الجنة، وهذا هو الفوز العظيم.

قال ابن كثير: الآية فيها تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها وأنها فانية زائلة. (مختصر ابن كثير: ١ / ٣٤٣).

ز. قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ آل عمران: آية: ١٩٥.

جاءت هذه الآية الكريمة لتشمل عدة فئات من أصحاب الجنة من المؤمنين الملازمين للدعاء والأعمال الصالحة مع تخصيص جنسهم من ذكر أو أنثى، فهم سواء أمام الله من حيث أعمالهم وطاعاتهم، ومن حيث أصلهم الواحد، فلا فرق بينهم فيما يقدمونه من أعمال طيبة يتقربون فيها إلى الله تعالى، ومهما كانت طبيعة هذه الأعمال ومهما قلت أو كثرت، فإن ثوابها وأجرها عند الله لا يضيعان ولا ينقصان، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ الزلزلة: آية: ٧.

عن أم سلمة قالت قلت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾. (الطبري: ٧ / ٤٨٨).

ثم تأتي الآية بعد ذلك لتخص دخول الجنة بالفئة الأولى من المؤمنين السابقين للإسلام الذين هاجروا في سبيل ونصرة دين الله تاركين أهلهم وديارهم، والذين صبروا على شتى أنواع الأذى وألوان العذاب. ولكن مشيئة الله تعالى جاءت أيضاً لتجعل هذا التخصيص يمتد ليشمل إخوانهم اللاحقين من المؤمنين. فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان بكلماته وصفاته ومعانيه، فالمؤمن الذي يترك زهو الحياة ويقبل على الله تعالى، فهو مهاجر في سبيل الله، والمؤمن الذي يخرج بعمل فيه طاعة الله، فهو خروج في سبيل الله، والمؤمن الذي يصبر على الطاعات ويتحمل أذى الناس، فهو أذى في سبيل الله، والمؤمن الذي يثبت على الحق ويجاهد بلسانه وماله، والمؤمن الذي يكبح نزوات نفسه بجهاد النفس، فهو جهاد في سبيل الله. وهذا كله لا بد له من مكافأة وثواب، عندها تأتي استجابة الله تعالى لهذه الفئات من

المؤمنين بحسن الثواب لهم من عنده تعالى، فيستر ذنوبهم بالمغفرة، ثم يدخلهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار.

وهذه الجنات.. وهذه الأنهار جاءت متعددة لتتلاءم مع حسن الثواب، فهناك جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة المأوى... الخ. وهناك أيضاً أنهار متعددة تجري في هذه الجنان، منها ما هو من ماء غير آسن، ومنها أنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل.

والملاحظ هنا في هذه الآية الكريمة أن لفظ جنات ولفظ أنهار جاءت بصيغة نكرة لتفيد الإطلاق وعدم التقييد في معناهما وشمولهما، وهذا كله أيضاً يدخل في قدرة الله تعالى على حسن الثواب فيما أعده لعباد المؤمنين في جنته التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أما من حيث طبيعة جريان هذه الأنهار فإنه سيتم التفصيل فيها في الآية اللاحقة، حيث الآيتان الكريمتان قد جاءتا بنفس الوصف والمعنى.

ح. قال جل جلاله:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ آل عمران: آية: ١٩٨.

هنا ومن خلال سياق الآية الكريمة، ومن خلال ذكر التقوى فيها، فإنه تظهر لنا فئة أخرى من فئات أصحاب الجنة، هم المتقون الذين اتقوا ربهم فأدخلهم الله سبحانه وتعالى جناته، ولكن من هم هؤلاء المتقون؟ وما هي صفاتهم؟ وما هي أعمالهم التي استحقوا فيها تلك الجنات التي تجري من تحتها الأنهار؟

إن المتقين هم تلك الفئة من عباد الله المؤمنين الذين انغرست في وجدانهم وعقولهم أصول العقيدة الصحيحة التي انبثق عنها يقين الإيمان الناصع، فأيقنوا أن طريق الجنة حاف بالمشقة والعمل والتعب، وان طريق النار حاف بالتلذذ واللهو والراحة، فآثروا المشقة على اللهو فساروا مع منهج الله تعالى وتعاليمه فأحيوا في أنفسهم وزرعوا فيها بذور الإيمان اليقين الذي نبتت منه أعمالهم الصالحة، فأتمروا بأوامره وكفوا عن نواهيه، فوقوا أنفسهم النار وكل ما يقرب إليها من قول أو عمل.

لذا وجبت لهم هذه الجنات التي تجري من تحتها الأنهار.. وما أدرانا ما تلك الأنهار التي تجري، إنها أنهار غير الأنهار التي نعرفها في الدنيا، ففيها تتجلى آيات الله تعالى وقدرته وحسن ثوابه، لتنفرد بذلك عن أنهار الدنيا - وكل من عند الله - فتتعدد وتختلف أجناسها وتتنوع لتحوي أنهار اللبن والعسل والخمر والماء، وكلها تجري في الجنة غير جريان الدنيا، فهي لا تجري في أخدود، إنما تجري سائحة فوق وجه أرض الجنة وفي كل مكان منها، لترسم بذلك أبهى وأجمل المناظر في أعين أصحابها المتقين الذين نزلوا فيها بسبب إيمانهم بالله تعالى، ويقينهم بأن ما عند الله خير وأبقى، فكان حسن الأداء من عندهم، وجاء حسن العطاء والوفاء من عند ربهم.

قال المفسرون: جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة في الإكرام. (انظر: تفسير البغوي: ٣: ١٨٦. تفسير أبي السعود: ٥ / ٢٥٠. تفسير روح المعاني: ١٦ / ٥١).

وإن ما يزيد في سخاء العطاء لذة في قلوب أصحاب الجنة هو حال البقاء والخلود لكل ما في الجنة، لا حال الفناء والزوال كما في متاع الدنيا، وهذا معنى آخر، وعظيم من معاني الخير عند الله لعباده الأبرار.

٣- الجنة في آيات سورة النساء

أ. قال عز وجل:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ النساء: الآية: ١٣.

ملامح هذه الآية الكريمة جاءت بالإشارة إلى الحد الفاصل الذي يرسم ويوضح معالم الطريق القويم للمؤمنين، والذي لا بد من علمه ومعرفته، ومن ثم سلوكه دون انحراف أو اعوجاج، من اجل الوصول بثبات وطمأنينة إلى الجنة، والتي هي الغاية والمراد.

فتكشف الآية الكريمة عن شرائع الله تعالى وأحكامه، التي حدّها وأرادها لعباده كي يسيروا معها ولا يتعدوها أو يتجاوزوها. ولتكون هذه الأحكام الدستور الذي يحتكم إليه المؤمنون، ويقفوا أمامه كلا سواء بسواء، وفي كل زمان ومكان.

ومن هذه الأحكام ما يتعلق بحقوق اليتامى والنساء - خاصة اليتيمات - والميراث والمهور. (انظر: صفوة التفاسير: ١ / ٢٣٤ - ٢٤١).

ومن هنا تنطلق الحريات، وتحفظ الحقوق، وتعرف الواجبات، فلا يبغي أحد على أحد مهما كان حجم التضحيات. فالمؤمن المطبق لهذه الأحكام يعلم حق العلم أن تنفيذ هذه الأحكام فيه طاعة لله ولرسوله، فتسهل عليه وتقوده إلى الفوز العظيم.

ب. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ النساء: الآية: ٥٧.

إن الأعمال التي يأتي بها البشر كثيرة ومتنوعة، بعضها متشابهة فيما بينها،

وبعضها الآخر مختلف، فمنها ما هو محمود ومرغوب، ومنها ما هو مبغوض ومرفوض، ومنها ما يجمع بين ذلك، لذا كان لا بد من وجود ضابط يضبط هذه الأعمال ويميزها عن بعضها البعض. فجاء الإسلام بهذا الضابط، ونماه في قلوب المسلمين وهو الإيمان الحق الذي تنبثق منه الأعمال الصالحة، وقد تكون الأعمال الصالحة موجودة قبل الإسلام كما يقول أي قائل، ونحن لا ننكر ذلك، ونقول نعم، لقد كانت هناك أعمال صالحة قبل الإسلام وحتى إن بعضها كان موجوداً في الجاهلية، وعندما جاء الإسلام لم ينكرها ولم يقلل من أهميتها وشأنها، بل قام بتنميتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة ليكون الهدف منها وجه الله تعالى. فرسول الله ﷺ يقول في الحديث الشريف: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" (سنن البيهقي الكبرى: ح ٢٠٥٧١/ج١٠/ص١٩١)، فلا مجال لتفاديها أو طمسها.

وهي أيضاً جاءت مواكبة لما جاءت به الرسالات السماوية السابقة، والتي مصدرها ينبع من عين واحدة، لكن تباعد الأزمان وتفشي الظلم والطغيان حولا مسارها وبدلا من معانيها، فما نفع من يسقي الحجيج وهو بالله مشرك، وما نفع من يطعم الطعام ليوصف بالكرم.

فلما جاء الإسلام أعاد التصور الطبيعي إلى مكانه، ورتب الألفاظ مع معانيها، فربط الإيمان الصحيح مع العمل الصالح برابط واحد ليسيرا معا.

فلا يكفي إيمان دون عمل صالح، ولا عمل صالح دون إيمان، وهذا كله يختص به المؤمن المتطلع إلى الثواب الأكبر، أما فيما يختص به الكافر من قيامه ببعض الأعمال الصالحة، فإن الله تعالى يكافئه عليها في الدنيا ويحرمه أجرها في الآخرة، وحسب إرادة الله تعالى ومشيئته.

من هنا نجد أن معظم الآيات القرآنية التي ذكرت أعمال أهل الجنة جاءت مقرونة مع الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ سورة الكهف : الآية : ١٠٧.

وما جزاء الإيمان والعمل الصالح إلا الفوز بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وليس هذا فحسب، إنما يزيد الله عليها حال الخلود، فهناك خلود

لأصحابها، وخلود لنعيمها.. ونعيمها يتعدى ويمتد ليشمل أزواجها المطهرة النقية والبهية، الخالية من الحيض والدنس والعيوب.

ثم إن لهم مع جُل ذلك النعيم ظلاً ظليلا، لا فيه حر شمس ولا زمهرير برد. فيستظلون بهذه الظلال الممتدة أينما كانوا، ومتى شاءوا.

قال المفسرون: ﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾: أي ندخلهم ظلاً كنيناً لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا برد، وهو ظل ممتد ودائم لا ينتقل كما هو حال ظل الدنيا. (انظر: تفسير البغوي: ١ / ٤٤٣. جامع البيان، للطبري: م ٤ / ١٤٤. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢ / ٦٦.)

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾ النساء: الآية: ١٢٢.

بعد أن يستقر الإيمان في قلب المؤمن لا بد من أن تنبثق عنه أعماله الصالحة المواكبة لطاعة الله تعالى، وعدم عصيانه فيما شرعه من شرائع، أو فيما حد من حدود. عند ذلك يكون القبول من الله تعالى لهذه الأعمال، وفي هذا الكلام دعوة وتبيان من الله سبحانه وتعالى للناس كافة أن ميزان ودرجة قبول الأعمال مرتبطان ومقرونان مع الإيمان ودرجاته، فكما أن للكفر درجات، فإن للإيمان درجات، وعليه تكون درجة التقبل عند الله، وقد يقوم المؤمن بعمل صالح من ضمن أعماله الصالحة ولا يلقي له بالا، فيدخله هذا العمل في الدرجات العلا من الجنة، لا يسابقه ولا ينافسه عليها أحد إلا من جاء بمثل هذا العمل وزاد عليه فضلاً.

وبعد القبول من الله تعالى لهذه الأعمال، يأتي الوعد الحق منه تعالى في الثواب العظيم فيما وعدهم إياه، فينبري صدق الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً، انه الصدق المطلق الحق الذي لا لبس ولا غرور فيه، وصدق الله العظيم في الأولى والآخرة.

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ أي ومن أصدق من الله قولاً؟ والاستفهام معناه

النفي، أي لا أحد أصدق قولاً من الله.

قال أبو السعود: المقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه. (تفسير أبي السعود: ١ /٣٨٤).

د. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ النساء: الآية: ١٢٤.

يبرز من خلال هذه الآية الكريمة نص ضمني يظهر عدل الله في ثواب أصحاب الأعمال الصالحة دون محاباة أو تمييز.

ومع أن الأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان ليست حكرا على أحد، أو على فئة معينة من المؤمنين، إلا أن هذه الآية الكريمة جاءت بنص صريح يبين فيه وحدة القاعدة في معاملة شقي النفس الواحدة، ذكراً كان أم أنثى وعلى السواء، فهم سواسية في ميزان الأعمال عند الله تعالى. وفي هذا بشرى للمؤمنين والمؤمنات، لأن ثواب العمل الصالح المقرون بالإيمان هو عند الله تعالى متساو فيما بينهم في الأجر، ولا يطغى بعضهم على بعض، ولا تمييز فيما بينهم على حساب الجنس أو المكانة الاجتماعية أو الشكل واللون، إنما الثواب يكون بدرجة أعمالهم الصالحة التي يرفعهم الله بها يوم الحساب، الذي لا يظلم الله فيه أحداً، إلا من ظلم نفسه فحق عليه القول.

قال المفسرون: ومن يعمل من الصالحات سواء كان ذكراً أم أنثى بشرط الإيمان فإن الله تعالى يدخلهم الجنة ولا ينقصون شيئاً حقيراً من ثواب أعمالهم كيف لا والمجازي أرحم الراحمين!! والنقير: الثقب الدقيق في نواة التمرة. (انظر: صفوة التفاسير: ٢٨٢/١. تفسير الجلالين الميسر ص ٩٨).

٤- الجنة في آيات سورة المائدة

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة: الآية: ١٢.

يستخدم القرآن الكريم طرقاً شتى في ذكر الأحداث والقضايا من أجل إيصال المعنى المراد لها، ومن أجل الوصول إلى الغاية المرجوة منها، لتكون فائدتها عامة لسائر البشر، بالرغم من طرحها بأسلوب الخصوصية لفئة معينة من الناس، فتكون بذلك، الصورة المستوحاة منها العبر والدروس التي يستقي منها جميع الناس، فيعتبرون، ولا يقعون في سوء ما وقع فيه غيرهم من الوزر ممن هم معهم أو ممن سبقهم من الناس.

ومن هنا جاءت هذه الآية الكريمة تتحدث بصفة خاصة عن بني إسرائيل - والعبرة والذكرى لهم ولمن بعدهم من العباد - وتستعرض مواقفهم من مواثيقهم مع الله تعالى في زمن سيدنا موسى عليه السلام، وما حل بهم نتيجة نقضهم لهذه المواثيق، ثم تستعرض استغفار موسى عليه السلام لهم في كل مرة كانوا ينقضون فيها عهدهم وميثاقهم مع الله، فتأتي هذه الآية الكريمة لتضع الحد الفاصل بين الكفر وبين الإيمان، وبين من يفي بالعهود وبين من ينقضها، فكلاهما مختلف عن الآخر باختلاف مسار الطريق ومصيره.. لا يلتقيان في حال من الأحوال، ولكل شق منهما جزاء.. إما إلى جنة، وإما إلى نار، فمن أحسن فقد أحسن لنفسه، وهل جزاء

الإحسان إلا الإحسان، ومن أساء فعليها.

بعد ذلك تسير الآية الكريمة وتفصل كيفية سير الميثاق الذي أقرة الله لسيدنا موسى عليه السلام مع قومه، والنحو الذي سيكون عليه هذه المرة.

فكان أن أقام الله تعالى عليهم العهد وبعث من كل سبط منهم نقيباً وهو الكفيل والأمين - وقد كانوا اثني عشر نقيبا - يكون كل نقيب منهم كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد، يوثقه عليهم، ويذكرهم به في كل حين، وأن الله تعالى معهم ومناصرهم ما داموا على العهد، وما داموا سائرين على النهج القويم للدين ومؤدين لتعاليمه من صلاة، وزكاة، وإيمان بسائر الرسل ومناصرتهم ونصرتهم، وما داموا منفقين في سبيل الله.

بعد ذلك يأتي الكلم الفصل من الله تعالى في الثواب والعقاب، فمن أوفى بالعهد، كفّر الله تعالى عنه سيئاته، وأدخله جناته التي تجري من تحتها الأنهار. ومن نقض العهد، وسار على غير طريقه ونهجه، فقد أورد نفسه النار، ويكون ممن ضل به السبيل.

قال سيد قطب: لقد كان ميثاق الله مع بني إسرائيل ميثاقاً بين طرفين، متضمناً شرطاً وجزاء. والنص القرآني يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، بعد ذكر عقد الميثاق وملابسات عقده.. لقد كان عقداً مع نقباء بني إسرائيل الاثني عشر، الذين يمثلون فروع بيت يعقوب - وهو إسرائيل - وهم ذرية الأسباط - أحفاد يعقوب - وعدتهم اثنا عشر سبطاً.. (في ظلال القرآن: ٢/٨٥٧).

ب. قال عز وجل:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ المائدة: آية: ٦٥.

إن الله سبحانه وتعالى خلق هذه البسيطة وسخر ما فيها لبني البشر، ولتنقضي مشيئته الأولى في خلافتهم لهذه الأرض وإعمارها بالخير، كان لا بد من رسم معالم الطريق الذي يهديهم إلى سواء السبيل، فأرسل لهم رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين ومبلغين عنه أوامره وتعليماته ونواهيه.

وبما أن أصل التشريع واحد وهو من عند الله عز وجل جاءت جميع الرسالات السماوية بنفس الهدف والغاية، فما من نبي أو رسول أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه إلا دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وحده وأن لا يشركوا به شيئا. فجاءت رسالة سيدنا محمد ﷺ تدعو إلى ما دعا إليه سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام، إلا أن رسالة سيدنا محمد ﷺ جاءت للناس كافة كونها خاتمة للرسالات السماوية وشاملة لها، فكان حقا على أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بما دعا إليه سيدنا محمد ﷺ في رسالته لما عرفوه عندهم في كتبهم، إلا أنهم أخذتهم العزة بالإثم فكفروا بها كما كفروا من قبل، إلا قليل منهم آمنوا لما عرفوه من الحق.

فجاءت هذه الآية الكريمة تبين وتذكر المؤمنين وأهل الكتاب معا بواقع وحال من لو قد آمن منهم واتقى الله تعالى فيما آتاه، لكفر الله عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم، وهذا هو جزاؤهم في الآخرة، وهو نفس جزاء من آمن بالله واليوم الآخر من قبل ومن بعد.

قال المفسرون: أهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. (تفسير الجلالين الميسر: ص١١٩).

ج. قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائدة: آية: ٧٢.

أوردت هذه الآية الكريمة دلالات وحقائق قوية وواضحة عن صفة الإيمان الحق بالله تعالى، بالإضافة إلى دحض ما قاله ويقوله أهل الكتاب من كذب وافتراء بحق الله تعالى وبحق نبيه عيسى عليه السلام.

فتسير معهم الآية الكريمة لتكشف زيغ كذبهم وسوء افترائهم فيما قالوه من كفر وبهتان. ثم تأتي بشهادة نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام الذي بعثه فيهم

لتكون القول الفصل فيما وصفوه به من الألوهية، فتحط الكفر عليهم وترفع الإيمان عنهم.

قال أبو السعود: وهؤلاء الذين قالوا إن مريم ولدت إلهاً هم " اليعقوبية " زعموا أن الله تعالى حلّ في ذات عيسى واتحد به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (تفسير أبي السعود: ٢/٤٩).

فليتذكر من تذكر وليعتبر من اعتبر، فها هو سيدنا عيسى عليه السلام يقر ويعترف أمامهم بصفة العبودية لله تعالى وحده، ويحذرهم من سوء افترائهم وفحش قولهم، ثم يوجههم إلى عبادة الله وحده وأن لا يشركوا به شيئا، وإلا كانت عاقبتهم بأن يحرمهم الله تعالى ويمنعهم من دخول الجنة، فيؤولوا إلى النار ولن يجدوا من دون الله من يشفع لهم أو يمنعهم من دخولها.

وهكذا تكون هذه الآية الكريمة قد خطت معيار الإيمان الأمثل لله تعالى وبينت أن من يشرك به شيئا فقد ظلم نفسه، وما من ظلم أعظم من الشرك بالله، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: آية: ١٣.

د. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ المائدة: آية: ٨٥.

أقرت الديانات السماوية كافة مبدأي الثواب والعقاب عدلاً من الله تعالى، ورحمة منه بعباده الصالحين، وحداً يقف عنده المتسلطون.

وإن المتأمل بهذين المبدأين اللذين لا يخفيان على صاحب ذي لب وبصيرة سواء أكان مؤمناً أم كافراً، ليجد فيهما أساس الصلاح في عمارة هذه الأرض واستمرارية العطاء المؤدي إلى بقاء الخير فيها. فما الذي يدفع ذاك العامل على الكد والتعب أو ذاك الطالب على السهر والجد في طلب العلم، أو ذاك المتعبد على أن يكسر ساعات النوم في الصلاة والتهجد، هذا من جانب، أما من الجانب

الآخر، فما الذي يمنع المسيء من الإساءة، أو التاجر من الاحتكار والزيادة، أو السارق عن الكف عن مزاولته للسرقة. انه لا شك مبدأ الثواب ومبدأ العقاب، وعليه فإننا نجد أن سائر الأعمال تندرج تحت ظلهما وتسير معهما سيراً متزناً لا يطغى أحدهما على الآخر، أو يفصل فيما بينهما أو يهمل، فلولا الثواب لما كان هناك عقاب والعكس صحيح أيضاً.

ومن هذا المنطلق كان لا بد من وجود سبل تبين وتوضح المصب الذي تصب فيه سائر الأعمال، لذا تم إيجاد ما يعرف بالقانون، ليكون المحرك والمثبت لهذه الأعمال، وهذا القانون سواء أكان إلهيا أم وضعيا من عند البشر فإنه قد أفرد المنطلق الأساس الذي يسير عليه من خلال مبدأ "انه لا جريمة بدون عقاب ولا عقاب بدون نص ولا نص من غير تشريع". وهكذا يتضح الطريق للجميع فتبدو معالمه جلية في كل زمان ومكان.

وقد يتأخر أو يتقدم الثواب كما هو حال العقاب أيضاً، وإذا ما تأخر الثواب أو العقاب فإن الشك يساور تلك الفئة من المؤلفة قلوبهم، قليلي المعرفة في الدين، فيذهبون بفكرهم بعيدا ويظنون بالله الظنون، أما تلك الفئة من أصحاب الإيمان الراسخ فإنهم يعلمون كل العلم أن الله هو العدل القادر على كل شيء، يجري مشيئته كيفما يشاء ووقت ما يشاء، فيقدم الجزاء أو يؤخره بحكمة منه رأفة بعباده، أو ردعا لهم، فمن عجل له من خير أو شر في دنياه.. فليتعظ، ومن تأخر عليه من خير أو شر.. فليتدبر وليتفكر.

وبعد هذا الشرح البسيط نعود إلى الآية الكريمة لنجدها تشير إلى ثواب تلك الفئة المؤمنة القليلة من الرعيل الأول من أهل الكتاب الذين لم تخف عليهم شمس الحق بالرغم من محاولة أقران السوء من أهلهم الكفرة أن يخفوا عنهم هذا النور بالباطل، ولكن هيهات يكون لهم ذلك، فالله متم نوره ولو كره الكافرون. فلما كان هذا الإيمان وهذا اليقين عندهم بادروا في اتباع ما انزل الله على خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فآمنوا سرا وجهرا، وصبر من جهر، واحتسب من أستر. ولكل منهم ثواب عند الله فيما أحسن وهو ثواب الخلود في جنات الله التي تجري من تحتها

الأنهار، وهو الثواب الذي يستحقه كل محسن في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال ابن عباس عن هذه الآية وما سبقها من الآيات: نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم. (تفسير ابن كثير: ١/٥٣٩).

وحال هؤلاء يشمل أيضاً حال فريق من أتباع عيسى عليه السلام: "الذين قالوا: إنا نصارى".. وتقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا.. (انظر: في ظلال القرآن: ٢/٩٦٢).

هـ. قال تعالى:

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ المائدة: آية: ١١٩.

تظهر هذه الآية الكريمة صفة من صفات أهل الجنة التي يحبها الله ورسوله، ويأمر بها، هي صفة الصدق، وهذه الكلمة أو الصفة تمتد وبشكل ضروري لتشمل كل نواحي الحياة، فتكون الأساس والقاعدة التي تنطلق منها سير المعاملات الدنيوية والدينية، وتكفل لها سبل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وللوصول إلى هذه الغاية، فإنه لا بد من إيصال الصدق وبثه في كل اتجاه، ثم تنويعه ليشمل الصدق في القول والعمل، والصدق في الاعتقاد، والصدق في التبليغ، والصدق مع الله، والصدق مع النفس..... الخ. فكل هذه الأنواع تؤدي إلى النجاة وحسن الأجر والثواب. والنقيض من هذه الصفة هو الكذب، وهو يسير باتجاه مناقض ومعاكس لمعنى وصفة الصدق.

عن مَنْصُورٍ عن **أَبِي وَائِلٍ** عن **عبد اللهِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:** "**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**". (صحيح البخاري: ح ٥٧٤٣/ج٥/ص٢٢٦١).

وقد يظن أحدهم، أو تضعف نفسه فيظن أن في الكذب نجاة، لكننا نقول له: هيهات يكون ذلك، فإذا ما كان في الكذب ما قد ينجّي، فإن في الصدق ما هو أنجى مهما طال الوقت أو قصر ومهما تأخر بزوغ الفجر فلا بد للنور من أن يشرق، فيحق الحق، ويبطل الباطل ويدمغه، قال تعالى:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الأنبياء: الآية: ١٨.

نعود ونستكمل، لنجد أن الله تعالى ابتدأ الآية الكريمة بقوله: "**قال الله**"، إشارة منه - وهو أصدق القائلين - إلى صدق القول والفعل، وحثاً منه تعالى عليه للناس، وأن لا يخوضوا فيما لا يعلمونه كي لا يقعوا بحبائل الكذب والافتراء على الله وعلى أنفسهم.

ومع أن الآية الكريمة قد جاءت مكملة ومتممة لما سبقها من الآيات وذلك من خلال ذكر أهل الكتاب، وبيان حال كل فئة منهم مع أنبيائهم، إلا أن الله تعالى أوردها بشكل ملائم لتشمل بني إسرائيل ومن بعدهم من سائر العباد، وقد حدد الله تعالى صفة الصدق على الصادقين، وخصهم " بال التعريف" لبيان معرفته بهم، كما جاء بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾، وأورد نوع صدقهم بصيغة النكرة إشارة لكثرة ما جاءوا به من الصدق، وكما جاء بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ ﴾، ليكون في ذلك منفعة وزيادة لهم في الأجر يوم القيامة بعد أن رضي الله عنهم لما قدموه من طاعات، ورضوا بثواب الله بدخولهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار، وذلك هو الجزاء والفوز العظيم.

وقد بين المفسرون أن الكاذبين في الدنيا لا ينفعهم تصديقهم بهذا اليوم - يوم القيامة - كالكفار لمّا يؤمنون فيه عند رؤية العذاب. (تفسير الجلالين الميسر: ص١٢٧).

٥- الجنة في سورة الأنعام

ذكر الله تعالى الجنة في هذه السورة في آية واحدة من ضمن آياتها المائة وخمس وستين، وجاء ذكرها بأحد أسمائها، وكما يظهر في قوله تعالى:

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ الأنعام: آية ١٢٧.

إن الله تعالى هو الخالق لهذه النفس البشرية، وهو الأعلم بما يخالجها من مشاعر وأحاسيس، منها ما يؤدي إلى استقرارها وهدوئها، ومنها ما يكدرها ويزعجها، فتبقى دائما حائرة وخائفة ومترقبة، وقد يدفعها خوفها من المجهول إلى الاستكانة والابتعاد عن الطريق المستقيم بما تكون قد حوته من وسواس وأفكار خاطئة تضل بها نفسها أو غيرها. لذا أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله إلى عباده ليبينوا ويوضحوا لهم سبل الهداية، كي تطمئن قلوبهم وتركن نفوسهم إذا ما ساروا على هذا الدرب، الدرب الذي رسمه وأقره الله تعالى لهم، فسيدنا موسى عليه السلام اطمأن قلبه وهدأ روعه عندما أيقن أن الله تعالى معه ومع أخيه، يسمع ويرى عند بداية دعوته لفرعون مصر، ذاك الطاغية المتكبر.

وما إن جاءت دعوة الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالتبليغ عنه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ سورة المدثر: الآيات: ١ - ٧.

أيقن رسول الله ﷺ، حجم ما سيلاقيه من وراء هذا التكليف العظيم هو ومن يؤمن به من أذى، وخوف، وقلق، وعذاب. لذا شاء الله تعالى وهو العليم بكل حال أن يثبت فؤاد المؤمنين، فأمر نبيه أن يبشرهم لقاء خوفهم وصبرهم على شتى أنواع العذاب في هذه الدار، بأن الله تعالى قد جعل لهم يوم القيامة داراً أخرى غير هذه الدار التي هم فيها، وهذه الدار هي دار السلام التي لا فيها خوف ولا وصب، ولا هم ولا تعب، وهي دار الأمن والأمان، وجنة الرحمن التي يكثر فيها السلم

والسلامة والسلام، والسلم هنا سلم من كل عيب ونقص، والسلامة.. سلامة من دخول النار، والسلام.. من كثرة ما يطرح فيها من السلام. ولهذا سمّى الله تعالى الجنة بهذا الاسم الذي تطمئن به أنفس المؤمنين الذين تولاهم الله تعالى في الدنيا، وأعانهم على دخولها في الآخرة بما كانوا يعملون.

قال ابن كثير: وإنما وصف تعالى الجنة هنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفضوا إلى دار السلام. (مختصر ابن كثير: ١/٦١٨).

٦- الجنة في آيات سورة الأعراف

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: آية: ١٩.

تعددت آراء المفسرين في هذه الآية الكريمة وما سبقتها من آيات تتعلق بقضية خلق الله تعالى لسيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام، ومن هذه الآراء ما تقارب ومنها ما تباعد عن بعضه البعض من حيث أساس وهدف خلقه، ومن حيث أيضاً حوار الله تعالى مع ملائكته قبل وبعد خلقه، وأخيراً من حيث طبيعة ومكان الجنة التي أسكنه الله تعالى إياها هو وزوجه والأحداث التي جرت فيها.

ولتفسير هذه الآية الكريمة لا بد لنا من المرور ومن خلال ما تقدم راجياً من الله تعالى أن يوفقني ويلهمني إلى ما فيه رضاه، والى ما فيه من الخير والفائدة.

إن الهدف الأساس من خلق الله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام كان خلافة هذه الأرض وإعمارها بالخير، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة: آية: ٣٠.

وفي كلمة الخلافة، معنى يحوي مسؤولية كبرى وضخمة فيما يتمثل من حمله لهذه الأمانة التي اختصه الله تعالى بحملها فيما بعد.

قال سيد قطب: فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده.. في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه. (انظر: في ظلال القرآن: ١/٥٦).

ولما كان الله بعلمه مدركاً لحجم وعظم هذه المسؤولية التي انيطت بهذا

المخلوق، كان لا بد من أن يعده الإعداد الصحيح لهذه المهمة، ومن خلال الدروس التالية:

أولاً - التكريم:

والتكريم هو من الكرامة والعزة ورفعة الشأن والمقدار، فجاء تكريم الله لسيدنا آدم عليه السلام بأن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وبهذه الكرامة حقت لآدم عليه السلام سائر الكرامات، فرفعه الله تعالى بها وفضله على سائر مخلوقاته بمن فيهم ملائكته بأن أمرهم بالسجود له، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ سورة الحجر: آية: ٢٩ .

قال سيد قطب: هذه النفخة التي تصله بالملأ الأعلى، وتجعله أهلاً للاتصال بالله وللتلقي عنه. (انظر في ظلال القرآن: ٢١٣٩/٤).

وتكريم الله لسيدنا آدم عليه السلام هو تكريم له ولسائر ذريته من بعده، وكلهم متساوون في هذا التكريم، ولا فرق بينهم أمام الله تعالى إلا في ميزان التقوى. فعجباً لأولئك المتجبرين في الأرض، المتكبرين على الناس، المستخفين بعقولهم استخفافاً دنيئاً حتى أوصلوهم فيه إلى عبادتهم من دون الله، فأوردوهم النار، ولو أن هؤلاء المتعبدون فطنوا إلى معنى هذا التكريم لما وقعوا في مثل هذا الهوان، ولا خسروا هذه الكرامة التي خصهم الله تعالى بها في خلافة هذه الأرض.

ثانيا - التعليم:

قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة البقرة: آية: ٣١.

ولأن العلم يعد ركناً أساسياً وضرورياً في صلاح ونجاح خلافة آدم عليه السلام لهذه الأرض، علّم الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام عِلْمَ الأسماء الذي تنطلق منه سائر أنواع العلوم التي تؤهله وتسهل له السبل في خلافة هذه الأرض. وفي علم الأسماء أيضاً ضرورة ملحة لدوام وبقاء التواصل بين الخلق من حيث

معرفة كل شيء بمسماه، فلا تكفي الإشارة إلى الأشياء أو احضارها من أجل ايصال المعنى المراد من مجرى الكلام وسياق الحديث، فقد يأتي الحديث عن شيء غائب، فكيف ستتم الإشارة إليه؟! أو قد يكون عن شيء مما لا يمكن جلبه أو إحضاره، مثل الجبل، والشجر، أو البحر... الخ. فكيف عندها سيصل المعنى المراد؟ وكيف سيستمر التواصل بين الخلق؟! (انظر: في ظلال القرآن: ١/٥٧).

لذا كان لا بد من هذا العلم الأول والأساسي كي يتعلمه هذا الإنسان، كي ينطلق منه إلى سائر العلوم ليتعلمها- وفي هذا دعوة وحث من الله تعالى لعباده على طلب العلم- فإذا ما كان أول درس من الله تعالى لسيدنا آدم عليه السلام، وهو أول الأنبياء، أن كان العلم، فلا بد من أن يأتي أول درس لخاتم الأنبياء محمد ﷺ، بنفس الدرس وهو العلم، قال تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ سورة العلق: الآيات: ١- ٥.

وأخيراً فإنه ومن خلال العلم يستطيع الإنسان أن يتوصل إلى الحقيقة الكبرى لهذا الوجود، وهي معرفة الله تعالى وعبادته.

ثالثاً - الطاعة:

قال تعالى:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ١٩.

ويظهر معنى الطاعة في هذه الآية الكريمة، والمختصة بما نحن فيه من هذا الكتاب، من خلال صيغة النهي الواردة مع الفعل في الكلمة (ولا تقربا) .

والطاعة هنا هي الامتثال لله تعالى وحده في أوامره ونواهيه وتعاليمه، ثم الطاعة لأنبيائه ورسله، ولمن يأتي من بعدهم ممن طاعتهم تكون في طاعة الخالق، وفي غير معصيته.

ومن هنا تبرز الأدوار فتعرف الواجبات، وتتفجر الطاقات، فتواكب المسار الصحيح في خلافة هذه الأرض.

رابعاً - التوبة والاستغفار:

إن الله تعالى خالق كل شيء، هو من خلق سيدنا آدم عليه السلام، وهو العالم بعلمه بما يدور في نفسه وخلده، لذا فهو يعلم ويعرف كل ما يمكن أن يقوي إيمان هذه النفس البشرية، وكل ما يمكن أن يضعفها.

وحتى لا تقع هذه النفس في دائرة محظورات ما نهيت عنه، فتخرج من رحمة ربها، وذلك نتيجة ما يشوب فطرتها من الخطأ والنسيان، أوجد الله تعالى لهذه النفس باباً يوصلها دائما إلى مغفرته ورحمته إذا ما أخطأت، وهذا الباب هو باب التوبة والاستغفار، كي تنطلق منه وهي مطمئنة بهذه الرحمة في خلافة هذه الأرض بالشكل الصحيح، ثم لتحقق النصر في معركتها القادمة.. معركة الخير والشر.

خامساً - الجزاء:

والجزاء هنا هو الجزاء من الله تعالى لسائر الأعمال، ويقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وهو جزاء الأعمال الصالحة، وثواب وجزاء هذه الأعمال الجنة.

القسم الثاني: وهو فيما يخص الأعمال السيئة، والتي يكون جزاؤها ومصيرها النار.

ومن هنا فإنه يتضح مسار كل عمل وجزائه، ومدى ملاءمته في إدخال صاحبه النار أو الجنة.. هذه الجنة التي لم يخلقها الله تعالى أصلاً إلا ليكون فيها هذا المخلوق، إلا من أبى.

وأما فيما يخص هذه الجنة التي كان يسكنها سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام، فإننا لا نعلم عنها شيئاً إلا أنها كانت جنة الاختبار لسيدنا آدم عليه السلام، وأن معرفة مكانها لا يزيد في علم معرفتنا شيئاً. وأما فيما يخص بقية تفسير هذه الآية، فقد جاء ذكره في الآية (٣٥) من سورة البقرة.

وأخيراً ومن خلال كل ما تقدم، فإننا نخلص إلى أن النجاح في أية مهمة لا

يصح ولا يجوز إلا من خلال الإعداد الصحيح لها، لذا جاءت مشيئة الله تعالى على أن يعد سيدنا آدم عليه السلام بكل هذه الدروس، كي يصل هو وذريته، ومن أطاع منهم إلى طريق النجاح في خلافة هذه الأرض ليعودوا من جديد فيدخلوا جنته خالدين ومخلدين فيها، وكل ما فيها مباح ولا شيء فيها مقطوع ولا ممنوع هذه المرة.

قال سيد قطب: وإذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية. (في ظلال القرآن: ١/ ٥٦).

ب. قال جل جلاله:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ٢٢.

تظهر هذه الآية الكريمة جزءاً من أجزاء قصة سيدنا آدم عليه السلام ومعركته مع الخير والشر التي ابتدأت منذ اللحظة الأولى التي خلقه الله تعالى فيها، وبعد أن كرمه وفضله على سائر مخلوقاته بأن أمر ملائكته وبحضور إبليس بالسجود له، فكان أن سجدت الملائكة أجمعين إلا إبليس اللعين أبى أن يكون مع الساجدين، أبى إلا ليطلق شرارة هذه المعركة بكبريائه وعصيانه لله تعالى، وأبى إلا لينشئ هذه العداوة بينه وبين سيدنا ادم عليه السلام، وذريته من بعده، ومن ثم توعده لهم بالشر والإغواء في كل حين، وكما ظهر من دعائه الأخير لله تعالى بالبقاء والخلود إلى يوم يبعثون، وبعد أن طرده الله تعالى من رحمته ولعنه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ

يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة الحجر: الآيات: ٣٤ - ٣٩.

فتسير المعركة، ويسكن الله تعالى سيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام الجنة، ثم يحذرهما ويبين لهما عدوهما اللدود إبليس، وتأتي بعد ذلك ساعة الاختبار، اختبار الطاعة لله تعالى، فيبيح الله تعالى كل ما في الجنة لسيدنا آدم وزوجه إلا شجرة واحدة، هي شجرة اختبار الطاعة، ولم يحدد القرآن الكريم جنس ولا نوع هذه الشجرة، لأن الحكمة من ذكرها ليس لإبراز نوعها أو جنسها، بل هي حكمة الامتناع عن المحظور تمشيا مع إرادة الله وطاعته. (انظر: صفوة التفاسير: ١/٤٠٧).

ومن هنا بدأ إبليس مناوراته وبث وسواسه في نفس سيدنا آدم ونفس زوجه حواء عليهما السلام، لما كان قد عرفه عن طبيعة هذه النفس البشرية، ولا ندري كيف تمت له هذه المعرفة، فيبدأ مستغلاً ومعتمداً على نقاط الضعف الفطري التي أوجدها الله تعالى في هذه النفس والتي يمكن اتقاؤها وتقويتها بالإيمان والذكر، فالمؤمن الذاكر والمواظب على الطاعات ليس للشيطان عليه من سلطان، ولا لكيده عليه من تأثير، إنما سلطانه وتأثيره على المؤمن ضعيف الإيمان قليل الذكر والتذكر.

ومن أبرز نقاط الضعف الموجودة في النفس البشرية هي حب الشهوات بلا استثناء. ومن أقوى هذه الشهوات شهوتا الملك الدائم، والعمر الخالد. ومن هنا دخل إبليس بوسوسته وإغوائه على سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام، فأخذ يجمل ويزيّن لهما ما نهاهما الله عنه، كي يخرجهما من طاعة الله ويدخلهما في معصيته فتدنو مرتبتهما وتنحط منزلتهما، وهذا معنى اللفظ "فدلاهما" الوارد في الآية الكريمة، لأن في الطاعة منزلة عليا تسمو وترتفع بها النفس البشرية عند الله تعالى، وفي المعصية انحطاط لها ودنو.

قال سيد قطب: لقد أنزلهما الشيطان بهذا الغرور من طاعة الله إلى معصيته، فأنزلهما إلى مرتبة دنيا. (في ظلال القرآن: ٣/١٢٦٩).

لذا فإن الأعمال الصالحة ترفع المؤمنين إلى مصاف الدرجات العلا في الجنة، وأعمال الكافرين السيئة تحط بهم إلى أدنى دركات النار.

واستمر الشيطان بوسوسته وإغوائه، ونصحه الزائف، لآدم وزوجه حواء عليهما السلام، حتى طغت عليهما شهوتهما في حب الخلود والملك، فنسيا تحت تأثير هذه الشهوة أنه عدوهما اللدود الذي لا يمكن أن ينصحهما بخير، فامتدت يداهما إلى ما نهاهما الله تعالى عنه، فلما ذاقا الشجرة ظهرت لهما عوراتهما التي سترها الله عنهم قبل معصيتهما له، فذهبا يجمعان من ورق الجنة وأخذا يلزقانه معا كي يواريا ويخفيا به ما ظهر وبدا لهما من هذه العورة.

قال القرطبي: أي جعلا يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به. (تفسير القرطبي: ٧ /١٨١).

ثم بعد ذلك يأتي النداء الإلهي لهما بالتذكير واللوم، فيذكرهما ربهما بما كان قد نهاهما عنه، وبما كان قد أظهره وبينه لهم من عداوة إبليس لهما.

وبهذه المعصية تكون الخدعة قد تمت، وأنزلهما الشيطان من مرتبة الطاعة والسمو إلى مرتبه العصيان والدنو.

ج. قال تعالى:

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ٢٧.

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق الجنة إلا ليكون فيها هذا المخلوق البشري، وان طريق الخلود فيها لا يكون إلا من خلال طريق الدنيا، وقد حف الله تعالى هذا الطريق بالمكاره ليميز الخبيث من الطيب، والمحسن من المسيء.

وقد أوجد الله تعالى الموازين والقيم التي تقود إلى الجنة حرصاً منه تعالى على هذا المخلوق على بلوغها والخلود فيها والتمتع بكل ما فيها دون قيد أو شرط، إذا ما انتصر في معركته مع الشيطان.

وبما أن هذه المعركة ما زالت قائمة، فقد جاءت التوجيهات السماوية في هذه الآية من الله تعالى لذرية آدم عليه السلام لتحثهم على التفكر والتأمل والتذكر،

فتذكرهم بالمصير والنتيجة التي آل إليها أبواهما آدم وحواء عندما اتبعا وسوسة الشيطان وإغواءه لهما، وفتنته التي أخرجتهما من دائرة الطاعة لله إلى دائرة العصيان، التي حطت من مكانتهما ومنزلتهما وكشفت لهما ما كان قد وارى الله تعالى عنهما من سوءاتهما عندما كانا في الجنة، والسوءة هي العورة، وقد يكون سبب تسميتها بذلك كونها تسوء صاحبها إذا ما انكشفت أو تكشفت. قال المفسرون: وهذا هدف اللعين أن يهتك الستر عن الإنسان ويعريه من جميع الفضائل الحسّية والمعنوية. (صفوة التفاسير: ١/٤٠٨).

ثم يستمر التوجيه الرباني لبني آدم بالكشف عن طبيعة الشيطان العدو اللدود لهما زيادة في التحذير، فهو يراهم هو وقبيله من حيث لا يرونه، كي يستعدوا له ويتسلحوا بالإيمان والذكر حتى لا يقعوا في حبائل إغوائه الخفي بما يمكن أن يوحي، أو يزينه لهم من ارتكاب المعاصي، كي لا يكون طغيانه مسيطراً عليهم فيكونوا منقادين له، فيهلكوا بإغوائه، فيخرجوا من طاعة الله وولائه، ليدخلوا في طاعة الشيطان وولائه.

د. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ٤٠.

إن الله تعالى حريص على أن يبين للناس الطريق الحق الذي إذا ما ساروا عليه وصلوا إلى جنته ورضوانه، ومن هذا الحرص ومن خلال رحمته بهم أرسل لهم أنبياءه ورسله ليهدوهم إلى سواء السبيل كي يهتدوا بآياته ويؤمنوا بها فينجوا من عذاب النار ويدخلوا **الجنة**.

أما الذين كذبوا، والذين ما زالوا يكذبون بهذه الآيات، استكباراً واستعلاءً عنها وبما يمليه عليهم الشيطان، وبما تمليه عليه أنفسهم من السير وراء شهواتهم، فقد صور الله تعالى حالهم في هذه الآية تصويراً يقف عنده كل ذي صاحب لب،

وكل من تدبر وخشي سوء العاقبة. فبعد انقضاء أجلهم وفوات توبتهم، فإن أبواب السماء لن تفتح لتعرج منها أرواحهم بل تهبط إلى سجّين، وسجّين مكان في أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده حسب ما ورد في بعض كتب التفسير. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص١٥٥).

ثم يصور الله تعالى حال هؤلاء المكذبين من الجنة تصوير استحالة مشروطة بما لا يمكن أن يكون، أو أن يقع، فإذا ما دخل الجمل من ثقب الإبرة، دخلوا الجنة. وهيهات أن يكون لهم هذا.

والمتمعّن في هذا التشبيه، ليجد فيه القوة في المعنى والتأثير الذي يؤجج النفس السوية، فيزيد من تصديقها بآيات الله والسير على نهجها، لما يظهره هذا التشبيه من سخرية من واقع الحال الذي سيؤول إليه أولئك المكذبون الذين قادتهم أعمالهم السيئة إلى هذا المسار.

ولقد اختار الله سبحانه وتعالى في هذا التشبيه " الجمل" بسبب ملازمتهم له في شتى أعمالهم، وذلك لبيان واقع حال المكذبين من جهة، ثم لبيان ضخامة كذبهم وافترائهم من جهة أخرى، فهم لم يكتفوا بمسار الكذب الأول، من حيث تكذيبهم لرسلهم، بل تعدوه إلى مسار الكذب الثاني، من حيث كذبهم وافتراؤهم على الله ورسله.

وهذا هو حال وجزاء المجرمين الذين أجرموا، والذين ما زالوا يجرمون بحق أنفسهم باتباعهم طريق المعصية والسير وراء نزواتهم وشهواتهم، التي تقودهم إلى أن يكذبوا بكل ما يأتيهم من الحق خلافاً لما أرادوا، ولما رضوا به من الفسق والضلال.

قال المفسرون: أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي أهل العصيان والإجرام. (صفوة التفاسير: ٤١٣/١).

هـ. قال الله عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن

تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة الأعراف: الآيات: ٤٢ - ٥٠.

جاءت جميع هذه الآيات المتسلسلة من الآية ٤٢ وحتى الآية ٥٠ من سورة الأعراف، كلها جاءت تذكر الجنة وتذكر الحال الذي سيكون عليه أصحابها، وما سوف يدور فيها من حوار ونقاش.. حوار فيه حمد وثناء وآخر فيه سخط وبلاء.. لايستويان، ولا يبغيان، فكل في شأن.

وهكذا.. تسير الآيات الكريمة، ثم تبدأ بذكر من تسر النفوس لذكر حالهم... إنهم أصحاب الجنة المخلدون فيها الذين آمنوا بالله فاطمأنت قلوبهم بذكره، فآثروا حب عمل الخيرات على حب الشهوات، فساروا على نهج الله القويم، وكل منهم بمقدار حسب طاقته وحسب سعته، فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، جاء في البحر

المحيط أن ذلك العمل في وسعهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم ما فيها يوصل إليها بالعمل السهل وهذه فائدة الجملة الاعتراضية بين المبتدأ والخبر. (انظر البحر المحيط: ٤/٢٩٨).

وهذا حفاظا منه تعالى على أن تكون هذه النفس البشرية من أصحاب الجنة الذين ما إن يدخلوها حتى ينزع الله تعالى من نفوسهم صفة الغل البشري، هذا الغل الذي كان سبباً جوهرياً وراء كثير من نزاعات البشرية ممن طغى على قلوبهم وعقولهم الغل فأخذتهم العزة بالإثم فانحط قدرهم وقلت مرتبتهم. فلا غل في الجنة، ولا لأي كلمة من معانيه وكلها منزوعة. وكل معنى له منزوع فلا حقد ولا تحاقد، ولا بغض ولا تباغض، ولا لؤم ولا تلاؤم، فالكل ممنوع ومقطوع.

قال رسول الله ﷺ: "**الغل على أبواب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين**". (تفسير القرطبي. ج ٧ /ص ٤٠١).

قال المفسرون: إن نزع الغل كناية عن خَلقهم في الجنة متوادين متعاطفين. (تفسير الجلالين الميسر: ص١٥٥).

وبعد أن ينزع الله هذه الصفة من صدور أصحاب الجنة وبعد أن تسمو نفوسهم وتطمئن قلوبهم بما آتاهم الله في الجنة من أنهار سائحة، يأتي قولهم على لسان واحد بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى، أن هداهم إلى هذا الثواب العظيم باتباعهم رسله والسير على نهجه. فكان حقا على من في السماء أن يدعوهم إلى حسن الثواب والثناء بما قدموه من أعمال صالحة أورثتهم هذه الجنة.

قال القرطبي: ورثتم منازلها بعملكم، ودخولكم إياها برحمة الله وفضله. (القرطبي: ٧/٢٠٩).

ثم يتوجه أصحاب الجنة بعد أن تطمئن قلوبهم بهذا الإرث بالنداء إلى أصحاب النار نداء تعلوه السخرية والتبكيت: أننا قد وجدنا الحق فيما وعدنا الله من ثواب فهل وجدتم ما وعدكم الله حقاً؟

قال الزمخشري: وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم، وشماتة بأهل النار، وزيادة في غمهم. (الكشاف: ٢/١٠٦).

ثم يأتي الجواب من أهل النار بدون تضليل ولا كذب: أن نعم، وجدناه كما قيل لنا في الدنيا.. وينتهي الجواب وينقطع الحوار بأن أذّن مؤذن بينهم: أن لعنة الله قد حقت على الظالمين، أولئك الظالمين بظلمهم أنفسهم، وظلمهم للناس بإبعادهم وصدّهم لهم عن الطريق السوي بعوجهم وكفرهم بهذا اليوم.

ثم تستمر الآيات بوصف المشهد بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، فتكشف عن ذلك الحجاب الذي يفصل ما بين أهل الجنة وبين أهل النار. وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ ﴾. سورة الحديد: الآية: ١٣.

وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ هو السور، وهو الأعراف. وقال ابن جرير عن الأعراف: أنها جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً، وإنما قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه، بينما قال السدي: إنما سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس.

قال القرطبي: أي بين الفريقين حجاب وهو السور الذي ذكره بقوله " فضرب بينهم بسور له باب". يمنع من وصول أهل النار للجنة، وعلى السور رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم أي بعلاماتهم التي ميزهم الله بها. (تفسير القرطبي: ٢١١/٧).

قال قتادة: يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم. (الطبري: ٤٦٣/١٢).

ومع اختلاف المفسرين واختلاف آرائهم وعباراتهم في أصحاب الأعراف، إلا أن جميع ما رأوه بشأنهم يأتي كله متقارباً وفي نفس المعنى، فعن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: "**أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون**". (تفسير ابن كثير: ٢١٧/٢).

وهكذا نستطيع أن نستخلص من سياق هذا الحديث الشريف، ومن خلال

تسلسل هذه الآيات، أن هناك سوراً مرتفعاً بين الجنة والنار، له باب لا يفتح إلا بأمر الله تعالى، ويسمى هذا السور بالأعراف نسبة إلى تلك الفئة من الناس الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، ويكون هؤلاء الناس على هذا السور، ولكون أن هذا السور مرتفع، فإنهم يستطيعون أن يروا ويشاهدوا أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأن يعرفوهم من سمات وجوههم، فوجوه أصحاب الجنة مسفرة أي (بيضاء ومضيئة) وضاحكة، وناعمة.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ سورة عبس: الآيتان: ٣٨ - ٣٩.

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ سورة الغاشية: آية: ٨.

أما وجوه أصحاب النار فهي مليئة بالغبار، مسودة، خاشعة ذليلة، قال تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة عبس: الآيتان: ٤٠ - ٤١. وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الغاشية: الآية: ٢.

فعندما ينظر أصحاب الأعراف إلى أصحاب الوجوه البيضاء، أصحاب الجنة، فإنهم يسلمون عليهم وتطمئن قلوبهم وتسر نفوسهم بما يرونه من حالهم البهية، فيطمعون برحمة الله تعالى أن يدخلهم معهم، ليكونوا على نفس حال ما رأوهم عليه في الجنة من نعيم.

وأما إذا ما التفتوا ببصرهم تجاه أصحاب النار، ورأوا ما هم عليه من منزلة مهينة، تعوذوا بالله، ودعوه على أن لا يكونوا معهم وفي منازلهم. ثم يوحي الله لأصحاب الأعراف بالقول لأصحاب النار ممن عرفوهم سواء من معرفتهم الشخصية لهم في الدنيا، أم من حيث سمات وجوههم السوداء، المرهقة، المغبرة، فيقولون لهم بقصد تقريعهم وتأنيبهم: ها أنتم ها هنا في النار لم تنفعكم كثرتكم ولا استكباركم من دخولها. ثم يذكرونهم بما كانوا يقولونه ويقسمون عليه بالله عن المؤمنين في الدنيا من أنهم ضالون وغير مهتدين إلى رحمة الله، فيقولون لهم: أين

هم منكم الآن؟ إنهم في الجنة كما قال لهم الله تعالى لا كما زعمتم أنتم.

أيضاً، ومما تجدر الإشارة إليه، إلى أن هناك معنى آخر قد يكون فيه شيء من القوة والصحة في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾. أن الله تعالى جاء مخاطباً لأصحاب النار داحضا لهم بالإشارة إلى ما أقسموا عليه من أن أصحاب الأعراف لن ينالوا رحمة الله. (انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢/٣٤٣ - ٣٤٤. الكشاف: ١/ص٦٤).

وذلك لما رأوه منهم في الدنيا من عمل سيئ وآخر صالح حسبوه قليلاً عند الله، إلا أن الله تعالى يرحمهم به برحمته ويدخلهم الجنة نتيجة طمعهم برحمته، وبما كانوا قالوه مما هداهم الله لقوله لأصحاب الجنة وأصحاب النار من قول.

وبهذا يكون الله تعالى قد قضى وفصل بآخر من يفصل بهم من الناس يوم الحساب وهم أصحاب الأعراف.

ثم يستمر مشهد الحوار، ولكن هذه المرة من قبل أهل النار، الذين يبدؤون بالنداء على أهل الجنة ويستغيثونهم ويستسقونهم ويستطعمونهم بما أكرمهم الله تعالى ورزقهم من الماء والطعام.

فيأتيهم الجواب من أهل الجنة وبما قضاه الله تعالى لهم أن يقولوه: "إن الله حرمهما على الكافرين".

قال ابن عباس: ينادي الرجل أخاه وأباه فيقول: قد احترقت فأفض عليَّ من الماء! فيقال لهم أجيبوهم فيقولون: إن الله حرمهما على الكافرين. (الطبري: ١٢/ ٤٧٣).

وبهذا القول وهذا الجواب يسدل الستار وينقطع الحوار بين أصحاب الجنة وبين أصحاب النار، لتلاقي كل فئة نصيبها بما قد كسبت وقدمت من عمل لهذا اليوم.

٧- ذكر الجنة في سورة الأنفال

ورد ذكر الجنة في هذه السورة مرة واحدة فقط، وجاء ذكرها بأحد أسمائها في الآيـة الرابعة.

قال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾. الأنفال: الآية: ٤.

إن من المعروف أن المؤمنين في تنافس وتسابق فيما بينهم لا من أجل أن يحقق أحدهم منفعة شخصية يؤثر بها نفسه على غيره، أو على متاع دنيوي زائل قد يسيء من وراء كسبه إلى غيره، إنما هو تنافس شريف يدخل في طاعة الله ورضاه.

فتراهم ركعا سجدا في الليل والنهار، دائبين ومواظبين على فعل الخيرات، منفقين مما رزقهم الله، مؤثرين غيرهم على أنفسهم مع شدة حاجتهم وعوزهم وفقرهم.

قال تعالى:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الحشر: الآية: ٩.

وهكذا هم المؤمنون في تسابق وتنافس فيما بينهم، وكيف لا يكونون كذلك وهم قد أدركوا بإيمانهم اليقين عظيم الجائزة التي وعدهم الله تعالى بها يوم القيامة من نيل الدرجات والمنازل الرفيعة من جنته.

قال المفسرون في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾: أي مراتب في الجنة أو منازل رفيعة بحسب أعمالهم أو شرف وكرامة وعلو منزلة أو مراتب رفيعة. (انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤٠١/٢. تفسير البغوي: ٢٢٩/٢ -

٢٣٠. الكشاف: ١١٣/٢. جامع البيان للطبري: م٦/ج٩/ص١٨٠).

والإيمان درجات، تعرف منها درجات إيمان المؤمنين، ومن هذه الدرجات ما يشير إلى المؤمن الضعيف، ومنها ما يشير إلى المؤمن القوي، والمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولكل منهما عنده درجة ومنزلة، فلا بد لمن طمع وأراد الدرجات العلى من أن يضاعف جهوده في عمل الخيرات وان يجاهد في الأعمال الصالحة التي تقربه من الله تعالى، حتى يقرب الله تلك الدرجات ويزلفها إليه فيفوز فوزا عظيما.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة التوبة: آية: ٢٠.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون بالبحث عن كل ذي صاحب حاجه ليساعدوه فيها.. فها هو الفاروق رضي الله عنه يبحث في ظلمة الليل عن هؤلاء، ليسبق بخدمتهم صاحب رسول الله وصاحبه أبا بكر الصديق، ليجد أن أبا بكر رضي الله عنه قد سبقه ونال تلك الدرجة منه بخدمة تلك العجوز الكفيفة.

فهنيئا لمن وعى وفطن، وسار على الدرب، فأولئك هم المؤمنون حقا، وحقا على الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم ويهبهم تلك الدرجات وما فيها من رزق كريم.

عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: "من صام رمضان وصلى الصلوات وحج البيت لا أدري أذكر الزكاة أم لا إلا كان حقا على الله أن يغفر له إن هاجر في سبيل الله أو مكث بأرضه التي ولد بها قال معاذ ألا أخبر بهذا الناس فقال رسول الله ﷺ ذر الناس يعملون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوق ذلك عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس". (سنن الترمذي: ح ٢٥٣٠/ج٤ /ص٦٥٧).

نسأل الله تعالى أن نكون من أصحاب الفردوس الأعلى.

أما فيما يخص الرزق الكريم لأصحاب هذه الدرجات، فتكفي الإشارة إلى

أن لهم فيها كل ما تشتهي أنفسهم دون تحديد أو تقييد، كرامة لهم من ربهم الكريم بما كانوا يعملون.

قال المفسرون: أي أن رازقه كريم فلذا دل على الكثرة وعدم الانقطاع. (روح المعاني: ٩/١٦٨. وانظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص١٠٩).

٨- ذكر الجنة في آيات سورة التوبة

وردت الجنة في آيات سورة التوبة في الآيات التالية:

أ. **قال تعالى:**

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ التوبة: الآيتان: ٢١-٢٢.

لمن هذه البشرى التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، وما هي صفتها؟.. إنها البشرى العظيمة من الله تعالى التي خصها لتلك الفئة من المؤمنين الذين لبوا النداء فآمنوا وصدقوا، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، وتدافعوا بعمل الخيرات في شتى الميادين، طامعين بما عند الله، موقنين ومتيقنين أن ما عند الله خير وأبقى، لتأتي هذه البشرى من الله تعالى لتزف لهم نبأ قبول أعمالهم وفوزهم برحمة الله ورضوانه عليهم فيدخلوا جنات النعيم بهذه الرحمة وهذا الرضوان.

قال أبو حيان: لما وصف المؤمنين بثلاث صفات: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالنفس والمال، قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاثة: الرحمة، الرضوان، والجنان، فبدأ بالرحمة لأنها أعم النعم. (البحر المحيط: ٢١/٥).

ورحمة الله واسعة، وسعت كل شيء.

قال تعالى:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ سورة الأعراف: آية: ١٥٦.

وهذه هي الرحمة التي يطمع بها المؤمنون ويرجونها من الله تعالى يوم الحساب، وهي مختصة بهم وحدهم دون الكافرين في هذا اليوم. (انظر صفوة التفاسير: ٤٤١/١)، أما رحمة الله تعالى في الدنيا فهي تصل سائر المخلوقات البشرية كل بقدر معين حتى إنك تكاد تراها في قلب ذلك الظالم أو المتكبر في

لحظات معينة، ثم تمتد هذه الرحمة لتشمل سائر الحيوانات فتراها جلية في صفة الأمومة لديها.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: **"جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ في مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ في الأرض جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذلك الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حتى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عن وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ"**. (صحيح البخاري: ح ٥٦٥٤/ج٥/ص٢٢٣٦).

فهنيئا لمن يخصهم الله تعالى برحمته بالآخرة ويبشرهم بها فينالون رضاه، فيدخلهم الجنة ويتنعمون بما فيها من نعيم دائم لا ينفد ولا ينضب.

وبعد كل ما تقدم تأتي البشرى من الله تعالى للمؤمنين بأنهم خالدون في الجنة أبداً، فيكتمل للمؤمنين بهذه البشرى النعيم المقيم، فلا يخرجون منها وحالهم مقدرة فيها، ولهم من عند الله فيها الأجر العظيم.

قال الآلوسي: ولا يخفى أن وصف الجنات بأن لهم فيها نعيم مقيم جاء في غاية اللطافة، لأن الهجرة فيها السفر، الذي هو قطعة من العذاب. (روح المعاني: ١٠/٧٠).

ب. قال الله تعالى:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: آية: ٧٢.

إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء وهو الخالق لهذه النفس البشرية، وهو العالم بكل شيء بعلمه فهو عالم بطبيعة هذه النفس وما يدور في كنهها، وما يمكن أن يقوي إيمانها ويزيد من أعمالها الصالحة فتصل إلى ذلك الوعد الذي خصه الله بها.

فتأتي هذه الآية من الله تعالى لتحفز المؤمنين والمؤمنات، ولتبين بعض ما خصهم الله تعالى في هذا الوعد، ووعده الحق، فتمضي بهم هذه الآية الكريمة

لتعرفهم بما أعده الله لهم من هذه الجنات وما فيها من أنهار جارية وسائحة في كل مكان من الجنة، بالإضافة إلى ما في هذه الجنة من الخلود والبقاء... خلود وبقاء للنعيم، وخلود وبقاء لمن سكن فيها... فهذه هي المساكن الطيبة التي أعدها الله للمؤمنين وزينها وجملها لهم.

عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا "سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير فراش من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع". (تفسير القرطبي: ١٠/ص١٧٩).

قال الحسن: هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد. (الكشاف: ٢/ ٢٨٩).

وجاء في حديث آخر أخرجه الطبراني عن وصف جنات عدن وما فيها. عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال قال رسول الله ﷺ: "خلق الله جنة عدن بيده وذلل فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال لها تكلمي فقالت ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ (المؤمنون الآية ١) فقال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل".** (الدر المنثور: ج١/ص٩٣).

وأخيراً فإن كل ما في الجنة من نعم ونعيم ليتضاءل أمام رضوان الله تعالى الكبير على أصحابها.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فيقول هل رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وما لنا لَا نَرْضَى وقد أَعْطَيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خَلْقِكَ فيقول أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذلك قالوا يا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلك فيقول أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا". (صحيح البخاري: ح ٦١٨٣/ج٥/ص٢٣٩٨).

ج. قال عز وجل:

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة التوبة: آية: ٨٩.

جاءت هذه الآية الكريمة لتبين بعض ما أعده الله تعالى لتلك الفئة من المؤمنين، الذين أفلحوا وأدوا واجب الإيمان، وساروا على النهج القويم، ففازوا بما أعد الله تعالى لهم من جنات تجري من تحتها الأنهار. (انظر: صفوة التفاسير: ١/ ٥١٦).

وللوقوف على معنى وطبيعة هذه الجنات، والمقدار التي هي عليه، لا بد لنا من الرجوع إلى ما ابتدأت به هذه الآية الكريمة، وهي كلمة "أعد" ومعنى هذه الكلمة جاء من العدة، وهو الاستعداد، أو ما أعد لأمر ما، ويقال أعد الشيء: أي بمعنى هيأه وجهزه. (المعجم الوسيط: ١ - ٢/٦١٦).

والاستعداد أو الإعداد قد يكون معنوياً أو مادياً، وبدرجات معينة حسب طبيعة وقدرة المهيِّئ، والمُهيَّأ له، والمحصلة الناتجة عنهما، بمعنى انه لو زادت قدرة المهيِّئ والمُهيَّأ له لزادت درجة الاستعداد ولزادت نتيجتها وقوتها، ومثال ذلك، ما جاء في خطاب الله تعالى للمؤمنين بقوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ الأنفال: آية: ٦٠.

فبزيادة قدرة الكافرين وخطرهم (المُهيَّأ له) أمر الله المؤمنين (المهيِّئ) زيادة قدرتهم وذلك بزيادة (درجة الاستعداد) من القوة ورباط الخيل، وبذلك تزداد قوة المحصلة الناتجة (ترهبون).

أيضاً تعتمد درجة الاستعداد ونتيجتها على درجة الاستطاعة، والمقصود بالاستطاعة هنا الاستطاعة البشرية وهي تختلف باختلاف قدرات الناس المادية والمعنوية، وبما يمكن أن ينميها. ومهما زادت هذه القدرات ومهما قلت، فإنها تبقى قدرات بشرية محدودة ولا تخرج عن دائرة ما قدره الله تعالى لها.

أما فيما يخص قدرة الله تعالى، فقدرته عظيمة لا حصر ولا مثيل لها، يطلقها كيفما يشاء وفي أي وقت شاء، وعلى من يشاء من عباده، وهي عظيمة في كل شيء، وعظيمة في حسن ما أعده للمؤمنين من الثواب.

وبما أن الله تعالى حريص على أن ينال عباده المؤمنون حسن ما أعده لهم من ثواب، أطلعهم على كل ما يقوي إيمانهم، وكل ما يزيد من حسن ثوابهم، فمن أراد حسن الثواب من الله تعالى، فلا بد له من أن يحسن الإعداد والاستعداد لنيل هذا الثواب، فيبادر بالإكثار من الأعمال الصالحة والطاعات التي تقوده إلى حب الله له وحب رسوله، فيدخل في حسن ما أعده الله تعالى من حسن الثواب.

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبي ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يا رَسُولَ اللهِ قال: "ما أَعْدَدْتَ لها قال ما أَعْدَدْتُ لها من كَثِيرِ صَلَاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قال أنت مع من أَحْبَبْتَ". (صحيح البخاري: ح ٥٨١٩/ج٥/ص٢٢٨٣).

وحب الله ورسوله يكونان في حب ما يحبانه، فإن وصل المؤمنون إلى حبهما وصلوا إلى عظيم ما أعده الله تعالى لهم من جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك هو الفوز العظيم.

د. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة: آية: ١٠٠.

من طبيعة هذا القرآن العظيمة أنه يسرد قصص الأمم السابقة وواقع حالها وما آلت إليه من ثواب إن كانت قد آمنت واهتدت بهدى الله تعالى، وما انتهت إليه من عقاب إن كانت قد كذبت وضلت عن هدى الله تعالى. وليس الهدف من سردها لكي تكون قصصا تروى قبل النوم أو في المقاهي على لسان الحكواتي، بل إن الهدف من سردها كي تستخرج العبرة منها بالتفكر والتدبر، ومن تفكر وتدبر، اهتدى إلى ما اهتدى إليه من سبقه، ونال من الأجر والثواب ما يماثل ثوابه، ونجي

مما أهلك به غيره، فيكون بذلك مع تلك الفئة المؤمنة المتدبرة.

فها هي الآية الكريمة جاءت تحثنا على التفكر والتدبر كما حثت من هم من قبلنا، فتبين لنا ثواب فئات المؤمنين السابقين إلى هذا الهدي من المؤمنين الذين نالوا رضا الله تعالى بطاعتهم إياه، ورضوا بما أعده لهم من حسن الثواب والأجر، فدخلوا من باب الفوز العظيم إلى تلك الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، مضافاً إليها حال الخلود الأبدي الذي يشمل أهل الجنات وما في هذه الجنات من نعيم. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ٢٠٣.

فمن هم هؤلاء المؤمنون الذين خصتهم هذه الآية الكريمة بهذا الثواب؟ وما هي الأعمال التي قاموا بها.... كي نعملها؟ وما هو الطريق الذي ساروا عليه؟ كي نتبع مساره فنكون بذلك من الذين اتبعوهم بإحسان، فنفوز بإحسان الله تعالى العظيم.

إن هؤلاء المؤمنين هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين سبقوا غيرهم عندما سمعوا صافرة الحق تنطلق من هذه الدعوة الجديدة فسارعوا إلى الإيمان بها، وساروا على نهجها فنصروها.. إنهم السابقون في الدنيا والآخرة، الذين خصهم الله تعالى برضاه، فرضي عنهم ورضي عمن اتبعهم وسار على أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

إما فيما يخص تحديد من هم هؤلاء السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار على وجه الخصوص والتحديد، فقد تعددت آراء المفسرين فيهم، فمنهم من خصهم وحددهم بتلك الفئة المؤمنة التي أدركت بيعة الرضوان عام الحديبية، ومن المفسرين من ذهب إلى أنهم تلك الفئة التي صلت مع رسول الله ﷺ إلى القبلتين، وهذا ما قاله الحسن وقتادة، ومنهم من قال إنهم الذين هاجروا قبل بدر، وهذا الرأي الذي مال إليه سيد قطب في كتابه (في ظلال القران: ٣/ ١٧٠٢ - ١٧٠٣) من خلال تتبعه لمراحل بناء المجتمع المسلم وتكون طبقاته الإيمانية، ولأننا نميل معه في هذا الرأي فلا بد لنا من أن نستعرض بعض ما ذكره بإيجاز في هذا الكتاب، في الجزء الثالث منه، حيث يستعرض ما لقيته الفئة الأولى من

المؤمنين في مكة على يد كفار قريش من هول العذاب وشدة الفتنة والأذى الذي كان يصل حد إهدار الدم في كثير من الأحيان، فصبروا على كل ذلك، ثم هاجروا لنصرة دينهم إلى المدينة المنورة فنصرهم أهلها ممن آمنوا وبايعوا، وصدقوا فيما بايعوا لرسول الله ﷺ يوم بيعة العقبة. وبذلك اكتملت القاعدة الصلبة لهذا الدين من المهاجرين والأنصار، بعد انصهارهما معا فحققوا أول انتصار لهم في معركة بدر، هذا الانتصار الذي ثبت وأرسى قواعد هذا الدين الحنيف. وهذا باختصار هو السبب الذي رجح من ورائه سيد قطب رحمه الله، من أن هؤلاء السابقين هم من هاجروا قبل معركة بدر.

ومن هذا الإيجاز تظهر لنا الأعمال الصالحة التي قام بها هؤلاء المؤمنون والطريق الذي سلكوه في ترسيخ قواعد هذا الدين الحنيف، ثم لتأتي الفئة الثانية من المؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان فساروا في طريقهم بخطى توافق خطاهم حتى أوصلوا هذا الدين إلى كل أرجاء المعمورة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فهنيئاً لمن اتبعهم ولمن سوف يتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فيفوز بفوز الله العظيم.....

هـ. قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة التوبة: الآية: ١١١.

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لهذه الجنة طريقاً وثمناً لمن أراد أن يخلد فيها، وجعل طريقها من خلال الحياة الدنيا، وجعل ثمنها فيما خصه الله تعالى في هذه الطريق من مكاره. فلا بد لمن أراد الخلود في هذه الجنة من أن يتبع هذا الطريق ويقدم ويكثر من الأعمال الصالحة التي تقوده إلى ثمنها، وهذا الثمن يجب أن يدفعه المؤمن سلفاً ومن خلال طريقها الوحيد.. طريق الدنيا. فإذا ما انتهى هذا الطريق، انتهى قبول ثمنها، وتوقف البيع والشراء. فما أحوجنا إلى الإسراع بعمل

الصالحات التي فيها طاعة الله تعالى قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه الندم ولا الندامة.

قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة المؤمنون: الآيتان: ٩٩-١٠٠.

والأعمال الصالحة لها درجات كل منها يصب في كل درجة من درجات الإيمان التي يرتفع فيها صاحبها فيرتقي إلى أعلى درجة من درجات الجنة، ومن أهم درجات الإيمان التي يشري المؤمن بها نفسه لله تعالى في سبيل نيل أعلى درجات الجنة هي الجهاد في سبيل الله. وقد حث الله تعالى على الجهاد في الكثير من آيات كتابه الحكيم، ليحبب المؤمنين به، لما له من أهمية، فرفع من مقام المجاهدين في سبيله عن غيرهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ سورة النساء: الآية: ٩٥.

لذا فإن الجهاد في سبيل الله يعد من أكبر الروافد التي تغذي نهر الإيمان الذي يصب في أفضل بحور الجنة، وكيف لا يكون كذلك والله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأعلى درجات الجنة، وفضلهم على غيرهم من المؤمنين، وبهذا الفضل قبلوا البيعة فلبوا النداء وأتوا بأفضل ما عندهم، وبأكثر ما كانوا يحرصون عليه، فقدموا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله من أجل أن ينالوا أعلى الدرجات من الجنة.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول اللهِ ﷺ: "إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ

أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". (صحيح البخاري: ح ٢٦٣٧/ج٣/ص١٠٢٨)

ومن سياق هذا الحديث يتضح لنا أن المجاهدين في سبيل الله هم الرابح الأكبر من هذه البيعة أو هذه الصفقة إن جاز التعبير، فأرواحهم وأموالهم أصلاً هي من ملك الله، والثمن الذي نالوه يعد أكبر مما قدموه، ولكن هذا كله من فضل الله وكرمه عليهم.

ولقد فرض الله تعالى الجهاد على المؤمنين في الكتب السماوية ومنها الإنجيل والتوراة ثم القرآن، وجاء فرضها لضرورة حتمية، أراد الله تعالى منها دفع الظلم عن المؤمنين وإعلاء كلمة الحق وإسكات أصوات الباطل.. هذا الباطل الذي يأبى أتباعه أن ينتشر هذا الدين بين الناس، خوفا منهم على مطامعهم ومكاسبهم التي تنتهي بخروج هؤلاء الناس من عبوديتهم التي خطوها لهم إلى عبودية رب العباد. فكان لا بد من أن يفرض الله تعالى القتال على المؤمنين نصرة لهم، ونصرة لدينه الحنيف. ولا بد لنصر الله أن يأتي مهما طال الزمان ومهما تجبر الطغيان.

ثم إن الحديث في موضوع الجهاد قد يطول كثيراً لكننا حاولنا أن نأخذ منه ما يتناسب مع سياق هذه الآية الكريمة من أجل إبراز قدر المجاهدين في سبيل الله ومنزلتهم عند الله تعالى، كي يهتدي بها المؤمنون، وهذا ما هدى الله سبحانه وتعالى عبد الله بن رواحة لقوله لرسول الله ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية، فقد قال محمد بن كعب القرظي وغيره: قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: "أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " قال: فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك؟ قال: "الجنة " قالوا ربح البيع، ولا نقيل ولا نستقيل. (انظر سبب النزول في: صفوة التفاسير: ١/٥٢٥).

وما إن جاءت غزوة مؤتة، حتى أوفى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بعهد البيعة مع الله وربح الصفقة باستشهاده رضي الله عنه، فكان حقا على الله من أن ينفذ فيه وعده القديم في التوراة والإنجيل والقرآن، فيفوز رضي الله عنه بفوز الله العظيم

بعدما سار على الذي قاله يوم بيعة الرضوان: لا نقيل ولا نستقيل.

قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب: آية: ٢٣.

وفي ثواب هؤلاء المجاهدين قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآيات: ١٦٩-١٧٢.

وهكذا.. " ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل " فالبيعة ماضية لا رجعة فيها ولا خيار فيها وثمنها ماضٍ بوعد الله الذي وعده في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله. فهنيئاً لأولئك الذين حق عليهم هذا الوعد ففازوا الفوز العظيم.

٩- ذكر الجنة في آيات سورة يونس

وردت الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. **قال الله سبحانه وتعالى:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ سورة يونس: الآيتان: ٩-١٠.

إن من بعض الصفات التي يحبها الله تعالى ويحب أن يخاطب بها أتباع الدعوة، هي صفة الإيمان والتي دائما ما يخصهم بها عن غيرهم من الناس، تمييزاً وحباً لهم، ثم إذا ما أراد الله زيادة هذا الحب أو تخصيصه بشكل أكبر وعلى فئة معينة من المؤمنين أورد صفة الإيمان وأتبعها بالأعمال التي يحبها ويحب أن يعملها من أحبهم من المؤمنين. فيأتي خطاب الله **تعالى** لهم ضمن صفتين يحبهما هما صفة الإيمان وصفة الأعمال والصلاح كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧ ﴾ سورة الكهف: آية: ١٠٧.

قال علماء السلف: إن العمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى يعتبر شرطاً في كمال الإيمان. (تفسير الجلالين الميسر: ص ٥).

وصلاح الأعمال يزيد من نقاء وصفاء الإيمان، وإذا ما زاد الإيمان هنا، زادت الأعمال الصالحة وخلصت لله تعالى وحده، فيحبها الله ويحب بحبها أصحابها المؤمنين الذين أتوا بها. ولإدامة هذا التواصل وهذا الحب فإن الله تعالى جعل لهذا الحب سبيلاً متوفراً في كل حين يستسقي منه كل من شاء من المؤمنين الباحثين عن حب الله فيما يحبه، فيهديهم الله تعالى بفضله وكرمه إلى سائر الأعمال الصالحة

التي تقربهم إليه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمان بالله والجهاد في سبيله". قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: "أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً". قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تعين صانعاً أو تصنع لأخرق". قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: "تكف شرك عن الناس فإنها صدقه منك على نفسك " متفق عليه. (صحيح البخاري: ح ٢٥١٨، وصحيح مسلم: ح ٨٤).

وقد يخطر ببال أحد ما تساؤل وارتياب فيقول: إن الأعمال الصالحة والتي تدخل في محبة الله هي ليست حكراً على المؤمنين، وليست الأعمال السيئة التي يبغضها الله هي حكرا على الكافرين، بل إن المؤمنين لديهم أعمال فيها سوء وأثم مما لا يحبه الله، وان الكافرين قد يقومون بأعمال صالحة فيها محبة الله؟ فكيف تكون المعادلة إذن....؟ وللإجابة على هذا التساؤل، نقول وبكل بساطة إن أعمال المؤمنين هي أعمال يحركها الإيمان ويقوم بها المؤمنون قاصدين فيها وجه الله تعالى، ولا ينتظرون أجرها إلا من عند الله تعالى، أما إذا ما عملوا سيئة في أحد أعمالهم، فإنهم وبفضل الله يلجؤون إلى الاستغفار مباشرة من الله تعالى الذي يستبدل سيئاتهم حسنات. أما الكافرون فإن أعمالهم - إن كانت صالحه للعيان - يحركها ويزينها الشيطان لهم فلا يقصد منها وجه الله تعالى، إنما يعملونها رياء الناس، فيحبطها الله ويبعثرها لهم.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة إبراهيم: آية: ١٨.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة النور: الآية: ٣٩.

وبنور الإيمان يهدي الله تعالى المؤمنين إلى الأعمال الصالحة، التي تقودهم إلى تلك الجنات التي أعدها الله تعالى لهم، ثواباً منه ومثوبةً على صالح أعمالهم، ليستحقوا من بعدها نعيم هذه الجنات، ونعيم هذه الأنهار المنسابة والجارية من حولهم، لا يشغلهم عن الاستمتاع بها شغل ولا هم، ولا كد ولا تعب، فكل ما يشتهونه موجود في هذه الجنات، وفي كل مكان منها، وكل شيء فيها دائم بلا انقطاع وبلا نقصان.

فيسبّحون الله تعالى على هذه النعم بما ألفته ألسنتهم في الدنيا من تلك الكلمات الخفيفة على اللسان، والثقيلة في الميزان.

عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ في الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرحمن سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ". (صحيح البخاري: ح ٦٠٤٣/ج٥/ص٢٣٥٢).

ثم إن الله سبحانه وتعالى يلهم أهل الجنة بهذا التسبيح في كل حال ومقال، وفي دعواهم، فإذا ما رأوا طيراً في الجنة فتشتهيه أنفسهم فيقولوا ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ إلا جاء إليهم هذا الطائر مشوياً وعلى مائدتهم حتى إذا ما انتهوا منه وقالوا الحمد لله، عاد هذا الطائر إلى ما كان عليه ليطير من جديد.

قال المفسرون: طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾.. فإذا طلبوه وجدوه بين أيديهم. (تفسير الجلالين الميسر: ص٢٠٩).

فسبحان الله والحمد لله في كل وقت وفي كل حين.... بأن ألهم هؤلاء المؤمنين هذا التسبيح كما ألهمهم النفس في رئتهم.

عن جَابِرٍ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُونَ ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا فما بَالُ الطَّعَامِ قال جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ". (صحيح مسلم: ج٤/ص٢١٨٠).

وبهذا التسبيح تنهال على اصحاب الجنة التحيات والسلام من الله تعالى وملائكته لتزيد من فرحهم وتطمئن قلوبهم، رحمةً من الله، وحفاوةً من ملائكته، بما كانوا قد قدموا وبالذي استحقوا.

قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ ﴾ سورة يس: الآية: ٥٨.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤ ﴾ سورة الرعد: الآيتان: ٢٣-٢٤.

ثم تنطلق بعدها ألسنتهم بقول الحمد لله رب العالمين لتكون آخر دعائهم...

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله... الحمد لله في كل حين، ثم الحمد لله... ثم الحمد لله...

ب. قال الله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٥ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦ ﴾ سورة يونس: الآيتان: ٢٥-٢٦.

جاء هنا ذكر الله سبحانه وتعالى الجنة بدار السلام وهو أحد أسماء الجنة. وللوقوف على معنى هذا الاسم وما يحويه من دلالات تلوح منها البشرى لمن اهتدى وآثر الآخرة على الدنيا، لا بد لنا من الإبحار في هذا الاسم، ولا بد لنا من أن نغوص في كل حرف منه، كي نخرج بأجمل صدفات معانيه.

إن اسم الجنة هذا " دار السلام " جاء مكوناً من كلمتين، الأولى: دار، والثانية: السلام. وهاتان الكلمتان فيهما من التشابه الكثير في المعنى برغم اختلاف حروفهما، فالدار هي المكان الذي يلجأ إليه صاحبها كي تستقر فيها نفسه وتسكن بعد ساعات قد تطول أو تقصر من الكد والتعب في سبيل تلبية احتياجاته في هذه الدنيا، وفي الدار يجد المؤمن الأمن والأمان على نفسه وممتلكاته، فتخشع نفسه وتطمئن سريرته، وفي الدار أيضاً ما يلطّف وما يبرّد به على أعصابه بالرغم من

حرارة الصيف الملهبة، وما يدفئ كيانه بالرغم من برودة الشتاء القارصة.. وفي الدار السلامه من شتى الأهوال........ الخ.

فالدار إذن هي معنى للاستقرار، والسكن، والأمن والأمان، والخشوع والاطمئنان، وما يبرد ويلطف ويدفئ الكيان، وفي الدار السلم والسلامة من كل أذية.

أما السلام: فيكفي انه أولاً وأخيراً اسم من أسماء الله العظيمة، وفيه صفه من صفاته، ومن السلام جاء اسم هذه الرسالة، رسالة خاتم النبيين والمرسلين، وفي الإسلام الانقياد والاستسلام لله، وفي السلام معنى الالتجاء إلى الله في كل حين، ومع الله تستقر هذه النفس وتسكن، ومع الله " السلام " يكون الأمن والأمان، والخشوع والاطمئنان، وفي السلام ما يلطف ويدفئ الكيان، ومع الله السلم والسلامة.

وأخيرا فإن في الدار نزلاً وفي السلام مقاماً، ودار السلام هي نزل في مقام.. نزل كريم في مقام أمين، وهذه الدار وهذا السلام إنما هما للمؤمنين بالله تعالى فقط، بينما دار الكافرين بالله هي شر مكان وشر نزل ودار حسرة وندامة. أعاذنا الله وسلمنا ونجانا منها إلى دار السلام إن شاء الله تعالى.

لذلك أسمى الله تعالى الجنة " دار السلام " لما في هذه الاسم من أمن وسلامة من النار، ولما ما فيه من استقرار وطمأنينة بعطاء الله في **الجنة**، ولما يكثر فيها من تحيات السلام من الله تعالى وملائكته على أهل دار السلام. (انظر: حياة أهل **الجنة**، محمود شلبي: ص٢٢ - ٢٥).

ثم إن المسلم ليجد في كل معنى من هذه المعاني ما يوقع في نفسه من الحب ما تستقر فيه نفسه، فتسكن وتخشع لحب الله الذي دعاها لتسلك هذا الطريق القويم بأن آمنت واهتدت بهدي سيدنا محمد ﷺ، فشملتها وعمتها الحسنى والزيادة، بما كانت قد أحسنت به من حسنى في الاعتقاد، وحسنى في العمل، وحسنى بمعرفة الصراط المستقيم، وبهذه الحسنى نجت هذه النفس المؤمنة من هول وكرب يوم الحساب، الذي تسود فيه الوجوه وتتلون من شدة ما يغشى هذه

الوجوه من كرب وأهوال هذا اليوم. وأيضاً بهذه الحسنى تسمو النفس المؤمنة وتنجو من الذلة والمهانة والانكسار، فلا يغشى وجهها قتر ولا ذلة. فهي مطمئنة ومدركة أنها ستكون مع أصحاب الجنة المخلدين بما قدمته من أعمال صالحة، وبما كانت عليه من الحسنى في الدنيا.. هذه الحسنى التي أوصلتها إلى حسنى الآخرة وحسنى نعيم الجنة، ثم بعد كل ذلك تأتي حسنى الله تعالى لأصحاب الجنة فيرون وجهه الكريم.

عن صهيب رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ **"وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون وماهو ألم يثقل موازيننا ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم".** (تفسير ابن كثير: ج٢/ص٤١٥).

١٠- الجنـة في آيات سورة هود

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في آيتين هما:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة هود: آية: ٢٣.

تصور هذه الآية الكريمة حياة المؤمنين وما هم عليه من إيمان وأعمال صالحة سكنت واطمأنت بها قلوبهم، فآمنت، ووثقت، وسلمت بما أعد الله تعالى لها من حسن الثواب.

فحياة المؤمن تديرها وتوجهها دفة الإيمان الذي يقودها إلى بر الأمان، بعد أن تتجاوز كل ما يعصف بها من أمواج الشر والأذى، وحب الشهوات.

لذا لا بد من أن يكون هناك رُبّان يدير حياة المسلم، ويوجهها إلى طريق الخيرات التي فيها ثواب الله ورضاه. ولا بد من أن يكون هناك منقذ، ينقذ المسلم من الانجراف والانغماس في حياة الشهوات والملذات، وهذا المنقذ وهذا الربان هو الإيمان، فمع الإيمان تستقيم حياة المسلم وتسكن نفسه، فتثابر على عمل الخيرات. وفي الإيمان، ما يردع هذه النفس عن ارتكاب المحرمات والمعاصي.. فهذا هو الإيمان.. فيه جزء يحوي الحنان والرأفة، وفي جزئه الآخر الحزم والقسوة.

وإننا لنجد في حياة المؤمن الحق الذي سكن الإيمان قلبه أمثلة ونماذج بهية على هذا الإيمان، فعندما يبدأ المؤمن الخطوة الأولى من خطوات الإيمان ويقر بالألوهية والربوبية، والحاكمية لله وحده، فيبدأ بشهادة أن لا اله إلا الله، وان محمداً رسول الله حتى يبدأ الإيمان بتحريك هذه النفس المؤمنة فيقودها إلى الاستسلام والانقياد لله وحده والاطمئنان بمقتضى ما يقضي فيه عدله وحكمه، فتطمئن عندها نفسه.

فالمؤمن المطمئن، يطمئن إلى أن الحق سيحصحص... وأن القوة في غيابة

الجب، أو طال عليه سجنه.. والمؤمن المطمئن يدرك أن النجاة تكون بتسبيح الله وذكره حتى وإن غطته ظلمة الليل وظلمة الحوت وظلمة البحر.

وهكذا هي حياة المؤمن ينبض فيها الإيمان في كل قول له أو عمل، وفي كل ركن من أركان عباداته، فلا يقول إلا حقاً، ولا يشهد زوراً، ولا يعمل عملاً فيه رياء، وفي صلاته سكن، وزكاته حق وطهر، وصدقته تطفئ خطيئته، وفي صومه جُنة وتلبية وعفة، وإن حج فلا يرفث ولا يفسق، ليرجع كيوم ولدته أمه.

أجل هذه هي حياة المؤمن المطمئنة التي اطمأنت بها نفسه لفعل الخيرات... وهذه هي حياة المؤمن المليئة بالإيمان المطمئنة بما يقدمه المؤمن من الأعمال، فتركن نفسه وتطمئن بما عند الله من أجر وثواب لتلك الأعمال التي تقوده إلى الخلود في جنات الله التي تجري من تحتها الأنهار.

وهذا هو قلب المؤمن يدرك أن ما عند غير الله ينفد وما عند الله باق، والمؤمن هو من يدرك بإيمانه وعمله معنى قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝٦٠ ﴾ سورة الرحمن: آية: ٦٠.

هكذا هي حال المؤمن في كل حين، وهذه هي حياته وحياة جميع المؤمنين الذين استقر الإيمان في قلوبهم واطمئنوا الله وخشعوا له، ولما كانت حياتهم حافلة بالإيمان والعطاء وصالح العمل، جاءت هذه الآية الكريمة من الله تعالى تصف وتصور واقع حالهم وأجرهم عند الله بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٣ ﴾ هود: آية: ٢٣.

قال المفسرون: أي جمعوا مع الإيمان والعمل الصالح الإخبات: وهو الاطمئنان إليه سبحانه والخشوع له والانقطاع لعبادته. (صفوة التفاسير: ٢/٨).

ب. قال عز وجل:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة هود: آية: ١٠٨.

هذه الآية الكريمة جاءت مكملة لما بدأته الآيات السابقة، من خلال تبيان مصائر الخلق يوم القيامة، وواقع حالهم وما سيؤولون اليه من شقاء أبدي، أو سعادة أبدية، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة هود: الآيات: ١٠٥- ١٠٨.

إن مصائر الخلق يوم القيامة تنقسم إلى قسمين اثنين لا ثالث لهما، وكما حددته الآية الأولى من هذا النص القرآني، قسم فيه شقاء، وقسم فيه سعادة. فأما من كتب عليهم الشقاء، فشقوا بما قدموه من أعمال خفت معها موازينهم، فإن مصيرهم سيكون خلوداً بنار حامية. وأما من كتبت لهم السعادة، فسعدوا بما قدموه من أعمال صالحة ثقلت معها موازينهم، فهم في عيشة راضية، خالدين ومخلدين فيها وبما شاء الله تعالى لهم وقدر.

ومن هنا فإن السعادة الحقيقة هي السعادة التي تكون مع الله، ومن أسعده الله، فقد وفقه لما فيه حبه ورضاه، فيهتدي بهدي نبيه الكريم، ويسير على نهجه، فيحيي في نفسه تعاليم الله، فيحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقف عند حدوده.

فسعادة المؤمن هي السعادة التي يشعر بها ويدركها بحلاوة الإيمان، فيتلذذ بها، ويحسها في كل عباداته وسائر أعماله، فتريحه وتخفف عنه ما ألم به من الألم، وتفرج عنه شيئاً من كرباته. فها هو معلمنا وقدوتنا رسول الله ﷺ يلتجئ إلى الصلاة إذا ما أهمه هم أو اشتد عليه أمر، فيقول لبلال رضي الله عنه: "أرحنا يا بلال بالصلاة" (مجموع الفتاوى: ١١/٥٤١).

وسعادة المؤمن وفرحه يجدها المؤمن في صومه كما قال رسول الله ﷺ، عن

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إذا أَفْطَرَ فَرِحَ وإذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**". (**صحيح البخاري: ح ١٨٠٥/ج٢/ص٦٧٣**).

وسعادة المؤمن وفرحته تكون في معاملاته، فيفرح لفرحة أخيه المؤمن ويشاركه فيها، فإذا ما نجح في دراسته هنأه وبارك له، وإذا ما أصابه الله بنعمة وفضل منه ففرح بما أعطاه الله، فرح معه.

وسعادة المؤمن وسروره تكون في يقينه أنه مع رحمة الله سوف يحاسبه الله حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً.

وسعادة المؤمن وفرحه لا تكون بطراً ولا كبرياءً بما أتاه الله من فرحة النعم، ولكنه يفرح بها وينسبها إلى الله تعالى الذي أكرمه بها، فالله لا يحب الفرحين.

وسعادة المؤمن تكون بتوبته ورجوعه إلى الله إذا ما طغت عليه فرحته فأحب حب الخير عن ذكر ربه حتى توارت بالحجاب.

فهذه هي سعادة المؤمنين، سعادة فيها كل ما يرضي الله ويسعده، والله يسعد بسعدنا، ويسعد ويفرح بتوبتنا، وكما قال رسول الله ﷺ: "**لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يَتُوبُ إليه من أَحَدِكُمْ كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ منها فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا قد أَيِسَ من رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هو كَذَلِكَ إذا هو بها قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قال من شِدَّةِ الْفَرَحِ اللهم أنت عَبْدِي وأنا رَبُّكَ أَخْطَأَ من شِدَّةِ الْفَرَحِ**". (صحيح مسلم: ح ٢٧٤٧/ج٤/ص٢١٠٤).

والسعادة الحقيقة ليست الانغماس في اللهو والمجون كما يظن أولئك الأشقياء، الذين استباحوا المحرمات، وأتوا المنكرات ظناً منهم أن فيها ما يسعدهم، وتفرح بها قلوبهم، حتى إذا ما ثقل عليهم وزرها وران على قلوبهم همها، فلامتهم أنفسهم بفطرتها، سارعوا إلى إسكاتها بما ينسيها فطرتها التي فطرها الله تعالى عليها، فيعاقرون الخمور، ويتعاطون شتى أنواع المخدرات، فتتوه نفوسهم وتضيع وتشقى حياتهم، فيحق عليهم شقاء الدنيا والآخرة، فسعيدهم... شقي، وشقيهم... شقي في الدنيا والآخرة. إلا من كتب الله له سعادة التوبة وانتهى عما الله عنه قد نهى، واتبع طريق الحسنى، فيكون بذلك مع الذين أحسنوا الحسنى، فيسعد بما

سعدوا، وكيف لا يسعد وقد أنجاه الله تعالى من النار... وكيف لا يسعد وقد جعل الله مصيره مع الذين سعدوا في الجنة، فيكونون معا خالدين فيها ما دامت مشيئة الله قد سرت عليهم في السموات والأرض، وما دامت مشيئته قد سرت عليهم بأن أعطاهم عطاءً غير مجذوذ، فلم يجزئه ولم يقسمه لهم.

قال المفسرون: فإنهم مستقرون في الجنة، لا يخرجون منها أبداً، دائمون فيها دوام السموات والأرض، أو ما دامت سموات الجنة وأرض الجنة حسب مشيئته تعالى، وقد شاء تعالى لهم الخلود والدوام. (صفوة التفاسير: ٢/٣١).

فالعطاء هو عطاء الله، والله كامل ومنه الكمال، فلا بد من أن يكون هذا العطاء مكتملاً ويفيض منه الكمال.

١١- ذكر الجنة في سورة الرعد

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال الله جل وعلا:

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الرعد: الآيتان: ٢٣-٢٤.

جعل الله سبحانه وتعالى جنات عدن لتكون عقبى الدار لأولئك المؤمنين الذين خصهم الله تعالى ببعض أعمالهم فيما سبق هذه الآية، وأشار إليهم بأنهم الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم الله في السر والعلن، ثم أحسنوا لمن أساء إليهم، فدفعوا بالحسنة السيئة. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٢٥٢).

فكان جزاء الله تعالى لهم على أعمالهم بأن جعل لهم العاقبة المحمودة في الآخرة، فأدخلهم جناته التي حددها لهم على أنها جنات عدن، وما أدراك ما جنات عدن؟ إنها تلك الجنات التي خلقها الله تعالى بيده، وجمّلها لتكون دار الإقامة الدائمة للمؤمنين بما قدموه من أعمال صالحة.

جاء في حديث أخرجه الطبراني عن وصف جنات عدن وما فيها. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال **قال رسول الله ﷺ: "خلق الله جنة عدن بيده وذلل فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال لها تكلمي فقالت ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ (المؤمنون الآية ١) فقال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل"**. (انظر: الدر المنثور: ج١/ص٩٣)

واسم جنات عدن هو من أسماء الجنة، وإحدى درجاتها، واسمها هذا من أحب أسماء الجنة إلى قلوب المؤمنين، لما فيه من معنى الخلود والإقامة الدائمة فيها.

قال الزجاج: ومعنى (جنات عدن): جنات إقامة، وقيل في التفسير (جنات عدن) من الأربع الجنات التي أعدها الله لأوليائه. (معاني القرآن وإعرابه: ٣/٢٨٣، وانظر: ٣/١٤٧، ٣/٣٣٦).

وقد ذكرها الله تعالى بهذا الاسم بالعديد من آيات ذكره الحكيم:

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ سورة النحل: آية: ٣١.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ سورة مريم: آية: ٦١.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ سورة طه: آية: ٧٦.

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ سورة ص: آية: ٥٠.

قال تعالى: ﴿ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ﴾ سورة الصف: آية: ١٢.

قال تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ ﴾ سورة البينة: آية: ٨.

وقد جعل الله للمؤمنين وأعد لهم من النعيم في هذه الجنات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإن الذي لا تدركه القلوب.. لا تدركه العقول إلا من خلال التقريب واستحضار ما يمكن أن يتقارب أو يتشابه مع هذه النعم. وقد أعد الله تعالى كل هذا النعيم وهذه النعم، لينعم بها على عباده الصالحين جزاءً بما كانوا يعملون.

ثم يزيدهم الله سبحانه وتعالى بكرمه وامتنانه علاوة على ما أنعم عليهم من هذه النعم بأن يجمعهم مع أحبائهم في الدنيا من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إذا ما صلحت أعمال هؤلاء. ليزداد فرحهم بهذه النعم فرحا بلقاء أحبتهم. فالله سبحانه وتعالى هو خالق هذه النفس البشرية، وهو العالم بما يدور في خلدها وبما يمكن أن يبهجها ويزيد في سرورها، فهو الذي فطرها وأوجد فيها فطرة المحبة والرأفة والشفقة بمن أحبت. (انظر: وصف الدور الثلاثة: ص٢٢٩ - ٢٣٠).

لذا فإن المؤمن الصالح الذي صلحت أعماله يحرص على أن تكون أعمال من يحبهم صالحة، فيذكرهم ويدعوهم إلى كل عمل فيه صلاح أعمالهم، ويحذرهم من كل عمل تحبط معه أعمالهم. فحرصه هذا عليهم ينبع من فطرة الله التي أوجدها فيه من محبة الوالدين وبرهما وصلة الأرحام وبما يحبانه، وحب الأبناء والبنات وحب الزوجات، وحب كل من تقر به عينه من الأهل والأحبة.

وهكذا هم المؤمنون الصالحون يسيرون على ما سار عليه النبيون، فيسارعون بهداية من يحبون من آبائهم وعشيرتهم الأقربين، فيدعونهم بكل استطاعتهم إلى ما فيه صلاح أعمالهم ونجاتهم، وقد أورد الله سبحانه وتعالى في آي ذكره الحكيم ما فيه من دعوات الأنبياء لأبنائهم وآبائهم وعشيرتهم ما فيه من أمور الهدي والهداية، والنجاة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة هود: آية: ٤٢.

وفي دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه:

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة مريم: الآية: ٤٧.

وفيما أمر الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ سورة الشعراء: الآية: ٢١٤.

وهكذا فما من نبي إلا ودعا أهله وقومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وبما يصلح أعمالهم، وما من مؤمن صالح إلا وسار على نهجهم فذكر من يحبهم بما ينجيهم من عذاب الآخرة، ليدخل معهم جنات عدن التي وعدهم الله إياها، فيتنعمون بنعيمها الذي أنعمه الله عليهم، وليس هذا فحسب، بل إن الله تعالى يزيدهم من نعيمه بأن يجعل أهل المؤمن في الجنة يرفعونه إلى درجة ومرتبة أعلى من درجته ومرتبته إذا ما كانوا أعلى منه درجة ومرتبة، فيلحقه الله بهم إلى تلك الدرجة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الطور: الآيات: ٢١- ٢٨.

وفيما يوافق هذه الآية الكريمة ما أخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **"إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وذريته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به وقرأ ابن عباس: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾" الآية.** (الدر المنثور: ج٧/ص٦٣٢).

فما أجمل هذه الصور، وما أجمل هذا المشهد الذي يلتقي فيه الأهل والأحبة معاً في الجنة، فتقر أعين الآباء بالأبناء، والزوج بزوجته، والأخ بأخيه، والصديق بصديقه، فيسود الفرح فيما بينهم، ويعمهم السرور بلقاء بعضهم البعض.

وبينما هم على هذه الحال، يرسل الله تعالى ملائكته إليهم فيدخلون عليهم بنورهم وجمال خلقتهم من كل أبواب الجنة، فيسلمون عليهم، ويهنئونهم على كرم وفضل الله عليهم بأن أدخلهم هذه الجنة بما صبروا عليه في الدنيا بعد أن آمنوا وصلحوا، فصلحت أعمالهم. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٢٥٢).

ب. قال سبحانه وتعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الرعد: الآية: ٣٥.

تظهر هذه الآية الكريمة تبصرة من الله سبحانه وتعالى، يصور ويصف من خلالها جنته التي أعدها لعباده المتقين، وما تحويه هذه الجنة من نعمه سبحانه وتعالى، وذلك جزاء منه، ووعد لهم بما كانوا يعملون، ثم تبين هذه الآية الكريمة أيضاً ما فيه من تذكرة للمؤمنين من خلال بيان حال الكافرين وجزائهم، وأن عاقبتهم النار بما كانوا يعملون.

فالله سبحانه وتعالى قد جعل الجنة عقبى لعباده المتقين، ووعدهم إياها، ثم وصفها لهم، (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٢٥٣).

فأشار إلى ما فيها من النعم، تحفيزاً لهم على دخولها والتنعم بكل ما فيها من هذه النعم.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ: "أَلا هَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ". (صحيح ابن حبان، باب وصف الجنة وأهلها: ح ٧٣٨١/ ج ١٦/ ص ٣٨٩).

فهذه هي الجنة، وهذا هو نعيمها، وكل ما فيها دائم غير مقطوع ولا ممنوع، أنهارها دائمة وجريانها دائم وسائح في كل مكان منها، وأُكُلها دائم بشتى أنواعه وأشهى أصنافه، وكيف لا يكون هذا الأكل دائم والله عليه قائم، فما من أُكُل يتناوله أهل الجنة إلا ويأتي الله بمثله مكانه، وهذا ما أخرجه البزار والطبراني "**عن ثوبان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد في مكانها مثلها**". (تخريج الأحاديث والآثار: ج١/ص٥٥).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: "**إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير**". (الدر المنثور: ج٧/ص٣٩١).

وهذا هو أُكُل أهل الجنة دائم في كل شيء، كما هو دائم بلذته، ومما يزيد

هذا الأكُل لذة أن أهله يتلذذون به تحت ظلال الجنة الدائمة في كل مكان منها، فلا توجد شمس في الجنة. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٢٥٣).. تقلل بأشعتها وحرّها من تلذذهم بهذا الأكُل، وظلها ظليل وفي كل مكان من خلال نور لا يؤذي العين ولا يحرق البدن، فهو ظل أريد به الزيادة في المتعة، وكمالاً لها، لتكتمل لذة الديمومة ولذة الأكل مع لذة هذه الظلال. وتلك هي عقبى الذين اتقوا.

أما عقبى الكافرين فهي على النقيض من عقبى المتقين، فعاقبتهم الديمومة في النار، فهم لم يتقوا هذه النار بأعمالهم، ولم يطيعوا الله تعالى فيما أمرهم، فكذبوا وكفروا وآذوا، فحق عليهم الكفر وحق الله بأن جعل عقبى الكافرين النار.

١٢- الجنـة في سورة إبـراهيـم

ورد ذكر الجنة في الآية الثالثة والعشرين من هذه السورة في قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ سورة إبراهيم: الآية: ٢٣.

هذا هو المصير المقدر من الله تعالى لهؤلاء المؤمنين بأن جعلهم يدخلون جناته كتحصيل حاصل لما قدموه في حياتهم الدنيا من الصالحات تحقيقا لناموس الكون الذي سنّه وحدده الله تعالى له، فلا يخرج عنه، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان. ولا يجوز أن يكون جزاء الإحسان النار ولا في أي حال من الأحوال، بل إن جزاء النار يكون في السيئ من الأعمال، وهذه سنة تقابلية بين ما يقدمه العباد من الأعمال وبين ما يقدمه الله تعالى من جزاء وثواب منه لهذه الأعمال، فالجنة تكون في مقابل ما يقدمه العبد من صالحات الأعمال المنبثقة من يقين الإيمان، والنار تكون قبيلاً لما يقدمه العبد من سيئ الأعمال المنحدرة من الكفر والعصيان، فلا تبديل ولا تغير في هذه السنة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فتعلم كل نفس ما قدمت وأخرت لهذا اليوم العظيم، فمن أحاطت به سيئاته، فلا نجاة له من النار، ومن ارتفع وثقل ميزانه بصالح الأعمال فقد مَنَّ الله عليه بالنجاة والسلامة من النار، فيدخل مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها بإذن ربهم. وكل هذا وذلك بإذنه سبحانه وتعالى ومشيئته، فدخول الجنة يكون بإذن الله، وجريان الأنهار فيها يكون بما شاء لها الله من أن تجري وتنساب على وجه أرض الجنة دون أخدود، فلا تفيض ولا تغرق.

ثم تكتمل مشيئة الله بخلود ما في الجنة، وخلود أصحابها المؤمنين. عندها يفرح هؤلاء المؤمنون بهذا الخلود فرحا يضاهي ويفوق فرحهم بما أوتوه من نعم الجنة، فتطمئن قلوبهم إلى أن هذا النعيم باق ودائم لا ينفد ولا يقل، فلا يقتر الآباء على أنفسهم ليطعموا أبناءهم، ولا يدخر أحد طعامه ليتناوله في شتائه، إنما كل

شيء موجود وباق في كل حال من الأحوال، وفي كل مكان من الجنة، وما يشتهيه المؤمن يلاقيه ويجده بكثرة في كل حين، ولا يقف بينه وبين ما يريد أي حائل أو مانع، فكل شيء موجود بخلود، خلود لهذه النعم وخلود لأهل النعم، ولا مرض يكدر حياتهم ولا موت ينهي استمتاعهم، ولا وقت يحدد زمن إقامتهم وبقائهم على هذا النعيم ليخرجوا معه من لذاتهم، ويعيشوا على ذكرى ما فاتهم.

عن ابن عُمَرَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "إذا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حتى يُجْعَلَ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ". (صحيح البخاري: ٦١٨٢/ج٥/٢٣٩٧).

فالمؤمنون في الجنة في سلام، والله هو السلام، ورسالته لنبيه محمد ﷺ هي الإسلام فلا عجب من أن يجعل الله تعالى تحية أهل الجنة فيما بينهم " السلام " فهم في دار السلام، فلا حرب فيها ولا تنازع، ولا حسد ولا تباغض، إلا قيلا سلاماً سلاما.. سلاماً من الله ومن الملائكة وفيما بينهم، فيعيش أهلها بسلام، وبسلامة ما فيها، وبجوار رب العزة ورب السلام.

قال المفسرون: والسلام: السلامة من كل ضر وسوء مع الاطمئنان الدائم. (انظر: الجلالين الميسر: ص٢٥٨).

١٣- الجنة في آيات سورة الحجر

جاء ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات: ٤٥- ٤٨.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ سورة الحجر: الآيات: ٤٥- ٤٨.

يخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة عن الجزاء الذي أعده لعباده المتقين الذين اتقوا، واتقوا النار بصالح أعمالهم التي باعدت بينهم وبينها، وقاربت بينهم وبين ما أعده الله تعالى لهم من جنات وعيون جزاءً وثواباً بما كانوا يعملون.

وهذا هو الجزاء العظيم من الله تعالى لهؤلاء المتقين، هذه الجنات وهذه العيون.. إنه الجزاء المزدوج كما هو الجزاء العظيم، جنات ثم عيون، ولو أن الله تعالى ذكر الجنات جزاءً للمتقين لكفتهم عظمة هذه الجنات، لكن الله سبحانه وتعالى عطف عليها ما جعل فيه الحياة والخضرة، وبما يوحي من كثرة النعم ودوامها، فزاد الله تعالى على الجنات جزاء العيون، لما فيها من طمأنينة للنفوس، وليس هذا فحسب، فهي ليست عيناً واحدة بل عيون متعددة ومختلفة عن بعضها البعض، بما فيها من نعم، متشابهة في جريانها، ومختلفة في عطائها لسقاتها.

قال المفسرون: العطف في قوله تعالى (وعيون) فهو يعطي لهذه الجنات التي لا يتخيل وصفها عقل، ولا يدرك كنهها تدبر وتفكير زيادة في الوصف، حيث يبين العطف أن الجنة تتفجر فيها العيون، وتنساب متشعبة في جوانبها، والإنسان المتقي الذي وعده الله بهذه الجنات يجلس خلال هذه الجنات، وخلال عيونها المنسابة في كل جهاتها.. (انظر: التفسير الكبير: ٢٠٠/٢٨. تفسير أبي السعود: ١٣٨/٨. روح المعاني: ٧/٢٧. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٨٥).

أخرج الحكيم في نوادر الأصول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: "أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله " يفجرونها تفجيرا " والأخرى الزنجبيل وعينان نضاختان من فوق إحداهما التي ذكر الله سلسبيلا والأخرى التسنيم". (الدر المنثور: ج٨/ص٣٧٥).

ثم إن ذكر هذه العيون جاء متعدداً ومتنوعاً ليشمل عيون الماء، والعسل، واللبن، والخمر، والزنجبيل. وذكر هذه العيون يكفي عن ذكر ما يجري منها من الأنهار. وهي أيضاً ليست كعيون الدنيا، بل هي ما يفوق بحورها ويجاري محيطاتها وإن جاءت مجتمعة معاً.

وروي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "في الجنة بحر للماء وبحر للبن وبحر للعسل وبحر للخمر ثم تشقق الأنهار منها بعد". (الترغيب والترهيب: ح ٥٦٦٥/ج٤/ص٢٨٦).

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾

إنه أمر الله لهؤلاء المتقين بالدخول إلى هذه الجنات وما فيها من عيون، ادخلوها بسلام وبكل ما في هذه الكلمة من معنى وسعة ورحبة.. ادخلوها من غير داء أو علة فلا مرض ولا برص ولا عمى ولا عاهة في الجنة.. ادخلوها مسلمين على من فيها بسلام ربها ورب العالمين.. ادخلوها آمنين مطمئنين فلا خوف ولا فزع في هذه الجنة، إنما أمن وأمان من الله سبحانه وتعالى جعله في جنته لتكون دار السلام.

قال المفسرون: أي ادخلوا الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال، ومع القطع ببقاء هذه السلامة والأمن من زوالها.. أو مسلماً عليكم تسليم الملائكة. (انظر: تفسير الكشاف: ٣١٤/٢. تفسير البغوي: ٥٢/٣. البحر المحيط: ٤٥٦/٥).

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾

إن المتقين في سلام وأمان في هذه الجنة، وما داموا على هذه الحال الذي شاءه الله تعالى لهم، جاءت إرادته بتخليص هؤلاء المتقين من آفات الدنيا ونزع ما في صدورهم من الغل، وما يحويه من الحقد والحسد والتباغض، زيادة وكمالاً

لهم، وزيادة لما هم عليه من السلامة والأمان والاطمئنان في هذه الجنة.

قال المفسرون: أي أزلنا ما في قلوب أهل الجنة من الحقد والبغضاء والشحناء.. حال كونهم إخوة متحابين لا يكدّر صفوهم شيء. (التفسير الميسر: ٢/ ١٠٤).

فهذا الغل الذي قد لازم طبيعة هذه النفس البشرية في حياتها ومنذ أن شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى لهذه النفس على أن تكون على هذه الأرض، فيكون هذا الغل بمثابة البيئة الملائمة لنمو شتى أنواع البكتيريا والميكروبات المسببة لسائر أمراض الحقد والكره، والحسد، والعداوة، التي تبطش وتفتك بهذه النفس وتهبط بها إلى أدنى مستوى لها من مرتبتها الإنسانية التي أكرمها الله تعالى بها إذا ما تفشت داخل هذه النفس، وسيطرت على سلوكياتها لتقودها إلى العداء والشحناء التي غالباً ما تؤدي إلى الشقاء والندم، أو الهلاك، فتنقلب عندها الموازين، فيصبح الأخ قاتلا لأخيه، والصديق عدوا لصديقه، والجار مؤذياً لجاره... وإلا فما هو الذي جرى بين قابيل وهابيل ابني سيدنا آدم عليه السلام، كي تطاوع نفس أحدهما على قتل أخيه؟...... انه غل الحسد والجشع والطمع.

قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة المائدة: الآية: ٣٠.

وما الذي جعل سادة قريش من الكفار من أن تأخذهم العزة بالإثم، فلا يؤمنون برسالة سيدنا محمد ﷺ... انه غل الحسد والتحاسد الذي تمنوا معه لو أن الله اختصهم هم بهذه الدعوة، أو اختص بها من يجدون فيه ميلا مع مصالحهم الشخصية، لكن الله هو الأعلم في من يختص به هذه الرسالة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الزخرف: الآيتان: ٣١-٣٢.

ثم برز هذا الغل في كثير من نفوس أهل الكتاب الخبيثة حسداً منهم على إيمان المسلمين في المدينة المنورة، وودّوا لو أنهم يرجعونهم كفاراً بعد إيمانهم، مع علمهم أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو الحق، ووجدوه في كتبهم، ولكن غلهم منعهم من الإيمان به، وزادهم غلهم عليه حسداً، لأن الله تعالى اختصه بهذه الرسالة من دونهم بعدما ظنوا أن هذا الرسول سيكون منهم.

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٠٩.

ثم ما هو سبب هذا الاقتتال، وهذه الحروب الموجودة الآن بين ابناء هذه البشرية الواحدة؟

انه الغل وما فيه من الحقد والكره، والتباغض والتحاسد الذي معه عميت الأبصار، وران على القلوب حتى اذهب عنها طيبة فطرتها وأوجد مكانها نزعة العداء والعداوة فيما بينها.

لذا كان لا بد من علاج لهذا المرض ومنع انتشاره، فالله قد جعل لكل داء، دواء وعلاجاً، وهذا الدواء هو الإيمان الذي شع من رسالات الله لهذه البشرية، وهو الذي معه تضمحل المنابع التي تغذي هذا الغل فتكبحه وتقزمه، لتعود هذه النفس فتسمو وترتفع إلى أعلى مراتبها الإنسانية التي أرادها الله تعالى لها من الكرامة والعزة.

لذا فإنه لا غل في الجنة، وكيف يكون هناك من غل في صدور أهلها وقد أدى الله سبحانه وتعالى الحقوق لأصحابها، فاقتص كل صاحب ذي مظلمة في الدنيا ممن ظلمه، مهما كبرت أو صغرت مظلمته، حتى يأخذ كل ذي حق حقه، فلا يبقى للغل والكره في صدورهم مكان، فتصفى النفوس وتتهذب فتدخل الجنة صافية جلية محبة.

جاء في الصحيح، عن أبي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ من النَّارِ فَيُحْبَسُونَ على قَنْطَرَةٍ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فيقتص لِبَعْضِهِمْ من بَعْضٍ مَظَالِمُ كانت بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الْجَنَّةِ منه بِمَنْزِلِهِ كان في الدُّنْيَا". صحيح البخاري: ح٦١٧٠/ج٥/٢٣٩٤).

ومن هنا، فلا تحاسد ولا تباغض ولا تنازع بين اصحاب الجنة، إنما هم إخوان متحابون ومتشاركون نعيم الجنة، مرفوعون ومترفعون عن كل ما كان في الدنيا من شوائب الأذى والطمع والجشع والتي أهلكت من لم يقدر على التحكم بها وكبحها. فهم من تغلب على هذه الآفات بتقواهم، فأصبحوا إخواناً على سرر متقابلين، وهذه الأسرّة ليست معدة للنوم كما هو في مفهومنا لها في هذه الدنيا، فلا نوم في الجنة تذهب معه الصحوة والنعيم، إنما هي أسرة متقابلة لبعضها البعض، أريد بها زيادة في التنعم، وزيادة في الألفة بين هؤلاء المؤمنين، فتدور بهم هذه الأسرة في كل اتجاه حتى لا يرى المؤمن من أخيه إلا وجهه، ولا يرى منه ما يسوؤه.

قال مجاهد: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض زيادة في الإنس والإكرام. (زاد المسير: ٤/٤٠٤).

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

فلا مشقة ولا أذى في الجنة، ولا إعياء ولا تعب في طلب الرزق، فكل ما يريدونه موجود فيما يشتهونه، فلا حاجة للتنقل والكد والتعب، وكل البيوت والقصور يتحقق وجودها بمجرد أن يتمنى المؤمن وجودها في أي حال وفي أي شكل من الأشكال، ومنها ما يعده الله تعالى لأصحابها وهم ما زالوا في دنياهم، ثوابا منه تعالى، وبشرى لهم لما هم عليه من صالح الإيمان وصالح العمل.

جاء في الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال "أتى جِبْرِيلُ النبي ﷺ فقال يا رَسُولَ اللهِ هذه خَدِيجَةُ قد أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فيه إِدَامٌ أو طَعَامٌ أو شَرَابٌ فإذا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عليها السَّلَامَ من رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ في الْجَنَّةِ من قَصَبٍ لَا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ". (صحيح البخاري: ح٣٦٠٩/ج٣/١٣٨٩).

ثم يختتم الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بالخاتمة التي يفرح بها المؤمنون من البقاء والخلود في هذه الجنة وفي هذا النعيم، فلا خروج منها إلى غيرها، مع أنه لا يوجد شيء غيرها ليضاهيها في نعيمها، فلا نعيم إلا نعيمها. وفي حال هذا الخلود ما يكمل ويتمم ما جاءت به هذه الآية الكريمة من الأمن والسلامة لأصحاب الجنة المتقين.

١٤- الجنة في آيات سورة النحل

جاء ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات: ٣٠-٣٢

قال تعالى:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢ ﴾ سورة النحل: الآيات: ٣٠ - ٣٢.

تبرز هذه الآية الكريمة صوراً عما يقوله عباد الله المتقون حول رسالة نبيهم محمد ﷺ، وما ينتظرهم عند قدوم الأجل وساعة الاحتضار، وما ينتظرهم من طيب وحسن الجزاء يوم البعث. وفي قولهم هذا جانب مختلف عما قاله أولئك الكافرون المستكبرون من قريش فيما سبق هذه الآية من الآيات، فما قال هؤلاء الكفار إلا كل قول ملؤه الكذب والإنكار لهذه الرسالة ولمن بعث فيها. بينما جاء ما قاله المؤمنون المتقون مغايراً لما أجابه هؤلاء الكفرة عن هذا السؤال، فقول المتقون كله تصديق وإجابتهم نابعة من مدرسة الإيمان التي تعلموا فيها فتبدلت حالهم من حال إلى حال، فلا كذب ولا تكذيب بل تصديق وإيمان بكل ما تعلموه، وتصديق وإيمان بما سيكونون عليه من حسن الثواب يوم الحساب. فهذه هي إجابتهم وقولهم لكل من سألهم عن هذا الأمر.

قال المفسرون: هذا كان في أيام الموسم يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عن محمد وعن ما أنزل الله عليه فيقولون: أنزل الله عليه الخير والهدى والقرآن. (الرازي: ٢٠ / ٢٣).

وروى ابن أبي حاتم عن السدي، قال " اجتمعت قريش، فقالوا: إن محمداً رجل حلو اللسان، إذا كلمه الرجل، ذهب بعقله، فانظروا ناساً من أشرافكم المعدودين المعروفة أنسابهم، فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة على رأس ليلة أو ليلتين، فمن جاء يريده فردوه عنه، فخرج ناس في كل طريق، فكان إذا أقبل الرجل وافداً لقومه ينظر ما يقول محمد، ووصل إليهم، قال أحدهم: أنا فلان ابن فلان، فيعرفه نسبه، ويقول له: أنا أخبرك عن محمد، انه رجل كذاب لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيهم، وأما شيوخ قومه وخيارهم فمفارقون له، فيرجع الوافد، فذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فإن كان الوافد ممن عزم الله له الرشاد، فقالوا له مثل ذلك، قال: بئس الوافد لقومي أن كنت جئت حتى بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل، وأنظر ما يقول وآتي قومي ببيان أمره، فيدخل مكة، فيلقى المؤمنين فيسألهم ماذا يقول محمد؟ فيقولون: خيراً... فذلك قوله تعالى في المؤمنين: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ﴾". (روح المعاني: ١٤/١٣١).

وهكذا فإن أول ما بدر من أفواه المتقين عند سؤالهم عن هذا الدين الحنيف كلمة: "خيرا". ولو أننا وقفنا عند هذه الكلمة، وتأملناها، لوجدنا أنها وعلى الرغم من قلة حروفها تحوي معاني جزلة وعديدة، وهذا يكشف عن التربية الصحيحة لهؤلاء المؤمنين فيما كسبوه من خير وتعلموه من نبيهم محمد ﷺ وفيما نزل عليه من الخير من الله سبحانه وتعالى، فعندما يسمع السائل كلمة الخير هذه، يطمئن قلبه بداية، ويتزايد شوقه وحب استطلاعه لمعرفة هذا الدين الذي نزل على محمد ﷺ، فيدرك ما سوف يكون عليه كلام المؤمنين من معاني الخير، فيستمع إلى ما سيأتي من الحديث بشغف، فيتابع المتقون كلام الخير بكلمات بسيطة توجز ما في هذه الدعوة من خير وحسب ما تعلموه وأنزل إليهم عن طريق نبيهم الكريم من الله سبحانه وتعالى:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

فمن عمل خيراً، فسيلقى خيراً في حياته الدنيا ويحيا حياة طيبة وحسنة، وسيلقى في الآخرة من الخير ما يفوق خير الدنيا وما فيها... وكيف لا يلقى خيراً.. وقد أصبح في دار المتقين.. هذه الدار التي أعدها الله تعالى لهم وجعلها دار الإقامة الدائمة والطيبة، وسخر لهم ما فيها من الأنهار الجارية والنعيم الدائم، وجعل لهم فيها كل ما يريدونه حاضراً بين أيديهم إذا ما تمنوه أو اشتهوه. وهذا هو جزاء وثواب من عمل الحسنى في حياته الدنيا وكان مع عباد الله المتقين.

وليس هذا فحسب، بل إن حسنى الله على عباده المتقين تأتي عليهم بالخير في تلك الساعة التي ينتقلون فيها من دار الدنيا إلى دار الآخرة وما تحويه هذه الساعة من هول ووجل ومعاناة، فيرسل الله تعالى إليهم ملائكته لتخفف عنهم خوفهم وحزنهم وجزعهم بما تحمله لهم من بشارة تطمئن معها القلوب. فيأتونهم الملائكة ويسلمون عليهم ويهدئون من روعهم، فتطمئن نفوسهم الطيبة وتطيب وتشتاق إلى لقاء الله سبحانه وتعالى، فيتعافون من الكرب وعذاب الموت وسكراته، ثم تعجل الملائكة لهم البشارة ويطلعونهم على ما سوف يكونون عليه من حياة طيبة يوم البعث، فيقولون لهم ادخلوا الجنة جزاءً ووفاقا بما كنتم تعملون، فتزداد نفوس المتقين فرحاً وطيبا بهذه البشرى...

قال ابن عباس: الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله، ويخبرونهم أنهم من أصحاب اليمين. (الطبري: ١٤ / ١٠١).

١٥- الجنة في آيات سورة الكهف

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّـٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ﴾ سورة الكهف: الآية: ٣١.

تبين هذه الآية الكريمة ما أعده الله سبحانه وتعالى لتلك الفئة المؤمنة من العباد، فبدأت بالإشارة إليهم بأنهم " أولئك " نسبة وإشارة إلى ما كانوا عليه من إيمان وأعمال صالحة اختصوا بها عن غيرهم من الخلق، وتميزوا بها عنهم، فعُرفوا من خلالها، فكانوا هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

فهؤلاء المؤمنون أعد الله تعالى لهم جنات الإقامة الدائمة.. جنات عدن وما فيها من الأنهار الجارية من تحت غرفهم وقصورهم، وفي كل مكان من الجنة. ثم تعرج الآية الكريمة لتبين ما أعده الله تعالى لهم فيما يخص بدنهم من حلي ولباس، فهم يحلون ويلبسون مما حرمه الله عليهم في الدنيا وأحله لهم في الجنة، فحليتهم الذهب ولباسهم الديباج والديباج هو ضرب من الثياب سداه ولُحمته حرير. (المعجم الوسيط: ١ - ٢/٢٩٢)

أخرج البخاري عن حذيفة انه قال: **سمعت النبي ﷺ يقول: "لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ ولا الدِّيبَاجَ ولا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ولا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لهم في الدُّنْيَا وَلَنَا في الْآخِرَةِ"**. (صحيح البخاري: ح ٥١١٠/ج٥/ص٢٠٦٩).

﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾

قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده أساور: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. (صفوة التفاسير: ٢/١٧٥ - ١٧٦).

فهذه هي حلي المؤمنين في جنات النعيم، أساور من الذهب، واللفظ ﴿ أَسَاوِرَ ﴾ جاء في الآية الكريمة بدون أل التعريف وبصيغة نكرة، لتعظيم حسنها ولإطلاق ما لا حد له من التصور في معرفة ماهيتها دون الإحاطة بها. قال الزمخشري: وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن. (الكشاف: ٣٨٩/٢)، فهي ليست من هذه الأساور التي تلبس في هذه الدنيا، ومعرفتها تكون بمعرفة ما يمكن أن يقربها إلينا. فهي أساور من ذهب كهيئة الأساور التي تلبس في دنيانا. وقد جاء في الحديث الشريف ما فيه من شأنها:

أخرج ابن مردويه عن سعد عن النبي ﷺ قال "لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس ضوء النجوم". (روح المعاني: ج١٥/ص٢٧٠).

وفيها أيضاً:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال"لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا". (روح المعاني: ج١٥/ص٢٧٠).

وفيما تبلغه هذه الحلي من المؤمن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**سمعت خَلِيلِي ﷺ يقول تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ من الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ**". (صحيح مسلم: ح ٢٥٠/ج١/ص٢١٩).

أما فيما يخص لباس أهل الجنة، فهو وكما تبينه الآية الكريمة:

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾

فثيابهم خضراء اللون لما في هذا اللون من حسن وراحة للنفس، وراحة للبصر، وقد قيل فيه: ثلاثة مذهبة للحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن....

وهذه الثياب الخضراء محاكة من السندس والإستبرق، والسندس ما رق من الديباج، والإستبرق ما غلظ منه، وكما قال جماعة من المفسرين عنهما، بينما قالت طائفة أخرى: ليس المراد به الغليظ، ولكن المراد به الصفيف. وقال الطبري: معنى الآية أنهم يلبسون من الحلي أساور من ذهب، ويلبسون من الثياب السندس وهو ما

رق من الديباج، والإستبرق وهو ما غلظ فيه وثخُن. (الطبري: ١٥/٢٤٣).

فلباس أهل الجنة هو من ضرب الثياب الفاخرة سداها ولحمتها الحرير وما فيه من اللين والرقة والبريق.

عن ابن عمر قال "قال رجل يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلقا تخلق أم نسجا تنسج فقال ﷺ بل يتشقق عنها ثمر الجنة". (روح المعاني: ج١٥/ص ٢٧٢).

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "قال: النبي ﷺ: **مَن لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ**". (صحيح البخاري: ح ٥٤٩٤/ج٥/ص ٢١٩٤).

كما أخرج ابن المبارك عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن دار المؤمن درة مجوفة، فيها أربعون بيتا، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيأخذ بإصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان. (جاء في تفسير القرطبي نحوه: ١٠/٣٩٧).

ومما تذكر به الإشارة إلى أن هذه الثياب أعدها الله تعالى لهؤلاء المؤمنين زيادة في الزينة والمتعة والجمال لهم، فهي ليست كثياب الدنيا، وبما تعنيه من ستر للعورة، فلا عورة لهم في هذه الجنة، ولا سوءة، فالله سبحانه وتعالى يواري عنهم سوءاتهم كما وارى من قبل سوءة أبويهما آدم وحواء عليهما السلام قبل أن يعصياه عندما كانا في الجنة.

وقد قدم الله سبحانه وتعالى ذكر الحلية على الثياب في هذه الآية لما في الحلية من وقع في القلب، وعظم في النفس، ولما فيها أيضاً من قيمة، فهي أغلى وفي العين أحلى، بما تظهره من لمعان يزيد من متعة أهل الجنة بها، ثم ذكر الله تعالى الثياب وما فيها من زينة ومتعة، لتكتمل متعة وزينة أهل الجنة. وفي هذا بيان وإشارة إلى أن ثياب أهل الجنة هي ثياب متعة وزينة لا ثياب ستر عورة، وان الله سبحانه وتعالى ذكرهما معا لبيان ما فيهما من نفس المعنى.

قال أبو حيان: وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب وفي القيمة أغلى وفي العين أحلى. (البحر المحيط: ٦/١٢٢).

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

ثم تعود وتبين هذه الآية الكريمة واقع الحال الذي عليه هؤلاء المؤمنون في الجنة، فهم متكئون فيها على الأرائك لا يشغلهم هم ولا يتعبهم كد، وما لهم من هم إلا الاستمتاع في هذه النعم، فلا يشغلهم عمل يبعدهم عنها، فهم متكئون ومضطجعين على الأرائك، والأرائك جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة، والحجلة هي ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس أو ستر يضرب للعروس في جوف البيت يزين بالثياب وما طاب منها.

قال ابن عباس: الأسرة من ذهب وهي مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال، الأريكة ما بين صنعاء إلى أيلة، وما بين عدن إلى الجابية. (القرطبي: ١٠/٣٩٨).

وفي هذا احتفال وحفاوة بقدوم أهل الجنة إليها وفي كل حين. فلا يملون ولا يكلون من هذا النعيم.

أخرج الحرث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي أن النبي ﷺ سئل عن البضع في الجنة قال "نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وإن الرجل ليتكئ فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا يتحول عنه ولا يمله يأتيه فيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه". (الدر المنثور: ج١/ص١٠٠).

وأخرج ابن المنذر وجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن على الأرائك فرشا منضودة في السماء مقدار فرسخ. (روح المعاني: ١٥/٢٧٣).

فيا له من حسن ثواب لهؤلاء المؤمنين على أعمالهم... ويا لها من جنة عظيمة تطيب معها نفس من أقام وسكن فيها، فتتلذذ عينه بنعيمها الذي أوجده الله العظيم فيها.

ب. قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ الكهف: الآيتان: ١٠٧-١٠٨.

إن الإيمان اليقين هو من أعظم النعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على عباده

المؤمنين، والذي من خلاله اهتدوا إلى مفاتيح الأعمال الصالحة التي فيها رضى الله تعالى وطاعته، ليدخلوا بها وبرحمة الله جناته، جنات الفردوس التي وعدهم إياها.

وكلمة الفردوس تعني البستان الذي حوى من ألوان الثمار والبهجة أبهاها وأجملها. والنزل هو المكان الذي يعد للضيف حسب مكانته في الدنيا، أما في الآخرة فهناك نزل طيب أعده الله تعالى للمؤمنين وهو الجنة، ونزل الشقاء والويل وهو النار أعده الله للكافرين.

وأما جنة الفردوس فهي من أعظم مراتب الجنة وأوسطها وأفضلها، وفيما ورد عنها من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "**الفردوس ربوة في الجنة وأوسطها وأفضلها**". (سنن البيهقي الكبرى: ح ١٨٣٢١/ج٩/ص١٦٧).

وجاء عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: "**فإذا سَأَلْتُمْ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قال محمد بن فُلَيْحٍ عن أبيه وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن**". (صحيح البخاري: ح ٢٦٣٧/ج٣ /ص١٠٢٨).

وعن **أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال**: "**من آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كان حَقًّا على اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ في سَبِيلِ اللهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها قالوا يا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَبِّئُ الناس بِذَلِكَ قال إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ ما بَيْنَهُمَا كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**". (صحيح البخاري: ح٦٩٨٧/ج٦/٢٧٠٠).

وبما أن جنات الفردوس هي من أعلى مراتب الجنة منزلة، فإنه لا ينزل فيها إلا من ارتقى أعلى درجات الإيمان، وثابر على الأعمال الصالحة التي ترفعه إلى مرتبتها فيفوز بها ويتنعم بما أعده الله له فيها من نعيم لا حصر له.

وإذا أردنا أن نعرف ماذا أعد الله له في أعلى هذه الجنات مرتبة، فلننظر ماذا أعد الله سبحانه وتعالى من نعيم لأدنى أهل الجنة منزلة على سبيل المقاربة، لا على سبيل المقارنة والمشابهة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "**إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها تجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون إخوانا على سرر متقابلين**". (الترغيب والترهيب: ح٥٦٤٠/ج٤/ص٢٩٧).

وفي حديث آخر رواه عكرمة رضي الله عنه: "**إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لا يدخل بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر إلا معمور يغدى عليه كل يوم ويراح بسبعين ألف صحفة في كل صحفة لون ليس في الآخر مثله شهوته في آخرها كشهوته في أولها لو نزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطي لا ينقص ذلك مما أوتي شيئا**". (الدر المنثور: ج٧/٣٩١).

فإذا ما كان هذا ما أعده الله تعالى من ثواب لأدنى أهل الجنة درجة، فماذا سيكون ثواب ما أعده الله لأعلى أهل الجنة منزلة، المقيمين في جنات الفردوس؟!

إنه ثواب الله تعالى الذي هو من: "ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".

فنعم ثواب المؤمنين ونعم الخلود في هذه الجنات.

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾

إنها صفة الخلود والبقاء الدائم لهؤلاء المؤمنين من الله سبحانه وتعالى بهذه الجنة التي وصلوا من خلال نعيمها إلى ما لا بديل ولا تحول عنها، لما وجدوه فيها من نعم أحبوها حباً صاروا معه لا يبغون عنها حولا ولا تبديلاً.

قال المفسرون: أي ماكثين فيها أبداً لا يطلبون عنها تحولاً إلى غيرها. (انظر: صفوة التفاسير: ٢/١٩٠. تفسير الجلالين الميسر: ص٣٠٤).

وصفة الخلود والبقاء الدائم في الشيء، وصفة التحول والتبدل عنه في هذه الدنيا شأن يختلف عنه في الجنة. فالله سبحانه وتعالى عندما شاءت إرادته لهذا

الإنسان من أن يخلف هذه الأرض لازم فطرته بما يمكن أن يتحكم به وبما يساعده من المشاعر للوصول إلى الغاية المرجوة من هذه الخلافة، فجعل في فطرته ما فيه من حب الخلود والبقاء على الشيء لما يحويه هذا الشعور من ألفة للقديم، والتعلق بالمألوف، والمحافظة على العادة، وهذا من جانب، ثم جعل فيها أيضاً ما فيه من حب التحول والتبديل عن الشيء لما في هذا الشعور من حب التجديد والكشف وحب الاستطلاع، وهذا من الجانب الآخر.

والأصل في هذا الشعور وفي كل جانب منه هو الاتزان والتوازن فيما بينهما، فلا يبغي أحدهما على الآخر كي لا تختل المعادلة المؤدية إلى درجة حسن الخلافة للأرض التي أرادها الله تعالى لهذا الإنسان. فإذا ما اصطدم الجانب الأول مع الجانب الآخر وطغى عليه من حيث حب البقاء على الشيء وكره التجديد والتحول، ومن حيث البقاء على ما هو مألوف من العادات والتقاليد، ورفض التطور والتطوير ومنع التغيير، فإن دور الإنسان في هذه الخلافة سوف يختل بما سوف يسوده من الجهل والتخلف، فلا يقبل بأي شيء قادم من جهة حب التحول والتبديل، فينسى ويتناسى ما في هذا التحول والتبديل من تطوير لهذه الحياة، وما فيه من كشف وتقدم في سائر الاتجاهات يرتقي فيها الإنسان أعلى مستويات الإبداع، فيبقى في مكانه لا يبارحه، عندها يرسل الله سبحانه وتعالى بمن يدفع عجلة التحول دفعة قوية لتخرج من دائرة الجمود إلى دائرة الحركة التي تصطلح معها الدرجة التي أرادها لها الله من خلافة الإنسان لهذه الأرض.

وفي رسالة سيدنا محمد ﷺ خير مثال على ذلك، فعندما ساد التخلف والجهل عقول الناس حتى أشركوا بالله فعبدوا الأصنام وانحرفوا عن مسار الخلافة الصحيحة، بعث الله تعالى رسوله الكريم محمداً ﷺ برسالته ليصحح أفكارهم ويعيدهم إلى أصول الخلافة الصحيحة، وأول ما اصطدمت به هذه الرسالة من قبل هؤلاء المشركين كان رفضهم لها وعدم قبول ما هو جديد فيها لحبهم على البقاء على ما هم عليه، والتمسك فيما قد وجدوا آباءهم وأجدادهم عليه.

قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة الزخرف: الآيات: ٢٢-٢٤.

وأما إذا ما طغى حب التحول والتبديل على ألفة المألوف والمحافظة على العادة وبما هو متوازن، فقد ظهر هذا في أوروبا عندما قامت الكنيسة في العصور الوسطى بمعاداة أتباع التحرر والتجديد من العلماء ونعتتهم بالكفرة المارقين، ولاحقتهم في كل مكان وأباحت دماءهم، فثار هؤلاء ثورة أبعدتهم عن مسار وهدف التحول والتجديد في خلافة هذه الأرض، فخرجوا على الكنيسة ونعتوا كل ما في الدين على أنه رجعية وتخلف، وجاءوا بشعارات براقة ومسميات جديدة باسم التحرر والتجديد فظهر ما يعرف بنظام الرأسمالية نداً لنظام الاشتراكية الشيوعية، فعاش الناس في النظام الأول بتخبط الفئة القليلة من أصحاب رؤوس الأموال الذين أغرقوهم بنظامهم الربوي فاحتكروا السلطة والمال والتشريع ليسنوا من خلالها القوانين التي تنمي جشعهم ونهمهم وتزيد من سطوتهم وعلى حساب الفئة الساحقة من الشعوب. فأظهروا لمجتمعهم مساوئ وخطورة النظام الاشتراكي وما فيه من طمس لشخصية الفرد وإهمال له ومنعه من حرية التملك أو التصرف فيما قد يملك وان كل شيء فيه هو ملك للدولة، فقام هؤلاء الرأسماليون فطالبوا بالحريات الفردية غير المقيدة، والتي تصل فيها هذه الحرية حد الإباحية التي تهبط معها كرامة الإنسان لتصل أدنى مراتبها، فيعيش المجتمع بتفكك وانحلال بهبوط قيمه ومبادئه الأخلاقية. فظهر من هنا أحزاب وليدة لهذه الأنظمة فيما يعرف بالأحزاب المحافظة، وأحزاب الإصلاح والتغيير.

وقد يظن أحدهم ويقول إن ما جاء به النظام الرأسمالي أو الشيوعي فيه نوع من التطور والتقدم وفيه من الخير ما يفيد هذه البشرية، فنحن لا ننكر عليهم هذا، فبعض ما جاءوا به يوائم الفطرة الإنسانية القويمة لوجود بعض المصلحين فيهم،

ولكن كل هذا يبقى في حدود الحد الأدنى للخلافة الصحيحة التي أرادها الله تعالى لهذا الإنسان والتي لا تكتمل إلا من خلال هذا النظام الإسلامي الذي جمع وشمل الجوانب الإيجابية فقط لكلا النظامين، فوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، وملأ الفراغ الروحي لدى الأفراد والجماعات بنور الهدي الرباني الذي تستقر معه النفس الإنسانية وتستكين، فلا تلجأ ولا تبتكر الطرق الفنية المؤدية إلى الانتحار خلاصا من ويل ما تعانيه من نقص ما يلبي حاجاتها الروحية.

لذا فإن الخلافة الصحيحة لهذه الأرض لا تصلح إلا بصلاح ميزان الفطرة الإنسانية التي أرادها الله إليها.

وأما في الجنة وهي دار الكمال المطلق فإن فطرة الإنسان تسير بميزان من فطرها وخلق جنتها، فلا تمل الإقامة الدائمة على نفس النعيم وتقبل وتشتهي كل ما تريده فلا تبغي عن الجنة ونعيمها حولاً.

١٦- الجنة في سورة مريم

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات المتسلسلة التالية:

قال الله عز وجل:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ سورة مريم: الآيات: ٦٠-٦٣.

إن من لطف الله تعالى وكرمه على هذه النفس البشرية الخطّاءة أن جعل لها من أسمائه الكريمة وصفاته العُلا باباً مفتوحاً على مصراعيه، هو باب التوبة والاستغفار - فهو التواب الغفار - لتدخل معه في رحمة الله تعالى في أي وقت وفي أي ساعة شاءت حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا ما تابت هذه النفس وأصلحت فإن الله تعالى يتوب عليها، فينقيها من ذنوبها وخطاياها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده على التوبة والاستغفار وجعل منها حافزاً لمن أردا أن يعود ويصطلح مع الله، أو لمن أراد الدخول في شريعته. فاعتبر أن الإسلام يجب ما قبله لتطمئن نفس وقلب من أراد الدخول في هذا الدين الحنيف، فيزداد حباً وإقبالاً على الله، فيقبل الله عليه.

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الشورى: الآية: ٢٥.

والله سبحانه وتعالى هو التواب الغفار الرحيم بعباده يغفر الذنوب جميعاً ويعفو عن السيئات، ويمحو الخطايا مهما صغرت أو كبرت حتى

وإن بلغت عنان السماء، أو جاءت قراب الأرض، فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء ولا قنوط مع رحمته.

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الزمر: آية: ٥٣.

لا بل إن الله ليفرح بتوبة عبده إليه فرحاً أشد من فرحته في شيء قد تفضل الله به عليه. فقد روى الإمام مسلم فيما رواه عن النبي ﷺ أنه قال: "**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يَتُوبُ إليه من أَحَدِكُمْ كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ منها فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا قد أَيِسَ من رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هو كَذَلِكَ إذا هو بها قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قال من شِدَّةِ الْفَرَحِ اللهم أنت عَبْدِي وأنا رَبُّكَ أَخْطَأَ من شِدَّةِ الْفَرَحِ**". (صحيح مسلم: ح ٢٧٤٧ /ج٤/ص٢١٠٤).

كما أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في باب التوبة والاستغفار سبيلاً وسبباً لقدوم النعم والخير الكثير. قال تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ سورة نوح: الآيات: ١٠-١٢.

والله جل وعلا يحب التوابين الأوابين والمستغفرين من الذنوب، فلا يعودون ولا يصرون عليها. لأن في التوبة شروطاً حتى تصبح توبة نصوحة وصحيحة كي يتقبلها الله تعالى، فإذا كانت المعصية بين العبد وربه فإن توبة الله تعالى عليه لا تصح إلا بثلاثة شروط معاً، وأولها وثانيها: الإقلاع عن المعصية، والندم عليها، وثالثها أن يعزم ألا يعود إليها.

أما إذا ما كانت المعصية في حقوق العباد فإن توبة العبد تزداد شرطاً على الشروط السابقة وهذا الشرط هو أن يستبرأ العبد ذمته ممن جاءت المعصية فيه، فإن

كانت حقوقاً ردها لأصحابها، وإن كانت غيبة استسمح ممن استغابه... وهذا ما جاء بـه واشـترطه العلمـاء لجـواز صـحة الـتوبة وقـبولها مـن الله تعالـى. (انظـر: ريـاض الصالحين: باب التوبة: ص٢٣).

وفي هذه الشروط ما يبعد الإنسان المؤمن عن ارتكاب المعاصي والآثام التي حرم الله، فيبقى قريباً من طاعة الله، وفيها أيضاً المحافظة على حقوق العباد وعدم استباحة حرماتهم وصونها، أو إيذائهم بأي شكل من أشكال الأذى، وذلك كرامة لهذا الإنسان الذي كرمه الله تعالى وفضله على سائر خلقه.

ولكن ومع ما سلف ذكره، فإن إرادة الله تعالى فوق كل شيء، فقد تأتي إرادته بقبول توبة عبده بدون قيد أو شرط فهو يسيرها حسبما شاء وكيفما يشاء، فرحمته وسعت كل شيء، وهو الذي يغفر الذنوب جميعاً، فيعفو ويتجاوز عن خطايا عباده في حقه، وهو القادر على أن يرضي من وقعت بحقه الخطيئة من عباده، فإن كان العبد ليرضى ما يرضاه من عبد مثله، أفلا يرضى ويقبل برضا من خلقه وخلق الرضا.

فقد تأتي مشيئة الله على عبده ويتوب عليه في عمل يدفعه اليه، فيعمله العبد دون أن يلقي له بالاً، فيقبله الله تعالى منه ويتوب عليه ويغفر له.

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عليه الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فيها فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى من الْعَطَشِ فقال الرَّجُلُ لقد بَلَغَ هذا الْكَلْبَ من الْعَطَشِ مِثْلَ الذي كان بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ الله له فَغَفَرَ له قالوا يا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لنا في الْبَهَائِمِ أَجْرًا فقال في كل ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ". (صحيح البخاري: ح ٥٦٦٣/ج٥/٢٢٣٨).

وفي رواية أخرى لمسلم **عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول الله ﷺ: "بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قد كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ من بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ له بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لها بِهِ".** (صحيح مسلم: ح ٢٢٤٥/ج٤/١٧٦١)، يطيف: أي يدور حول، ركية: هي البئر، الموق: هو الخف.

وهذا العمل قد جاء إحسانه في شأن البهائم، فماذا لو كان هذا الإحسان بحق الإنسان والمسلمين..؟

روى الإمام مسلم عن **أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال "لقد رأيت رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا من ظَهْرِ الطَّرِيقِ كانت تؤذي الناس** " (صحيح مسلم: ح ١٩١٤/ج٤/٢٠٢١).

وقد يأتي هذا العمل وهذا الإحسان بحق نفس من يعمله لا بحق أحد، فيذكر المؤمن الله في نفسه فتدمع عينه من خشية الله، فيتوب الله عليه ويغفر له.

وقد يدفع الله تعالى العبد بعمل يعمله يكون له فيه من الأجر ما يغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، فيتوب الله عليه ويدخله جنته مهما بدر منه، وفي هذا المعنى، ما قاله النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طلب منه عمر الإذن ليقتل رجلاً كان قد شهد بدراً لمعصية قد ارتكبها بحق المسلمين، فقال له رسول الله ﷺ: "**أَتَقْتُلُ رَجُلا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**". (صحيح ابن حبان: ج١١/١٢٢).

ثم إن الله التواب الغفار قد جعل في باب التوبة والاستغفار ما فيه من استمرارية وبقاء لفئات العباد على هذه الأرض إذا ما أخطأوا وأذنبوا وتابوا واستغفروا.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال نزلت ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ ﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال رسول الله ﷺ: "مايبكيك يا أبا بكر قال يبكيني هذه السورة فقال له رسول الله ﷺ لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم". (تفسير ابن كثير: ج٤/٥٤١).

عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو لم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهم". (صحيح مسلم: ح ٢٧٤٩/ج٤/ص٢١٠٦).

فمن تاب وأناب فقد فاز، ومن أدركته رحمة الله بعمل صالح يصل فيه إلى

مغفرته فقد فاز. وهذا كله في الحياة الدنيا وقبل أن تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، انتهت الأعمال وبدأ الحساب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " (سنن النسائي الكبرى: ح ١١١٧٩/ج٦/ص٣٤٤).

ولذلك فإن باب التوبة ما زال مفتوحاً بشقيه لمن أراد وأراد الله له الهداية في الدنيا والآخرة.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾.

والتوبة هنا جاءت مرتبطة بالإيمان والعمل الصالح اللذين يتحقق من خلالهما المدلول الإيجابي لها.. فمن تاب وآمن وعمل صالحاً، فإنه يكون في زمرة المؤمنين التوابين الذين أنصفهم الله تعالى وتفضل عليهم بدخول جنته بقبول توبتهم وجعلهم كمن لا ذنب له.

قال المفسرون: أي إلا من تاب وأناب وأصلح عمله، فأولئك يسعدون في الجنة ولا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً. (صفوة التفاسير: ٢/٢٠٢).

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾

ثم يبين الله تعالى أن الجنة التي سيدخلها التائبون هي جنات عدن، وهي جنات ودار الإقامة الدائمة غير المنقطعة، وكما وعدهم إياها في الدنيا، والتي كانوا قد آمنوا بها قبل أن يروها، تصديقا وقناعة من أن وعد الله لا شك آت وصائر.

قال المفسرون: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾: أي أن وعده تعالى بالجنة آت وحاصل لا يخلف. (صفوة التفاسير: ٢/٢٠٢).

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾.

إن هذه النفس قائمة ومرتكزة على ما يملؤها من المشاعر والأحاسيس فتدور وتتحرك من خلالها، وتصفى بصفائها وتتكدر بكدرها، ومن أهم هذه الحواس هي حاسة السمع لما لها من تأثير ووقع على النفس البشرية واستقرارها، فتستقر إذا ما

شاء الله لها أن تستقر فيما جاءها وسمعته من الهدى، وتضطرب فيما لو كان عكس ذلك.

وليس هذا فحسب، بل إن هذه الحاسة هي من أسباب التواصل بين الناس، فتفرح من خلالها النفس إذا ما سمعت خيراً، وتتكدر إذا ما سمعت سوءًا ولغواً قد يبعدها أو يقلل من حبها لما هي عليه من النعم.

لذا فإن الله وسبحانه وتعالى يخبرنا ومن خلال هذه الآية الكريمة وفيما يصوره عن حال التائبين من أهل جنته، أنه جل وعلا قد رفع عنهم في الجنة كل ما يمكن أن يكدرهم من سماع قول وكلام اللغو وما يحويه من تفه وسفاهة، قد تقلل من استمتاعهم وفرحهم بنعيم الجنة الذي أعده لهم. لان المتعة قد تكون حسية وروحية في آن واحد وبما تعنيه الجلسة الهادئة المملوءة بالهدوء والسكينة والكلام الطيب واللطيف الخالي من الصخب واللغو، وهذا مما يزيد من استمتاعهم في الجنة، فتكون المتعة كاملة ومكتملة لهم من جميع الجوانب.

لذا فإن أهل الجنة في سلامة من لغو الحديث، فهم لا يسمعون فيها من القول إلا سلاماً، - وفي هذا استثناء منقطع - فيما بينهم، وفيما يأتيهم من تحيات السلام من الله تعالى وملائكته، لتطمئن قلوبهم بسماع هذا السلام فيزدادون فرحاً وبهجة.

قال المفسرون: أي لا يسمعون في الجنة شيئاً من فضول الكلام، لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم على وجه التحية والإكرام، والاستثناء منقطع. (صفوة التفاسير: ٢/٢٠٢).

ثم يزيدهم الله تعالى بما يزيد من طمأنينة قلوبهم، بأن كفل لهم رزقهم في هذه الجنة بكرة وعشيا. ولا يقصد بالبكرة والعشي الليل والنهار كما هو حالهما في الدنيا، إنما هي مواقيت يأتي فيها أهل الجنة رزقهم فيها كل ساعة، أو أن أهل الجنة يأتون رزقهم في مقدار طرفي النهار والليل في الدنيا لما فيه من السعة في الرزق.

عن الحسن وأبي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال (وما يهيجك على هذا) قال سمعت الله تعالى يذكر ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

فقلت الليل بين البكرة والعشي فقال رسول الله ﷺ: " ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو تأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة". (اضواء البيان: ٣/٤٧٠).

﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

يبين الله تعالى أن جنته التي وصفها بهذه الصفات العظيمة هي الميراث الحقيقي لمن شاء الوراثة الحقيقية من عباده، وأن طريقها واضح ومعروف لا يخرج عن الإيمان بالله والعمل الصالح الذي يقود إلى التقوى والتوبة التي تجعل صاحبها في دائرة المتقين الوارثين لهذه الجنات، ومعنى الوراثة في هذه الآية قد يكون بمعنى العطاء أو نتاج الأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون، وأن دخول الجنة هو عنوان رحمة الله تعالى بعباده المتقين، ووراثتها واقتسامها فيما بينهم يكونان حسب أعمالهم الصالحة المنبثقة عن درجة إيمانهم وتقواهم. وجاء بقوله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف: آية: ٤٣).

قال المفسرون: الميراث مجاز عن الإعطاء. (انظر: تفسير روح المعاني: ٨/١٢١. تفسير حاشية الشهاب: ٤/١٧٠).

١٧- الجنـة في آيات سورة طه

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

سورة طه: الآيتان: ٧٥ - ٧٦.

إن ميزان الله تعالى يوم الحساب يفرق أعمال العباد إلى فرقتين اثنتين تقود كل فرقة منها أصحابها إلى مصير معلوم، ليكون هناك فريق في الجنة وفريق في النار.

فمن ثقلت موازينه لتهبط بها كفة الميزان، فقد ارتفع قدره عند الله وفاز بجنته بحسنات وصالح أعماله، ومن خفت موازينه بثقل سيئ أعماله فقد هوى بما لا يهوى، وكانت أمه هاوية.

وأما من تساوت بأعمالهم كفتا الميزان ووقفوا لحظات الرجاء والرحمة على الأعراف فقد وقع أجرهم على الله، فإما إلى جنة وإما إلى نار.

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾

تبين هذه الآية الكريمة المصير المحتوم والجزاء العادل الذي استحقه عباد الله من فريق أهل الجنة، فتكشف عما أعده الله تعالى لهم من الدرجات العلى في جنته جزاءً لهم بما كانوا يعملون.

قال المفسرون: أي ومن يلقَ ربه مؤمناً موحداً وقد عمل الطاعات وترك المنهيات.. فأولئك المؤمنون لهم المنازل الرفيعة عند الله. (صفوة التفاسير: ٢/٢٢٠).

فمن توقفت به عجلة الزمان في هذه الدنيا، ووافته الوفاة، يكون بذلك قد جاء عليه الحق، ليقطع عليه رزقه وسائر عمله إلا ما فيه من علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية تزداد معها كفة الميزان ثقلاً، ويرتفع معها مقداراً ودرجة

عند الله تعالى، لما كان عليه من الأعمال الصالحة في حياته الدنيا. فالأعمال الصالحة لها درجات كما هي للجنة درجات. فمن ارتفعت به درجة عمله الصالح في الدنيا، ارتفع بها درجة في الجنة يوم الآخر، وإن قلت هنا، قلت هناك. فمن أتى لقاء ربه وقد أدى الفرائض، فإن له عند الله تعالى درجة، وإن زاد على الفرائض نوافل، زاده الله درجة على درجته، ومن جاهد في سبيل الله في نفسه أو بكلمة حق، فقد ارتقى عند الله الدرجات العلا من الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾ سورة الأنعام: الآية: ١٣٢.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "من آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كان حَقًّا على اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها فَقَالُوا يا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ الناس قال إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فإذا سَأَلْتُمْ الله فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ قال محمد بن فُلَيْحٍ عن أبيه وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن". (صحيح البخاري: ح ٢٦٣٧/ج٣/ص١٠٢٨).

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾

قال المفسرون: لهم المنازل الرفيعة عند الله (جنات عدن) بيان للدرجات العُلى أي جنات إقامة ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمنات، والمساكن الطيبات. (صفوة التفاسير: ٢/٢٢٠).

جاءت هذه الآية الكريمة تبين وتصف مكان الدرجات العلا التي نزل فيها أولئك المؤمنون على أنها في جنات عدن، جنات الإقامة الدائمة التي تجري من تحتها الأنهار، وما حول هذه الأنهار من الخضرة والأشجار الملتفة المنسابة من تحتها ألوان تلك الأنهار الجارية، وفي كل مكان من هذه الجنات وما تعكسه هذه الصورة من متعة جمالية بديعة، تضفي في نفوس أهل الجنة متعة حسية وجمالية لما

تراه أعينهم من مناظر خلابة يشتد إليها بصرهم، فلا يكاد يبارحها من شدة ما فيها من اللذة المتواصلة التي لا تنتهي بمكان أو زمان، فهذه المتعة خالدة بخلود كل ما في هذه الجنات من نعيم.. هذا النعيم الذي أعده الله تعالى واستحقه عباده المؤمنون المخلدون الذين آثروا الحياة الآخرة على دنياهم بعد أن جاءهم اليقين، فآمنوا بالله تعالى وعملوا من الصالحات فيما يرضاه الله تعالى بعد أن زكّوا أنفسهم وطهروها من كل رجس ومن كل إثم وخطيئة قد تقل معها درجة أعمالهم الصالحة التي منها تقل درجاتهم في الجنة، لذا زكوا أنفسهم ورفعوا درجات أعمالهم فنالوا من الله تلك الدرجات العلا من الجنة.

ب. قال تعالى:

﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ سورة طه: الآية: ١١٧.

إن الله تعالى عندما خلق هذا الإنسان أوجد في خلقه من الأمور ما له فيها من حق الاختيار، فهو مخير فيها ومحاسب عليها، وأمور ليس له من أن يختار فيها، فهو مسيّر فيها ولا يحاسبه الله عليها، فلا حساب له على لونه وجنسه وعرقه، ولا حساب له إذا ما شعر بجوع وعطش، أو مرض وصحة، إلا إذا ما امتدت يده إلى شيء قد يؤثر فيهما ويكدر من صفاء فطرتهما وخلقهما.

ثم اختص الله تعالى هذا الإنسان وميزه عن سائر خلقه بأن جعل له عقلاً يتدبر ويستنير به إلى طرق الهدي والهداية من خلال ما خيره الله تعالى فيها من الأمور، بعد أن بين له ما في هذه الأمور من خير وشر سيحاسبه عليها يوم الحساب، فإن كان في اختياره خير، وجد عند الله تعالى خيراً، وان كان غير ذلك فسيلقى شراً فيما جاء عليه سوء اختياره.

وحساب الله تعالى في الثواب والعقاب يكون بعد أن يرسل الله إلى الناس من يعظهم ويبشرهم وينذرهم من رسله الكرام.

قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ سورة الإسراء: الآية: ١٥.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ سورة سبأ: الآية: ٤٦.

والله سبحانه وتعالى حريص على هذه النفس البشرية من أن تنال الخير من عنده فيما أعده لها من الخير، فتسير نحوه من خلال ما يوصلها اليه من طرق الخير، لذا جاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته الإلهية الأولى الباقية على مدى الدهر لسيدنا آدم وزوجه حواء عليهما السلام بعد أن أسكنهما جنته بأن عرفهما على عدوهما اللدود إبليس، هذا العدو الخفي الذي أعلن لهما هذه العداوة بعد أن طرده الله تعالى من رحمته يوم أبى واستكبر أن يكون مع الساجدين ممن سجدوا لآدم يوم خلقه الله تعالى بيده ونفخ فيه من روحه.

وبعد أن بين الله تعالى لسيدنا آدم وزوجه هذا العدو وأشار إلى ما هو عليه من الوسوسة والشر، شاءت إرادة الله أن يكون هناك أول اختبار ودرس لهما في الطاعة يساعدهما ويساعد ذريتهما من بعدهما في خلافة هذه الأرض التي سخرها لهم، فأباح الله تعالى لهما سائر طعام الجنة دون كد منهما أو تعب إلا شجرة واحدة هي شجرة اختبار الطاعة لهما والتي فيها استمرار وجودهما وبقائهما في الجنة ما داما مطيعين لله تعالى فيما نهاهما عنه، وسبب لخروجهما من هذه الجنة فيما لو عصيا الله واتبعا وسوسة الشيطان المؤدية إلى شقائهما وكدهما وتعبهم في طلب الرزق بالإضافة إلى ما في الشقاء من شر وضلال، وقلق وحيرة، وألم وفقدان.. الخ. مقابل ما هما عليه في الجنة من رخاء ورغد العيش وسعة الرزق الذي لا يقل ولا ينضب.

قال ابن كثير: المعنى إياك أن تسعى في إخراجك من الجنة فتتعب وتشقى في طلب رزقك، فإنك ههنا في عيش رغيد، بلا كلفة ولا مشقة. (مختصر ابن

كثير: ٢/٤٩٦).

ج. قال تعالى:

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ سورة طه: الآية: ١٢١.

إن الله تعالى عندما خلق هذه النفس البشرية أودع في فطرتها الخطأ والنسيان، ثم جعل وهيأ لها من السبل ما يهز كيانها إذا ما خبئ وازع الإيمان فيها فتستيقظ من غفوتها لتستنير من جديد حتى لا يأخذها النسيان فتتبع وسواس الشيطان العدو اللدود لها.

لذا جاءت هذه الآية الكريمة لتذكر ولتبين ما وصل اليه سيدنا آدم وزوجه حواء بعد أن نسيا عهدهما مع الله، فعصياه فيما نهاهما عنه في الجنة، فاتبعا وسوسة الشيطان التي أضلهما فيها وأغواهما حتى أكلا من الشجرة التي نهاهم الله عنها اختباراً لهما على طاعته. وكان أول ما تفجر وظهر لهما من وراء هذا العصيان أن استيقظت دوافعهما وغرائزهما الجنسية التي بدورها كشفت عما واراه الله تعالى عنهما من سوءاتهما عندما أكلا من هذه الشجرة.

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله في الجزء الرابع من كتابه " في ظلال القرآن "، صفحة ٢٣٥٤، فيما يخص هذا الموضوع ومن حيث تفسير مصاحبة ظهور السوءة مع الأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها، وعلاقة هذا النهي بالسوءة بأن افترض الآتي:".. وربما كان حظر هذه الشجرة عليهما، لأن ثمارها مما يوقظ هذه الدوافع في الجسم تأجيلاً لها فترة من الزمان كما يشاء الله. وربما كان نسيانهما عهد الله وعصيانهما له تبعه هبوط في عزيمتهما وانقطاع عن الصلة بخالقهما فسيطرت عليهما دوافع الجسد وتنبهت فيهما دوافع الجنس، وربما كانت الرغبة في الخلود تجسمت في استيقاظ الدوافع الجنسية للتناسل، فهذه هي الوسيلة الميسّرة للإنسان للامتداد وراء العمر الفردي المحدود. " انتهى.

وبعد أن ظهرت وبدت لهما سوءاتهما تداركتهما رحمة الله فيما خصهما به من الحياء والاستحياء في فطرتهما، ليندفعا بجمع ورق الجنة فيشبكاه معا ليواريا ما بدا لهما من سوءاتهما التي حجبها الله تعالى عنهما بطاعته وانكشفت لهما بمعصيته.

قال ابن عباس: عريا عن النور الذي كان الله تعالى قد ألبسهما إياه حتى بدت فروجهما. (تفسير أبي السعود: ٣/٣٢٧).

١٨- ذكر الجنة في سورة الأنبياء

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنبياء: الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

إن هذا المنهج الرباني بتعاليمه ومبادئه، ينساب داخل النفس المؤمنة كانسياب الماء الزلال في جوف قارورة زجاجية شفافة ملونة، ليأخذ منها شكلها ولونها، فيرسم منها صورة جمالية يقف عندها كل من لديه حس جمالي عميق. وهذا الدين بتعاليمه يتشكل ويتلون داخل النفس المؤمنة التقية فيخرج منها صوراً ملونة ومتعددة من الأعمال الصالحة التي تجمّل وتزين حسن العاقبة عند الله تعالى لفاعلها.

ومن هنا جاءت البشرى المعجلة من الله تعالى إحسانا وتكريماً لهؤلاء المؤمنين الذين ازدانت أنفسهم حسناً بما أحسنوا من الأعمال الصالحة، فجاءت تزف لهم حسنى الله تعالى إليهم بما أعده لهم من الجزاء والمصير يوم الحساب. وحسنى الله تعالى للمتقين لا تقف عند حد العطاء بما يعده ويهبه لهم، إنما تتعدى ذلك لتشمل حد المنع ودرء الشر بجميع صوره وأشكاله، والمؤمن الذي رسخ الإيمان في قلبه ليدرك حق الإدراك حقيقة هذا العطاء من ذاك المنع، فهو على يقين أنه فيما لو دعا ربه بخير يصيب منه خيراً في دنياه، ليعلم حق العلم أن الله قد يدرأ ويدفع عنه من الشر ما يوازي ويفوق ما دعاه فيما لم يهبه ما تمناه، فالله تعالى هو المعطي وهو المانع.

من هنا تمتد حسنى الله تعالى لتشمل هؤلاء المؤمنين في ذلك اليوم الذي يفزع فيه سائر الخلق من شدة ما فيه من الهول والفزع الذي يضطرب معه الكيان

وتتزلزل معه سائر النفوس، مؤمنها وكافرها على السواء.

فتأتي الطمأنينة من الله تعالى لهؤلاء المؤمنين فتبين وتصور مسافة بعدهم عن النار وما في هذه النار من هول وأهوال تهتز معها النفوس وتقشعر معها الأبدان. فتطمئن نفوس المؤمنين من خلال فطرتها ومما عهدته في حياتها الدنيا وبما تحويه كلمة البعد والابتعاد من معنى يقود إلى ما فيه من الأمن والأمان والسلم والسلامة والنجاة من كل شر أو مصيبة حلت بمكان ما، فحجبت مسافة بعدهم عنها سوء عاقبتها عليهم.

وطمأنينة الله للمؤمنين تكون فيما تستكين فيه نفوسهم، فهم مبعدون عن النار غاية البعد ولدرجة أنهم لا يسمعون شدة زمجرة صوتها وتغيظها، لأن الابتعاد عنها يجعل صوتها يخبو شيئا فشيئا حتى يخف ثم يتلاشى معه زمجرة ودوي وزفير هذه النار حتى إنهم لم يعودوا يسمعون حسيسها، أي صوتها الخفي لما هم عليه من البعد عنها، فهم في مكان آخر وعالم آخر، إنهم في الجنة خالدون ومخلدون فيها، ولهم من نعيمها ما تشتهيه أنفسهم وتتلذذ به أعينهم.

قال المفسرون: هم عن النار مبعدون لا يصلون حرّها ولا يذوقون عذابها، قال ابن عباس: أولئك أولياء الله يمرون على الصراط مراً أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثياً. (انظر: صفوة التفاسير: ٢٥٢/٢. تفسير القرطبي: ٣٤٥/١١).

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

اختلف المفسرون في تحديد المراد بالفزع الأكبر، والتفسير الراجح أن الفزع الأكبر عام وشامل لكل أهوال يوم القيامة كما بين أبو حيان وكما سيأتي لاحقاً. (انظر: تفسير البغوي: ٢٧٠/٣. الكشاف: ٢٢/٣. التفسير الكبير ٢٢٧/٢. تفسير أبي السعود: ٨٧/٦. البحر المحيط: ٣٤٢/٦. وانظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٣٥٣ - ٣٥٤).

تعود هذه الآية الكريمة لتبين أهوال يوم القيامة وحال الخلق وما هم عليه من خوف وفزع في هذا اليوم، فتصور نجاة المؤمنين من أهل الجنة من أهوال هذا اليوم

لما فيه من الحزن على سوء العاقبة وندم على ما فات من الأعمال الصالحة، ولما فيه أيضاً من الفزع الأكبر وما يحويه هذا الفزع من شدة الخوف والهلع بما يشاهده الخلق من أهوال النفخة الأخيرة وما يتبعها من سماع جلجلة صوت الموت حين يذبح ما بين الجنة والنار ثم سماع نداء الخلود لأهل الجنة وأهل النار وعلى ما هم فيه، وهول وفزع حين تطبق النار أبوابها على أصحابها وتؤصد.... وإلى آخر ما في هذا اليوم من فزع وهلع، ثم إننا في هذه الدنيا لنجد الهول والخوف من وراء باب إحدى غرف المنزل طبقه الهواء بشدة وهو لا يعدل قيد أنملة من أبواب جهنم، وكل خوف الدنيا ما هو إلا شيء يسير من مسمى خوف يوم القيامة.. يوم الفزع الأكبر.

وحال المؤمنين في هذا اليوم مغاير لما في هذا اليوم من حزن وفزع أكبر، فهم سعداء بما قدموه من الأعمال الصالحة لهذا اليوم، وهم أيضاً سعيدون بهذه النهاية التي حجبت وأبعدت عنهم رهبة هذا اليوم بعد أن تلقتهم الملائكة واستقبلتهم بالترحيب والتهنئة بحسن العاقبة لهم التي وعدهم الله إياها في حياتهم الدنيا وتحققت لهم في هذا اليوم.

قال المفسرون: أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم.... بالهناء والسرور. (صفوة التفاسير: ٢/٢٥٢).

١٩- ذكر الجنة في آيات سورة الحج

ورد ذكر الجنة في هذه السورة من خلال الآيات التالية: -

أ - قال الله عز وجل: -

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة الحج: الآية: ١٤.

إن الله سبحانه وتعالى خلق جنته وجمّلها وزيّنها، حتى قال عنها جبريل لما نظر إليها: وعزتك يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها. لما رأى ما هي عليه من حسن وجمال ونعيم لا رأت مثله عين ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ثم حفها بالمكاره حتى خشي جبريل أن لا يدخلها أحد.

لكن عناية الله سبحانه وتعالى وحرصه على عباده من دخولها، جاءت بمشيئته تعالى بأن جعل من رحمته باباً مفتاحه الإيمان والأعمال الصالحة ليدخل من خلاله عباده الصالحون إلى هذه الجنة، فيتنعموا بنعيمها الذي جاءت عليه إرادة الله ومشيئته فيما كرمهم به من النعم.... فإرادة الله واسعة وفوق كل شيء، يأتي بها كيفما شاء وأنما شاء، لا يعجزه فيها شيء... فهو المتعال الفعال فيما يختار ويريد، وإرادته بأمره، وأمره بين الكاف والنون، وإذا ما أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وبإرادته بدأ أول خلق وبإرادته يعيده، وبإرادته جعل ما في الثواب من الجزاء والعقاب... وبإرادته جعلت جنته ثوابا لعباده المصدقين، والنار عاقبة المكذبين، وبإرادته ازدانت جنته وخلدت بنعيمها تكريماً منه وحفاوة بعباده الصالحين على ما قدموه من الإيمان والأعمال الصالحة التي جاءت متوافقة ومتماشية مع ما جاءت عليه مشيئته في الأولى والآخرة.....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

قال المفسرون: لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين المذبذبين ذكر حال المؤمنين في الآخرة والمعنى أن الله يدخل المؤمنين الصادقين جنات تجري من

تحت قصورها وغرفها أنهار اللبن والخمر والعسل وهم في روضات الجنات يحبرون ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي يثيب من يشاء ويعذب من يشاء لا معقب لحكمه، فللمؤمنين الجنة بفضله، وللكافرين النار بعدله. (صفوة التفاسير: ٢/٢٥٩).

ب. قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة الحج: الآيتان: ٢٣- ٢٤.

تظهر هذه الآية الكريمة إحدى مزايا القرآن الكريم الفنية من حيث طريقته في إيصال ماهية الجنة التي هي في حدود علم الغيب عنده سبحانه وتعالى، فتبدأ بوصف بعض ما فيها من نعيم أعده الله تعالى لعباده الصالحين من خلال صور فنية رائعة تلامس حدود العقول البشرية، وبما يقارب ما تألفه في حياتها الدنيا، فيدرك المؤمنون من خلال هذه الصور بعض ما أعده الله لهم من نعيم هذه الجنة، هذا النعيم الذي يجد معه هؤلاء المؤمنون ما فيه من السعة والفسحة التي تعينهم على الاستمرار في عباداتهم وعطائهم ومثابرتهم على الأعمال الصالحة التي تدخلهم الجنة فيتمتعون بما فيها من نعم ونعيم وأنهار جارية، متعددة ومتنوعة وشاملة لكل ما تشتهيه وتتلذذ به الأنفس، فمن هذه الأنهار ما حوى اللبن، أو العسل، أو الخمر، أو الماء الزلال....

ثم تأتي هذه الصور الفنية لتزداد جمالاً وحلاوة، بجمال وحلاوة ما يحلى به المؤمنون من حلي في هذه الجنة، فتصور بريق ولمعان أساور الذهب المرصعة باللؤلؤ وما هي عليه من جمال وتلألؤ ينجذب اليه البصر وتطمئن به النفس لما في الذهب من متعة حسية وقيمة مادية.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال "لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله تعالى به في الآخرة أفضل من حلية أهل

الدنيا جميعا". (روح المعاني: ج١٥/ص٢٧٠).

وذهب الجنة ليس كذهب هذه الدنيا الذي تتقاذفه البورصات العالمية فترفعه تارة وتحط من قيمته تارة أخرى، ولا يبقى مقيداً أو رهناً لما يعرف بسلة العملات، ولا تمتد إليه أيدي ضعاف النفوس لتلوذ به بعيداً، فتحرم منه مالكه، فهو ذهب محفوظ ومصون، قيمته عالية بقيمة صاحبه، تجده في كل مكان وحيثما اشتهته نفس مالكه، ولو أن أحداً من أهل الجنة اطلع على أهل الدنيا فبدت لهم أساوره لاختفى ضوء الشمس من شدة نور أساوره، وهذا بعض ما هو عليه ذهب الجنة من جمال وقيمة وزينة يتزين بها أهل الجنة، ثم إن هذه الزينة لا تقف عند حد الحلي، بل تأتي أيضاً على ما فيه من زينة الثياب وما فيها من فخامة ونعومة ورقة، فلباس أهل الجنة من شتى أنواع الحرير فمنها ما هو من سندس رقيق ومنها ما هو من إستبرق غليظ، فيجمع هذا اللباس بين متعة الفخامة والليونة مع متعة الاستمتاع بلباس ما كان محرماً في الدنيا وأصبح حلاً في الجنة، فمن لم يلبس حرير الدنيا لبسه في الجنة.

عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة فإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو". (تفسير البغوي: ٣/٢٨١).

وبفخامة اللباس ولمعان الذهب واللؤلؤ وبجريان الأنهار وصفائها يكون قد اكتمل جزء من الصورة الفنية الزاهية لهذه الآية، لتعرج من بعدها إلى ما فيه من زينة القول المؤدي إلى جلالة النهاية.

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

قال المفسرون: أي أرشدوا إلى الكلام الطيب والقول النافع إذ ليس في الجنة لغو ولا كذب. (صفوة التفاسير: ٢/٢٦٣).

فما زالت الصور البهية مفتوحة لتحوي زينة ما هدى الله إليه وييسره للمؤمنين من ما تزدان به النفوس وتطمئن له القلوب من قول "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ومن كل قول يهدي إلى طريق الله الحميد ودينه المحمود. (انظر: الجلالين الميسر: ص٣٣٤).

وأخيراً.. فإن اهتدى العباد بهدي الله وتعاليمه، كانت نهايتهم من الدنيا وإقبالهم على آخرتهم بما حوته هاتان الآيتان من صور فنيه بديعة تدخل على القلب السرور، وتتلذذ بها النفوس دون كلل أو ملل، فلذتها لا تفنى ولا تقل. فلا تفنى بندرتها ولا تقل بكثرة استعمالها، فهي خالدة بخلود أهلها وكما جاءت عليها مشيئة الله سبحانه وتعالى.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة الحج: الآية: ٥٦.

قال المفسرون: أي الملك يوم القيامة لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع ﴿ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي يفصل بين عباده بالعدل، فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار. (صفوة التفاسير: ٢/٢٧٠).

إن كلمة المُلك وما فيها من ملك وتملك قد مرت عليها عقود وسنون طويلة كما مرت على هذا الإنسان في هذا الكون، فتعاقبت الأجيال ثم الأجيال، وعاش كل جيل على الطريقة التي ترضيه فيما ملك من النعم سواء قلت أم كثرت، ليأتي من بعده جيل آخر ليكمل الطريق، فيبدأ من حيث انتهى عنده سابقه من إرث... فيغير ويبدل، وينظم ويسن ويتبع من القوانين ما لزم منها وما لم يلزم، فيتملك بها ما لا يحق له من أن يملك... ويتمنى لو أن له وادياً ثالثاً من الذهب زيادة على ما منه قد ملك... فلا عجب من حب هذا الإنسان مزية حب التملك، فهي من فطرة الله فيه، والتي فطرها في نفسه، دفعاً من الله له كي يسير في خلافة هذه الأرض في حال جاءت غاية تملكها سليمة ومعتدلة وبوجود ما يضبطها من النظم، فتقيدها إذا ما تجاوزت حدودها لترتد إلى ما فيه من فطرتها السليمة من اعتدال. لكن تبقى دائماً مشيئة الله فوق مشيئة عباده، فيؤتي بها الملك من يشاء من عباده ويحرم بها من يشاء... وكلاً في حكمه لا يعلمها إلا هو، فهو صاحب كل هذا الملك، وهو من يهب... وهو من يمنع وينزع.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة ال عمران: آية: ٢٦.

وما يهبه الله تعالى من شيء لعباده فهو نعمة ما دام الموهوب من العباد مقدراً لحق هذه النعمة من الصدقة، وإلا تحولت هذه النعمة إلى نقمة عليه وقد يكون فيها حتفه ومصيره. فقد ادعى قارون بما يدفع عنه حق الصدقة على ما آتاه الله من النعم انه أوتيه على علم من عنده هو ونباهة منه... فكان فيما ادعى أن خسف الله به وبداره الأرض وبما كان يملك من النعم.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة القصص: الآية: ٧٨.

وقال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة القصص: الآية: ٨١.

وملك الله واسع لا يقل ولا ينضب، يده مبسوطة، يهب منه ما يشاء ولا يبالي...

عن أبي ذرٍّ عن النبي ﷺ فِيمَا رَوَى عن اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قال: ".. يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ما زَادَ ذلك في مُلْكِي شيئا يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِي شيئا يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ...".

(صحيح مسلم: ح ٢٥٧٧/ج٤/ص١٩٩٤).

ومن الملك يأتي الحكم والتحكم، فملوك هذه الأرض يحكمون بما ملكوا وبما يملكون، فيهبون منه ويغدقون، ويمنعون منه ويغلون.

وهذا كله من ملك الدنيا، وملك الدنيا كله زائل، فإذا ما جاءت مشيئة الله على هذا الملك حتى يعود من جديد في ملك مالك الملك.... عندها... فلا أحد يهب ولا أحد يمنع غيره سبحانه وتعالى في هذا اليوم، فهو مالك الملك ومالك يوم الدين الذي لا يبقي فيه من الحكم إلا حكمه تعالى، فيفرق فيه بين سائر عباده، حسب ما قدموه من الأعمال، فيقضي لكل فريق بجزائه المحتوم: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة الحج: الآيتان: ٥٦، ٥٧.

٢٠- الجنة في آيات سورة المؤمنون

قال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

سورة المؤمنون: الآيتان: ١٠ - ١١.

الوارثون... مفردها وارث، وهي من الإرث أو الوراثة، وتعني بقية الشيء، أو ما يخلفه الشيء، أو ما يتركه من بعده، ويقال إرث النار الرماد، وإرث الإنسان ما يتركه من بعده لغيره دون كد منهم أو تعب. (انظر: المعجم الوسيط: ١ - ٣٣/٢).

وقد يكون الميراث غُنماً لما فيه من خير وفائدة، وقد يكون غُرماً لما فيه من تبرئة للذمم، وقد يكون ماديًاً.. حسياً، أو معنوياً، روحياً.

ونظام الوراثة هو نظام قديم بقدم الإنسان، وهو نظام ضروري لما له من الأهمية في دفع وتسيير مصالح الخلق، فحياة الإنسان مهما طالت أو قصرت فلا بد لها من نهاية تنتقل معها ما ملكه من الأملاك إلى غيره من ذويه ومقربيه.

ومن الناس من حاول أن يبدل ويغير في هذا النظام بما يتماشى مع منفعته ومصلحته الشخصية الفردية، مما أدى إلى أن يبغي الإنسان على أخيه الإنسان، فيظلمه في حقه من ميراثه، فيأكله منه زوراً وباطلاً، طمعاً فيه أو لغاية في نفسه.

وعند هذا الظلم جاءت شريعة الله تعالى بما يكفل صلاح هذا النظام فجبت ما فيه من جور وتعد صارخ، وظلم مارق، فوضعت من القوانين ما تضبطه وتحدده بحدود ملائمة تكفل مصلحة كل فرد من أفراد المجتمع، فلم تفضل جنساً على حساب جنس آخر.. ذكراً كان أم أنثى، إلا من خلال ما حددته طبيعة وأدوار وواجبات كل واحد منهم في هذه الحياة.

وهذا هو بعض ما في إرث هذه الحياة الدنيا.

أما إرث الآخرة، فهو عطاء الله تعالى للإنسان وجزاؤه له بما قدم من عمل. فإن كان في عمله خيراً.. فقد شكر الله وحمده على ما غنم، وان كان شراً..

فقد غرم وندم على ما كان قد عمل من عمل.

فالجنة هي ميراث المؤمنين، والنار ميراث الكافرين، وكل من عطاء الله وجزائه، وهذه هي حقيقة الميراث...

فمن أدرك هذه الحقيقة فقد فاز، ومن جهلها فقد باء وخسر.

ولقد أدرك المؤمنون حقيقة عطاء الله تعالى بما أوحي إلى الأنبياء والرسل، فساروا على ما جاءوا عليه، ودعوا بما دعوا به من الدعاء، وقد دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام الله تعالى أن يورثه جنته، جنة النعيم.

قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الشعراء: الآية: ٨٥.

فالجنة هي الإرث الحقيقي لمن شاء الوراثة الحقيقية:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

ومن هنا جاءت هاتان الآيتان الكريمتان بالإشارة إلى المؤمنين وتختصهم عن غيرهم بهذه الوراثة الحقيقية المتمثلة بعطاء الله تعالى لهم من هذه الجنة، فصارت كأنها إرث لهم كما كانوا يرثون آباءهم في الدنيا، وأن لهم حق التصرف كيفما شاءوا في هذا العطاء وهذا الميراث، وذلك لما في معنى الميراث من تمليك تام يخوّل أهله حرية التصرف به وبالرغم من وصوله إليهم من غير كد أو تعب.

فالمؤمنون استحقوا الجنة برحمة الله تعالى لا بفضائل أعمالهم، لأن أعمالهم لا تساوي شيئاً مقابل مع ما في الجنة من نعيم، وبذلك يكونون قد ورثوها ودخلوها وتملكوها من غير كد أو تعب.

ثم تحدد الآية التالية طبيعة هذا الإرث الذي ورثه الوارثون المؤمنون:

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

فتبينه على أنه " الفردوس " أوسط درجات الجنة وأعلاها وأجلّها نعيماً، وليس هذا فحسب بل إن لهم أيضاً نعيماً فيه خلود بلا فناء، واستقرار بلا زوال.

وهذا هو الإرث الذي ورثه الوارثون، وكتبه الله تعالى لعباده المفلحين الذين

أفلحوا في هذه الدنيا فكان لهم الفلاح في الآخرة.

قال سيد قطب: ولما كانت الحياة في هذه الأرض لا تحقق الكمال المقدر لبني الإنسان، فقد شاء الله أن يصل المؤمنون الذين ساروا في الطريق، إلى الغاية المقدرة لهم، هنالك في الفردوس، دار الخلود بلا فناء، والأمن بلا خوف، والاستقرار بلا زوال. (في ظلال القرآن: ٤/٢٤٥٦).

٢١- ذكر الجنة في آيات سورة الفرقان

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال تعالى:

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾

سورة الفرقان: الآيتان: ١٥ - ١٦.

تظهر هاتان الآيتان الكريمتان وجه المقارنة الآخر من مصير العباد يوم القيامة، وهو مصير المتقين، بعدما عرضت الآيات السابقة لهما مصير الكافرين، وما هم عليه في النار من كرب شديد وفظيع جراء تكذيبهم وتهكمهم على الرسول الكريم.

فتبدأ المقارنة بصيغة السؤال الاستنكاري الساخر وبأسلوب التهكم والسخرية من مصير الكافرين مقارنة مع مصير المؤمنين المتقين الذين آمنوا بالله وبرسوله، وصدقوا بما وعدهم الله إياه من المصير والجزاء في هذا اليوم.

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾

أذلك الكرب الفظيع من النار خير؟ أم جنة الخلد التي وعد بها المتقون؟

لا يلتقيان ولا يستويان... فلا مقارنة بينهما، ولا وموازنة بين من كذب وبين من صدق... إنما هي مقارنة وموازنة سخرية وتهكم مما آل إليه الكافرون من كرب النار، جزاءً لتكذيبهم وسخريتهم وتطاولهم على الرسول الكريم، فكانت هذه النار هي جزاؤهم ومصيرهم.

قال ابن كثير: يقول الله تعالى يا محمد: هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين تتلقاهم جهنم بوجهٍ عبوسٍ وتغيظٍ وزفير، ويلقون في أماكنها الضيقة

مقرّنين لا يستطيعون حراكاً ولا فكاكاً مما هم فيه، أهذا خيرٌ أم جنة الخلد التي وعدها المتقين من عباده؟ (تفسير ابن كثير: ٢/٦٢٦)، وهذا القول على سبيل التقريع والتهكم والتوبيخ كما أشار التفسير الكبير. (انظر التفسير الكبير: ٢٤/٥٧).

أما المتقون فقد ملكهم الله جنته، جنة الخلد جزاءً بما عملوا وصدقوا، وجزاءً لما هداهم الله إليه في سؤالهم له إياها لتكون لهم جزاءً ومصيراً، فيطلبونها من الله تعالى تحقيقاً لما كان قد وعدهم إياها على ألسنة رسله من الرحمة والفضل، والله لا يخلف وعده.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآية: ١٩٤.

أيضاً يهبهم الله تعالى إياها بما سألتهم الملائكة لهم:

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ سورة غافر: الآية: ٨.

قال المفسرون: يسأله من وُعد به، أو تسأله لهم الملائكة. (تفسير الجلالين الميسر: ص٣٦١).

وفي سؤال المتقين والملائكة لله تعالى من تحقيق وعده الذي لا يخلف، ما فيه من الرجاء والتودد لاستحقاق حسن العاقبة والجزاء لهؤلاء المتقين، فكان أن خولهم الله طلب تحقيق وعده منه، ومنحهم فيما وعدهم من أن يطلبوا ما يشاءون.

ب. قال عز وجل:

﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ الفرقان: الآية: ٢٤.

تظهر هذه الآية الكريمة الجانب المقابل لأصحاب النار، وهو جانب أصحاب الجنة وما هم عليه من نعيم معاكس ومغاير عن جانب أهل النار وما هم عليه من شقاء وبلاء وعدم استقرار. فترسم مشهداً فنياً رائعاً لأصحاب الجنة يوم القيامة ترتسم منه طمأنينة القلب وراحة النفس، فتصورهم وهم على ذلك الجانب من الهدوء والراحة والاستقرار في ذاك المستقر الكريم وكأنهم في القيلولة من

النهار من غير نوم، فلا نوم في الجنة إنما هي للخلوة والراحة. وكيف لا يكون هناك من راحة واستقرار وهم في خير مستقرٍ وأحسن مقيلاً. فلا شمس تحرقهم، ولا برد يؤرقهم، ولا يمسهم فيها حزن ولا نصب ولا لغوب.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة فاطر: الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

فهم فيها مستقرون ومطمئنون ومتنعمون بظلالها الوارفة، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فهم في خير مستقر وأحسن مقيل مما كان عليه الكافرون في دنياهم من رغد العيش والمجون.

ومن هنا تبرز أفضلية وخيّرية ذلك المكان الذي أعده الله تعالى مستقراً ومقيلاً لعباده المؤمنين.

قال أبو السعود: وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز إلى أنه مزين بفنون الزين والزخارف. والتفضيل المعتبر فيهما إما لإرادة على الإطلاق أي هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل، وإما بالإضافة إلى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا أو إلى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم. (تفسير أبي السعود: ٢١٢/٦).

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الفرقان: الآيتان: ٧٥- ٧٦.

إن الله سبحانه وتعالى عندما أمر عباده بطاعته، وتنفيذ أوامره فيما أرسله وجاء على ألسنة رسله، جعل لهؤلاء العباد من الجزاء والثواب ما يعينهم ويصبرهم على تحمل شتى أنواع الأذى الذي قد يصيبهم في هذه الدنيا، فكان أن عوضهم الله تعالى على ما تحملوا هذه الجنة وما فيها من سكن ونزل طيب، إكراما لهم من الله تعالى، وبما يقرب هذا الإكرام إلى عقولهم مما عهدوه في دنياهم من إكرام الضيف وحسن

استقباله من خلال تخصيصهم مكانا معيناً من البيت يعدونه إعدادا طيباً، ويجملونه فيما ملكوه من الزخارف والصور الجميلة التي تدخل الراحة والبهجة والسرور في قلب من يستقبلونه من الضيوف. وهذا ما يفعله عادة العباد عند استضافتهم أحبتهم من العباد في هذه الدنيا.

أما في الآخرة، فإن الله تعالى هو المضيف لعباده المؤمنين، فكيف يكون عندها الإكرام؟ وكيف يكون حسن الاستقبال؟

إن إكرام الله تعالى لهؤلاء المؤمنين الصابرين هو تلك المنازل والدرجات الطيبة من الجنة والتي لا يماثلها ولا يجاريها منزل من منازل الدنيا، من شدة حُسنها وجمال زينتها، لتكون لهم موضع القرار والإقامة الطيبة، كي يستقروا فيها على أحسن حال، ويقيموا فيها خير إقامة.

قال المفسرون إن المقصود بالغرفة: الدرجة الرفيعة، أو العلّية، أو اسم للجنة يراد به الدرجات العالية، أو أعلى درجات الجنة، أو الدرجة العالية من المنازل، أو المكان الخاص في الجنة. (انظر: تفسير البغوي: ٣/٣٧٩. الكشاف: ٣/١٠٦. التفسير الكبير: ٢٤/ ١١٥).

ومما يزيد في حسن إكرامهم واستقبالهم ما يلقى عليهم من تحيات السلام من الله تعالى وملائكته، لما يحويه السلام ويلقيه في قلوبهم من الأمن والأمان، والسلم والسلامة، وحسن الختام، فيزدادون بهجة وسرورا على سرورهم فيما أعده الله تعالى لهم في هذه الجنات.

٢٢- ذكر الجنة في سورة الشعراء

ورد ذكر الجنة في هذه السورة بما يلي من الآيات:

أ. قال تعالى:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الشعراء: الآيتان: ٨٤-٨٥.

إن هذا القرآن الكريم يُظهر في كل آية من آياته، همسة عذبة من همساته التي تجد لها ما فيه من الدّعة والسعة في قلوب المؤمنين، كي يتدبروها، فيسيروا على خيرها وهديها، ويتعظوا من عبرتها، ويتداركوا ما جاء فيها.

فها هي هذه الآية الكريمة تكشف عن ذاك الدعاء الخالد بخلود هذا القرآن، فتظهر حقيقة ما دعا به أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وما يكون عليه الدعاء في حق مجيب الدعوات، وما يسبغه فضل الدعاء على العباد.

إن من لطف الله وكرمه على عباده أن جعل لهم باب الدعاء ليلتجئوا فيه إلى خالقهم في سائر أوقاتهم، فيدعوه بما صلح لهم، ويستهدوه فيما يلزمهم من أمور حياتهم الدنيوية، وليبتهلوا فيه إلى الله دون غيره بحسن الخاتمة وحسن المصير.

وقد أمر الله تعالى عباده وحثهم وحببهم في الإكثار من هذه العبادة، وأنزل من الذكر الحكيم ما فيه من الخير الكثير في ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ سورة البقرة: آية: ١٨٦.

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة الأعراف: آية: ٥٥.

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ سورة النمل: آية: ٦٢.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة غافر: آية: ٦٠.

فالله سبحانه وتعالى قريب من العباد يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ويكشف الضر عمن تضرع له في دعائه، ويمحو ويخفف عن العبد بفضل دعائه بعض ما جاء عليه في قضائه، فالله تعالى هو كاشف الضر، وهو الرزّاق المعطي، وبيده خزائن السموات والأرض وبيده الخير كله.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ سورة البقرة: آية: ١٨٦.

فلنستجب لله فيما أمرنا به، فندعوه آناء الليل وأطراف النهار دون كلل أو ملل، وأن نتيقن ولا نستعجل الاستجابة، ولندعوه بأحب أسمائه وصفاته، ولندعوه بسائر الأعمال الصالحة التي فيها مرضاته، وأن لا ندعوه فيما فيه من شر وقطيعة رحم، بل ندعوه فيما هو خير لنا في الدنيا والآخرة، وبما دعا فيه أنبياؤه ورسله من خير الهدي والهداية.

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

قال المفسرون: أي اجعل لي ذكراً حسناً وثناءً عاطراً فيمن يأتي بعدي إلى يوم القيامة، أُذكر به ويُقتدى بي. (صفوة التفاسير: ٢/٣٥٢).

فهذا هو دعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام، يتوجه فيه إلى الله تعالى في إيمان وخشوع، ولا يقصد فيه عرضاً من عروض الدنيا الزائلة، إنما دعاء فيه الرغبة في امتداد الدعوة والخير في ذريته فيمن يجيء من بعده، فيصدقه ويدعوهم فيما دعا به من الحق، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم.

وهذا ما يظهر استمرار الخير والثناء على سيدنا إبراهيم، وبما ورد وطابق من

أدعيته لله تعالى، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة: الآيتان: ١٢٨-١٢٩.

فكان أن استجاب الله تعالى لدعائه، وبعث في ذريته خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ، فرد الناس إلى دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، دين الحنيفية السمحاء.

وبهذا الدعاء يكون قد عمّ الخير والثناء على إبراهيم أبي الأنبياء وعلى ذريته وأمته من بعده والى آخر الزمان، ممن سار على نهجه وعمل من الصالحات ما يستحق رضى الله عليه فيورثه بعطائه الكريم جنته، جنة النعيم المقيم.

ب. قال تعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة الشعراء: آية: ٩٠.

إن الله تعالى قد أكرم المتقين من عباده المؤمنين بتبليغهم الجنة التي أعدها لهم، ثواباً منه تعالى لما كانوا قد عملوا من الصالحات وبما قدموه من الطاعات. ولم يقف إكرام الله لهم على ذلك فحسب بل تعداه بأن وفر لهم كل وسائل الرفاهة والمتعة والراحة في هذه الجنة، وبداية ذلك بأن قرب منهم دار النعيم المقيم إكراماً وجزاءً لهم، كمثل ضيف زائر عند أهل جود وكرم، يقربون منه طعامه وشرابه احتراماً وتعظيماً لشأنه، ولله المثل الأعلى عندما يقرب ويزلف الجنة من أهلها جزاءً لعملهم الصالح. فتطمئن قلوبهم لرؤيتها في ذلك اليوم الذي تبلغ فيه القلوب لدى الحناجر من شدة ما فيه من هول وكرب.

قال المفسرون: أي أظهرت وهي قريبة. والمتقي: من يتجنب غضب الله وعقابه ويلزم الطاعة بالامتثال للأمر والنهي. (تفسير الجلالين الميسر: ص٣٧١).

ثم يزيد الله تعالى من كرمه عليهم، فيجعل كل ما في هذه الجنة من نعم ونعيم قريبة منهم، ليجدوا قطوفها دانية، وأنهارها من تحتهم جارية، وطيورها على موائدهم حاضرة، وما من نعيم يخطر على بالهم إلا وجدوه قريباً منهم وبما تشتهيه

أنفسهم، وليس هذا فحسب بل إن ربهم يطلع عليهم ويسألهم عما ينقصهم أو عن أي شيء فيه رضاهم، ليتممه عليهم ويقربه ويزلفه إليهم.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فيقول هل رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وما لنا لَا نَرْضَى وقد أَعْطَيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خَلْقِكَ فيقول أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذلك قالوا يا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلك فيقول أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا". (صحيح البخاري: ح ٦١٨٣/ج٥/ص٢٣٩٨).

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ تَلا رسول الله ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُحِبُّ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ". (صحيح ابن حبان: ح ٧٤٤١/ج١٦/ص ٤٧١).

وقد قيل: "فيغشاهم من نوره، ما لولا أن الله سبحانه قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا...".

فهل يبقى من بعد كرم الله هذا من كرم!؟

٢٣- الجنة في سورة العنكبوت

ورد ذكر الجنة في هذه السورة لمرة واحدة فقط في الآية التالية:

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة العنكبوت: آية: ٥٨.

إن الإيمان اليقين هو ما يسكن القلب ويستقر فيه، لتنبري منه سائر الأعمال الصالحة التي ينطلق فيها المؤمن في كل اتجاه، وفي كل فعل وقول في مواجهة معترك الحياة وما يستجد فيها من خير وشر.... فتسير به الخطى... فيدفع بالحسنة السيئة... فيمحوها.... ويدرأ الغنم بالغرم بيقينه وتيقنه من أن ما عند الله خير وأبقى... ثم تحركه عجلة الإيمان لتنقله من مكان إلى مكان في أرض الله الواسعة، تنفيذاً لأوامره وطلباً لمرضاته.

فيرتحل بعيداً.... مبتعداً عن وطنه وأهله ونزله، ويقطع المسافة تلو المسافة متحملاً غربة الوطن ووحشة الأهل، وغبار ومشقة السفر في سبيل إعلاء كلمة التوحيد.... ليبلغ بها كل من شاء الله له الهدي والهداية، ومبشراً بما وعد الله المؤمنين من دخول جنته وجناته.

يقول سيد قطب: وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة.. ومع هذا فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحده، بل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطناً فلهم في الأرض عنه سعة. ويفارقون بيوتاً فلهم في الجنة عوض. عوض من نوعها وأعظم. (في ظلال القرآن: ٢٧٤٩/٥).

وهكذا هم المؤمنون في كل زمان ومكان، دائمون على عمل الطاعات، مهاجرون وصابرون ومصابرون على المشقات، طمعاً بما أعده الله لهم من نزل ومنازل في جنات النعيم، بدلاً من منازلهم في حياتهم الدنيا، فهذا هو مصيرهم ومصير من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

فهذه هي منازلهم من الجنة كما وصفتها الآية الكريمة، أعدها الله تعالى لهم إكراما منه لما عملوه من الصالحات، فجملها الله تعالى وزينها لهم وأجرى من تحتها الأنهار، وحلاها بأبهى أنواع الحلي من الذهب واللؤلؤ والياقوت.

أخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجة، وغيرهم عن أبي هريرة، قال: "قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال ﷺ لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولايفنى شبابه". (تفسير ابن كثير: ج٤/ص٥٠).

وهذا حال سائر الجنة، فما هو حال غرفها منها؟

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ من فَوْقِهِمْ كما تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ من الْأُفُقِ من الْمَشْرِقِ أو الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ قالوا يا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قال بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيده رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". (صحيح مسلم: ح ٢٨٣١/ج٤/ص٢١٧٧).

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام". (المستدرك على الصحيحين: ح ١٢٠٠/ج١/ص٤٦٦).

والمؤمن أيضاً يبني بيته الذي في الجنة ويهدم بيته الذي في النار:

أخرج سعيد بن منصور وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر بن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار". (الدر المنثور: ج٦/ص٩٠).

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته

الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار. (تفسير ابن كثير: ٣/٢٤٠).

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾.

ثم يُكمل الله تعالى على عباده المؤمنين متعة الخلود والبقاء على متعتهم بغرفهم ومنازلهم التي استحقوها بعملهم وصبرهم وبتوكلهم على الله الذي جزاهم هذه الغرف وهذه المنازل الطيبة.... فنعم أجر العاملين. (انظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٢٧٤٩).

٢٤- الجنة في سورة الروم

وردت الجنة في هذه السورة في الآية التالية:

قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

سورة الروم: الآية: ١٥.

إن الله سبحانه وتعالى عند ذكره للجنة في آي ذكره الحكيم غالباً ما يكثر من ذكرها من خلال المقارنة بين مصير أهلها المؤمنين، وبين مصير أهل النار، فيذكر الله تعالى ويصف مصير وجزاء كل فئة منهم، وبما أعده من نعيم ونعم أو بلاء ونقم، تتناسب مع أعمالهم، فإن كان خيراً... حمدوا الله عليه وشكروه، وإن كان شراً... فقد باءوا بالخسران والفشل.

فعندما يرى المؤمنون ماذا أعد الله لهم في جنة النعيم، فإنهم يزدادون إيماناً على إيمانهم، ويثبت فؤادهم ويطمئن، وأما إذا ما صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فيرون ما هم عليه من العذاب والجحيم، فإنهم يبادرون ويسارعون إلى عمل الصالحات التي تبعدهم وتنقذهم منها ومن عذابها وتغيظها.

من هنا جاءت هذه الآية الكريمة لتعرض مكان المؤمنين من الجنة ومكانتهم التي رفعهم الله إليها.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾

يحبرون: من الحبرة أو الحبور: أي يسرون ويتنعمون.

قال محمد بن جرير: حدثني محمد بن موسى الجرشي، حدثنا عامر بن سياف، قال: سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل: ﴿ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾، قال: الحبرة: اللذة والسماع.

وقال ابن عباس: يكرمون.

وقال مجاهد وقتادة: ينعمون، (انظر: حادي الأنام إلى دار السلام، للعلامة الشيخ أبي بكر ابن الشيخ محمد الملا الحنفي: ص٩٨).

وكل ما قيل عن الحبرة متقارب من بعضه البعض، ويصب في التلذذ والابتهاج والسرور. فالجنة تخلو من كل كدر ومنغص، وكلها نعيم ومسرة.

فها هم هؤلاء المؤمنون في الجنة فكهون ومسرورون ومبتهجون، لا شيء يقلقهم، ولا همّ يكدرهم، ولا صوت يزعجهم، متنعمون بنعيم الجنة، آمنون مطمئنون بأمنها، لا ترهقهم فيها قترة، ووجوههم ناعمة، لسعيها راضية، في روضة عالية، لا لغو فيها ولا تأثيم، إلا قيلاً سلاماً سلاما، أليسوا في حضرة خالقهم وخالق روضتهم التي هم فيها يُحبرون.

٢٥- الجنة في سورة لقمان

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ سورة لقمان: الآيتان: ٨ - ٩.

جاء ذكر الجنة في هذه الآية الكريمة بصيغة جمع المؤنث السالم ﴿ جَنَّٰت ﴾ وهذا ما يشير ويبين تعدد درجات الجنة والتي كل درجة منها تسمو إلى درجة ومرتبة الجنة المتكاملة.

وقد جاء اللفظ ﴿ جَنَّٰت ﴾ موصوفاً ومعرفاً بالإضافة لكلمة ﴿ ٱلنَّعِيم ﴾. أي أن الجنات مشتملة على ما فيه من التنعم الدائم الذي لا يختص بدرجة واحدة من درجات الجنة، إنما هو نعيم شامل لكل هذه الدرجات، لما تكون قد أعطته الإضافة إلى اللفظ ﴿ جَنَّٰت ﴾ من وصف ثابت هو النعيم. (انظر: روح المعاني، للآلوسي: ١٨٤/٦. وانظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٩١).

أما ذاك النعيم فهو نعيم اختصه الله تعالى بقدرته العظيمة للمؤمنين ليكون فوق كل نعيم الدنيا، لا تشوبه شائبة، ولا ينغصه شيء قد يقلل من لذة التمتع به، وهو نعيم جامع لسائر المتع الحسية والروحية.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ سورة الصافات: الآيات: ٤١ - ٤٧.

وبهذا تكون هذه الآيات الكريمة قد جمعت بين المتع الحسية لأهل الجنة

من حيث وجود سائر الرزق وبين المتع الروحية لهم من حيث ما يلقيه الإكرام والتقابل على الأسرة من شعور طيب في نفوس المؤمنين من أهل الجنة، بالإضافة إلى ما في أسلوب تقديم الشراب والشراب نفسه من متعة حسية وروحية معاً تضفي لذة على لذة نعيمهم.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

ولا يقف حد المتاع الروحي لأهل الجنة عند ما قد ذكر، إنما يتعداه ليشمل ما في الخلود في الجنة من شعور عظيم يضفي على نفوسهم الراحة والاطمئنان لدوام حال النعيم عليهم الخالد بخلودهم، ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربهم عطاء غير مجذوذ.

فالله تعالى هو المعطي، وهو الذي وعد، وهل يخلف الله وعده؟ إن الله لا يخلف الميعاد، فوعد الله حق وقوله في أمره حق، فعّال لما يريد، لا يسأل عما يعمل، وهم يسألون، فهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده، وهو الحكيم الذي لا يضع شيئاً إلا كما جاءت عليه مشيئته وإرادته، إن الله على كل شيء قدير وهو العزيز الحكيم.

٢٦- الجنة في سورة السجدة

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في آيتين هما:

أ. قال عز وجل:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

سورة السجدة: الآية: ١٧.

قال المفسرون: أي فلا يعلم أحد من الخلق مقدار ما يعطيهم الله من النعيم. (صفوة التفاسير: ٢/٤٦٣).

يظهر من هذه الآية الكريمة عنصر المفاجأة الطيبة الذي يلوح بنفوس المؤمنين ويدفعهم إلى التكهن والتخمين فيما أعده الله تعالى لهم وأخفاه عنهم مما تقر به أعينهم وتطمئن به قلوبهم، وتتلذذ به نفوسهم، كمثل أب حنون على أهله وأبنائه، عاد بعد غياب طويل إليهم، محملاً ومزملاً بما تهواه أنفسهم، فيدخلون في دائرة من التخمين والتوقع فيما ودّ به كل واحد منهم، وأخفته جدران حقائبه عنهم ولله المثل الأعلى.

فالله سبحانه وتعالى ترك باب التشويق مفتوحاً في مفاجأته التي أعدها لعباده المؤمنين، وهذا ما يدفعهم إلى الإكثار من الأعمال الصالحة لعلمهم اليقين بقدرة الله تعالى خالقهم الذي خلق كل شيء وأحسن خلقه، وحكمته فيما يعده من الثواب تكريماً وحفاوةً بهم. ثم ليكونوا مع أولئك الذين يكشف الله لهم عما تقرّ به الأعين في ذلك اليوم الذي تبيض فيه وجوههم وتسكن به نفوسهم.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"قال الله تعالى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ** ما **لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ** على **قَلْبِ بَشَرٍ فاقرؤوا إن شِئْتُمْ:** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾" (صحيح البخاري: ح ٣٠٧٢. صحيح مسلم: ح ٢٨٢٤).

وفي هذه الآية الكريمة أيضاً ما يظهر من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، من

خلال ما أثبته العلم من تأثر العين بما تراه من مسرات ومباهج تؤدي لحدوث تغيرات في جهازها السيمباثاوي (SYMPAHETIC SIMULATION PUPIL) الذي يحفز على توسع حدقتها (البؤبؤ) بانبساط شعيراتها العصبية وانفراجها، فتظهر علامات السرور والابتهاج فيها. وهذا ما أفاده لي أحد أطباء العيون من ذوي الاختصاص عند سؤالي له فيما يتعلق بهذه الآية الكريمة.

أيضاً جاء في مقال غير منشور، كنت قد التمسته من الدكتور ثابت علي العودات، اختصاصي أول. جراحة العين التجميلية، حول ما نحن بصدده، بقوله:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ السجدة: ١٧.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله في تفسير كلمة (قرّة أعين): والقرّة والقرور: السكون، ومنه قرّ المكان، أي: استقر فيه، والمعنى أن الإنسان لا يستقر في المكان إلا إذا وجد فيه راحته ومقومات حياته.

فمعنى (قرة العين) أي: استقرارها على الشيء بحيث لا تتحول عنه إلى غيره. والعين لا تستقر على الشيء إلا إذا أعجبها ورأت فيه ما تصبو إليه من متعة، ومن ذلك قولنا: (فلان عينه مليانة) يعني: لا يحتاج مزيداً من المرائي غير ما يراه، و(فلان عينه فارغة) يعني: لا يكتفي بما يرى بل يطلب المزيد، فينظر هنا وهناك.

ففي الجنة تقرّ الأعين بحيث لم تعد لها تطلعات، فقد كملت لها المعاني فلا ينبغي لها أن تطمع بشيء آخر إلا الدوام.

ومن معاني (قرّ) القرّ وهو البرد الشديد، وهذا المعنى يكنون به سرور النفس، فالعين الباردة أي المسرورة، أما العين الساخنة فهي الحزينة المتألمة. (انتهى).

ومن الناحية العلمية، نرى أن المحافظة على عملية الرؤية تتم من خلال التحكم بمقدار اتساع وتضيق حدقة العين، وذلك من خلال تحكم عصبي معقد يبدأ في جذع الدماغ، وبالتحديد في منطقة الدماغ المتوسط، وذلك من خلال الجهازين الودي، ونظير الودي.

وحدقة العين هي عبارة عن فتحة دائرية تحيط بها القزحية ويمر من خلالها الضوء إلى المستقبلات الضوئية في الشبكية لتتم عملية الإبصار.

فالجهاز الودي يؤدي إلى توسع الحدقة من خلال تقلص العضلة الموسعة للحدقة، وهذا ما يشاهد في حالات الخوف الشديد، والإضاءة الخافتة، أو في التأثيرات العاطفية، فمثلاً عندما يشاهد الإنسان إنساناً آخر يحبه نرى أن الحدقة تتسع، ولأن الله قد أعد لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نجد أن الحدقة تتسع لا إرادياً كون العين تشاهد أشياء جميلة تسر الناظرين وتبتهج منها النفوس.

أما الجهاز نظير الودي، فيؤدي إلى تقلص العضلات المعصرة للحدقة، وبالتالي تضيق الحدقة، وهذا ما يشاهد عند التعرض للضوء الشديد لحماية العين، وفي حالة النوم، وعند مشاهدة أشياء تكرهها النفس البشرية.

والمسيطر على حركة حدقة العين هو جهاز نظير الودي بحيث تكون الحدقة مضيقة بشكل عام وهذا ما نلحظه في حالة النوم، إلا أن هنالك منطقة في الدماغ تسمى الهيبوثالاماس (HYPOTHALAMUS)تقوم بتثبيط مفعول نظير الودي أثناء اليقظة مما يؤدي إلى اتساع وتضيق الحدقة حسب المؤثرات الخارجية، ولأن الجنة لا تحوي أشياء تكرهها النفس، فإن الحدقة تكون متسعة (والله أعلم).

وهناك أيضاً أمر آخر تجدر الإشارة إليه، أن اتساع حدقة العين يدل على نضارة الشباب، ولأن أعمار أهل الجنة تكون بمثل عمر سيدنا عيسى عليه السلام فإن الحدقة تكون قابلة للتوسع بسهولة عكس ما يحدث عند الأشخاص كبار السن.

ولو أننا أخذنا المعنى الأخير لكلمة (قرّ) القرّ وهو البرد الشديد، والذي يكنون به عن سرور النفس، فالعين الباردة أي المسرورة، أما العين الساخنة فهي الحزينة المتألمة، فمن المعروف أن معظم الأمراض التي تصيب العين في الدنيا ولا سيما " الإنتانات " تؤدي إلى سخونة العين ومن ثم الألم، وبما أن أهل الجنة لا يصيبهم مرض، ولا سقم، فإن العين تبقى باردة (كناية عن السرور والبهجة)، (انتهى)

وبذلك فإن أهل الجنة تكون أعينهم قريرة وباردة ومسرورة بما أعده الله تعالى لهم في الجنة وأخفاه عنهم، ليكتشفوه حال دخولهم الجنة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه

جنة، ثم اتخذ دونها أخرى وطبقها بلؤلؤة واحدة، لا يعلم الخلائق ما فيهما وهما اللتان قال الله فيهما: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾. (تاريخ بغداد: ٩/١١٦).

وقد ذهب بعض المفسرين أمثال ابن القيم إلى أن الله تعالى قابل ما أخفاه عباده المؤمنون من قيام الليل، بالجزاء الذي أخفاه لهم، مما لا تعلمه النفس، ثم قابل ما هم عليه من قلق وخوف واضطراب على مضاجعهم حتى يقوموا إلى صلاة الليل، بقرّة الأعين في الجنة. (حادي الأرواح: ج١/ص١٩١).

ب - قال الله تعالى: -

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة السجدة: آية ١٩.

تكشف هذه الآية الكريمة الستار عن مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم في هذا المشهد الناعم والدافئ بدفء نزلهم ومنزلتهم الكريمة في جنات المأوى التي أعدها الكريم لهم ليأووا إليها بعد أن يحصي أعمالهم، فيوفيهم إياها، فيدخلوها برحمة منه تعالى، فتسمو بهم ويسمون بها فرحاً وبشوق وحنين لقيا الأحبة من بعد طول انتظار فيما بينهم.

وقد اختلف المفسرون في تفسير كلمة (المأوى) الواردة في هذه الآية، مضافاً إليها لفظ الجنة.. فقال أكثرهم: إنها علم مخصوص لجنة من الجنات، وإنما عرفت بذلك لأنها تؤوي أرواح الشهداء، أو الملائكة وجبريل، أو المتقين، وهي علم كجنة عدن، أو اسم مكان خاص. (وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٩٥).

ومنزلة المؤمن ونزله في جنة المأوى تتوقف على ما كان يعمله من عمل في الدنيا.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ من فَوْقِهِمْ كما تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ من الْأُفُقِ من الْمَشْرِقِ أو

الْمغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ قالوا يا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قال بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيده رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". (صحيح مسلم: ح ٢٨٣١/ج٤/ص٢١٧٧).

فمن عمل من الصالحات وزاد، زادت منزلته وارتفعت في جنة المأوى، ومن ساء عمله بسوء تكذيبه قلت منزلته فهوت به في نار جهنم لتصل به إلى أدنى دركة من دركاتها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلاً ﴾ سورة الكهف: آية: ١٠٢.

فالمأوى والنزل إما أن يكونا طيبين بطيب أعمال أهلها، كحال نزل المؤمنين في جنة المأوى، وإما أن يكونا خبيثين بخبث أعمال المكذبين فتكون جهنم لهم نزلاً والجحيم هي المأوى.

فطوبى لمن أدركوا أن الآخرة خير وأبقى وعملوا من الصالحات ما أوجبت لهم جنات المأوى خير نزلاً.

٢٧- ذكر الجنة في سورة سبأ

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ سورة سبأ: آية: ٣٧.

قال المفسرون: أي ليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها وتكاثرون هي التي تقربكم من الله قربى، وإنما الإيمان والعمل الصالح. (صفوة التفاسير: ٢/ ٥١١. تفسير الطبري: ٢٢/٦٨).

إن الله سبحانه وتعالى أودع في هذا الكون من سننه التي لا تتغير ولا تتبدل إلا كما تأتي عليها مشيئته وإرادته، ولما كان هذا الإنسان جزءاً من هذا الكون، فقد شمله من هذه السنن ما حقها وخصها الله تعالى من أن تكون عليه، فكان أن أودع الله تعالى في فطرة من سجدت له الملائكة أجمعون، غريزة حب التناسل والامتداد، والكثرة والتكاثر، فخرجت من صلبه ذريته التي تكاثرت من بعده تكاثراً متسعاً، حتى تباعدت وتقاربت، فتلون لسانها بتلون بشرتها ومكانها، واختلفت درجات كل فئة من فئاتها عما سواها، فعملت دنياها تحت إمرة علياها، وتفاخرت كل فئة على أختها بما أخرجته من أصلابها... حتى ألهاهم التكاثر، فزاروا معه المقابر، رغبة في الإحاطة بمن تولى منهم وغادر.

وهكذا... سار العباد بما ورثوه من العادات والتقاليد التي رفعت من قدر بعضهم في نفس الوقت الذي حطت فيه من قدر ومقام بعضهم الآخر.

فكان أن غلبت الفئة القليلة من ذوي المال والحسب والنسب الفئة الكثيرة من الذين لا مال لهم أو ولد يسمون به بما سما ويسمو به ابن الأكرمين، فأصبحت كفة الميزان لديهم لا ترجح إلا بما جاءت عليه سطوة أموالهم وحسبهم ونسبهم.

ثم بعث الله تعالى من يغير ويبدل هذه العادات ويصوبها ويتمم ما جاء فيها

من مكارم الأخلاق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (سنن البيهقي الكبرى: ح ٢٠٥٧١/ج١٠/ص١٩١).

فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن نمّى هذه الأخلاق، وساوى بين الناس فجعلهم كأسنان المشط سواء بسواء، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

عن أبي نَضْرَةَ حدثني من سمع خُطْبَةَ رسول اللهِ ﷺ في وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فقال "يا أَيُّهَا الناس أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ألا لَا فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلَا لعجمي على عربي وَلَا لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ". (مسند أحمد بن حنبل: ح ٢٣٥٣٦/ج٥/ص٤١٠).

ثم بين رسول الله ﷺ، أن ما يثقل الميزان يوم الحساب أنما هو العمل والأعمال الصالحة التي تقرب فاعلها من الله زلفى، وان سائر الأموال والأولاد لا ثقل لها عند الله إلا إذا صلحت بصلاح من اكتسبها.

عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (حلية الأولياء: ج٤/ص٩٤).

والله سبحانه وتعالى يضاعف حسنات هذه الأعمال كما يشاء إلى أضعاف كثيرة.

عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال:

«ان اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كتب الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وإن عَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عَشْراً إلى سَبْعِمِائَةٍ إلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ أو إلى ما شَاءَ الله أَنْ يُضَاعِفَ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً» (مسند أحمد بن حنبل: ح ٢٨٢٨/ج١/ص٣١٠).

فإذا ما تكاثرت هذه الأعمال وتضاعفت حسناتها أضعافا كثيرة، فثقل معها الميزان، فإن الله تعالى يدخل عامليها جناته في الغرفات وهم آمنون. ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فهم آمنون بأمن هذه الغرفات، فلا نفاد لرزقها، ولا فناء

لنعيمها، وكلها سلام بسلام، ورضوان من الله. فلا سخط عليهم بعد أن أحله الله عليهم، ولا عذاب لهم بعد أن جازوا الصراط. فهم في هذه الغرفات آمنون ومطمئنون.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الفرقان: الآيتان: ٧٥-٧٦.

ولهم من الأمن ما وعدهم الله تعالى، بقوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة الأنعام: الآية: ٨٢.

ومن الغرفات ما يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، **عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام"**. (المستدرك على الصحيحين: ح ١٢٠٠/ج١/ص ٤٦٦).

٢٨- الجنـة في سورة فاطر

قال الله عز وجل:

﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة فاطر: الآيات: ٣٣-٣٥.

تصور هذه الآيات الكريمة المتاع الحسي والروحي الذي يتنعم به أهل الجنة، فتظهرهم على أنهم مقيمون بدار الإقامة الدائمة في جنات عدن، تحليهم الملائكة بما تشتهيه أنفسهم من أساور الذهب واللؤلؤ. فتبهو نفوسهم ببهائها ولمعانها، وتنعم أجسامهم الحريرية بنعومة ما حرمه الله تعالى عليهم في الدنيا، وأحله لهم في جناته. فلباسهم فيها من الحرير ما رق منه وما غلظ.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال: **النبي ﷺ**: "**من لَبِسَ الْحَرِيرَ في الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ في الْآخِرَةِ**". (صحيح البخاري: ح ٥٤٩٤/ج٥/ص ٢١٩٤).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله أخبرنا عن ثياب الجنة أخلق يخلق أم نسيج ينسج فضحك بعض القوم فقال لهم: ""مم تضحكون من جاهل يسأل عالما" فجلس يسيرا أو قليلا فقال رسول الله ﷺ: "أين السائل عن ثياب الجنة" فقال ها هو ذا يا رسول الله قال: "لا بل تشقق عنها ثمر الجنة" قالها ثلاثا". (تفسير القرطبي: ج١٠/ص٣٩٧).

أخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري "أن النبي ﷺ تلا قول الله ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ **فقال إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق**

والمغرب " (الدر المنثور: ج٧/ص٢٨).

قال القرطبي: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان، جعل الله ذلك لأهل الجنة، وليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. (القرطبي: ٥٢/١٢).

والملاحظ أن الآيات القرآنية التي تذكر وتصف حلية أهل الجنة مقتصرة على ذكر الأساور فقط بأنواعها المشتملة على الذهب والفضة واللؤلؤ من بين سائر الحلي، وقد بين الفخر الرازي مزية هذا المعنى بقوله: وذلك لأن التحلي بمعنيين "أحدهما" إظهار كون المتحلي غير مبتذل في الأشغال لأن التحلي لا يكون حالة الطبخ والغسل. " وثانيهما " الاستغناء عن الأشياء وإظهار القدرة على الأشياء. وذلك لأن التحلي إما باللآلئ والجواهر، وإما بالذهب والفضة.. والتحلي بالجواهر واللآلئ يدل على أن المتحلي لا يعجز عن الوصول إلى الأشياء الكبيرة عند الحاجة، حيث يعجز عن الوصول إلى الأشياء القليلة الوجود لا لحاجة، والتحلي بالذهب والفضة يدل على أنه غير محتاج أصلية وإلا لصرف الذهب والفضة إلى دفع الحاجة، إذ عرفت هذا فنقول: الأساور محلها الأيدي وأكثر الأعمال باليد فإنها للبطش فإذا حليت بالأساور علم الفراغ. والذهب واللؤلؤ إشارة إلى النوعين اللذين منهما الحلي. (التفسير الكبير: ٢٧/١٢).

وبهذا فإن أهل الجنة يكون قد جمع الله تعالى لهم من متع الجنة ما هي متع مادية حسية من الذهب واللؤلؤ والملبس، وبين ما هي متع روحية معنوية مما يحسه أهل الجنة من جمال اللباس والحلي والتكريم، ومتعة التلذذ بها.

فيحمدون الله تعالى على ما آتاهم، حمداً كثيراً ملهماً كما يلهمون النفس.

عن جَابِرٍ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُونَ ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا فما بَالُ الطَّعَامِ قال جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ". (صحيح مسلم: ج٤/ص٢١٨٠).

ثم يتوجه أهل الجنة بالحمد لله إضافة على ما آتاهم الله، فيحمدونه هذه المرة

على ما أذهبه عنهم وما ألمّ بهم من الحزن في حياتهم الدنيا... فكثيراً ما كانت السعادة تغادر قلوب العباد، وتتعسر عليهم الأمور، فتطوف بهم المخاوف وتدب في عروقهم الوساوس، فيسود عليهم القلق والتعب والهم والنصب، وتكثر المعاناة، فما إن يفتح لهم باب رزق، حتى يعود ويغلق، فيضيق الرزق، ويضيق السكن بضيق العيش، وتخشن الحياة، وتتقلب الأجسام من أشواك المضاجع، فيكثر الهم والحزن، وتشتاق النفس إلى أدنى مسميات السعادة من الرخاء والطمأنينة والراحة النفسية والجسدية.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٥٥.

فإذا ما وصل حال المؤمنين هذه الحالة من الإبتلاء والحزن، فصبروا، فإن الله تعالى يدخلهم بها جنات عدن، ويذهب عنهم الهم والحزن، ما داموا فيها أبداً، وبما غفر الله لهم من ذنوبهم، إن الله غفور شكور.

بيّن المفسرون أنواع الهموم التي قد تسبب الحزن، فقالوا: إما الحزن للمعاش وهموم الدنيا، أو حزن الموت، أو الحزن بالجنة والنار لا ندري إلى أيهما نصير، أو الخوف من النار، أو الحزن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا، أو الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف يوم القيامة، أو حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات، أو حزن زوال النعم وتقليب القلب، أو حزن أهوال يوم القيامة. والتفسير الراجح كما أشارت إليه الدكتورة شادية حسن بقولها: إن الحزن اسم جنس يشمل كل أنواع الهموم التي ينتج عنها الحزن.. وقد اختار هذا التفسير أكثر المفسرين. (وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٤٠٠).

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.

وكيف يكون للهم والحزن منهم نصيب؟ وقد أباح الله لهم دخول جنته دار

الإقامة الطيبة، وهل هناك أشهى وأغلى من الإقامة بجوار الله الكريم؟ وهل هناك من مقام كريم وسكن طيب بعد هذا الجوار؟ كلا...

لا هم ولا حزن، ولا تعب ولا إعياء من تعب، إنما سرور وغبطة، وراحة ومتعة، وتلذذ بنعيم مقيم، فهذا هو فضل الله على من رضي عنه وأسكنه جواره.

قال الطبري: "فدار المقامة " دار الإقامة التي لا نقلة عنها ولا تحول. (جامع البيان: م١٢/ج٢٢/ص١٣٩).

٢٩- الجنـة في سورة يس

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة يس: الآيتان: ٢٦-٢٧.

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾

هكذا... قيل لمن آمن وصدق، وثبت على الحق، وصبر على التهديد والوعيد...

وهكذا... قيل لمن أتى من بعده وسار على نهجه...

وهكذا... سيقال لكل من آمن بالله وصدق المرسلين إلى يوم الدين...

إنها مقولة حقة، من قول ثابت، لا تتغير ولا تتبدل بتغير وتبدل الزمان والمكان، فهي مقولة قديمة بقدم هذا الإنسان، لكل من ابتغى الجنة وسار على طريقها، وتخطى ما حفها الله تعالى به من المكاره.

«**عن أبي هُرَيْرَةَ عن رسول اللهِ ﷺ قال: "لَمَّا خَلَقَ الله الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إلى الْجَنَّةِ فقال انظر إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها قال فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعَدَّ الله لِأَهْلِهَا فيها قال فَرَجَعَ إليه قال فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ إلا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بها فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فقال ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إلى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها قال فَرَجَعَ إِلَيْهَا فإذا هِيَ قد حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إليه فقال وَعِزَّتِكَ لقد خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قال اذْهَبْ إلى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى ما أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فيها فإذا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إليه فقال وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بها فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فقال ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فقال وَعِزَّتِكَ لقد خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ منها أَحَدٌ إلا دَخَلَهَا"** (سنن الترمذي: ح ٢٥٦٠/ ج ٤/ ص ٦٩٣).

فمن ابتغى الجنة، وأراد أن ينعم بنعيمها، فليأتها حقها، وليدفع أجرها... وأجرها هو الإيمان اليقين المستقر بالقلب الذي تنبثق منه سائر الأعمال الصالحة

للمؤمن. فإن أخطأ... استغفر، وإن ابتلي... صبر، وإن أعطي أو منع... حمد وشكر، وهكذا...

فالجنة وما تحويه من نعم ونعيم تستحق من المؤمن العمل والصبر على الشدائد والمحن، وسائر المصائب والنقم.

وهي لا تأتي مع القنوط والقعود، إنما مع الإيمان والعمل والثبات عند كل ابتلاء واختبار من الله تعالى كما في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ سورة البقرة: الآية: ٢١٤.

وفي قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٤٢) ﴾ سورة آل عمران: الآية: ١٤٢.

﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾.

هذا هو رجاء المؤمنين.. أن يعم الخير على الأهل والأحبة والناس أجمعين.

ولا عجب من ذلك... وكيف يكون من عجب؟ وقد تربى هؤلاء المؤمنون في مدارس الإيمان، ونشأوا وعاشوا في ظل مبادئها وقيمها، حتى بدت وظهرت في مسلكياتهم واعتقاداتهم، فآثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فقدموا أموالهم صدقة لفقرائهم... وأحبوا ما أحبه إخوانهم، وكرهوا ما كرهوه... وتمنوا لهم من الخير ما لأنفسهم تمنوه... وكل هذا حتى وإن آذوه وعذبوه، وهذا جزء بسيط ويسير مما تربى عليه المؤمنون وتعلموه من روابط الإيمان.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (صحيح البخاري: ح ١٣/ج١/١٤).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوما" فقال رجل: يا

رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: "تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" (صحيح البخاري: ٢٣١١).

﴿ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾.

وبعد ذلك الإيمان اليقين، وما خرج منه من الأعمال والطاعات، والصبر والابتهالات، والتضحية والتضحيات، يأتي أجر الله على المؤمن بالمغفرة عن كل سيئة ودنية... فينقى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، فيكرمه الله تعالى باستقبال وترحيب ملائكته، فتهنئه الملائكة على حسن العاقبة، وتبشره بما قيل لها من أن تقوله: ﴿ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

وهاتان الآيتان الكريمتان هما متممتان لما سبقهما من الآيات الكريمة التي جاءت مخاطبة لرسول الله ﷺ بأن يجعل مثلاً لقومه يعظهم فيه ويبين لهم نتيجة الكفر والتكذيب والعصيان، ونتيجة الإيمان والتصديق والطاعة، فيذكر ويكشف لهم ما حل بأصحاب القرية الذين كذبوا المرسلين فحق عليهم العذاب، وما قيل لمن آمن وأناب.

قال القرطبي: وهذه القرية هي (أنطاكية) في قول جميع المفسرين أرسل الله إليهم ثلاثة رسل وهم (صادق) و (ومصدوق) و (شمعون) أمر ﷺ بإنذار هؤلاء المشركين أن يحلّ بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل من الله، وقيل: هم رسل عيسى. (تفسير القرطبي: ١٥/١٤).

وقد أظهر هؤلاء الرسل لأهل هذه القرية المعجزات الدالة على صدق الرسل كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت، إلا أن أصحاب هذه القرية كذبوهم وأظهروا لهم العداوة وتشاءموا منهم ومن دعوتهم لهم بالإيمان وترك ما يعبدون من الأوثان. فقالت لهم الرسل موضحة سبب شؤمهم على سبيل التوبيخ والزجر والتقريع: ليس شؤمكم بسببنا، وإنما شؤمكم بسببكم، وبكفركم، وإسرافكم وعصيانكم، وسوء أعمالكم، أئن ذكرناكم ووعظناكم ودعوناكم إلى توحيد الله تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ (انظر: صفوة التفاسير: ٣/٨).

ثم تأتي قصة الرجل المؤمن من أهل هذه القرية الذي آمن وصدق

المرسلين. قال المفسرون: كان اسمه (حبيب النجار) وبيته يقع عند أقصى أبواب المدينة وكان يعمل الحرير وهو الحباك، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه. (انظر: مختصر تفسير ابن كثير: ١٥٩/٣).

وقال القرطبي: كان حبيب مجذوماً ومنزله عند أقصى أبواب المدينة، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضُره، فما استجابوا له، فلما أبصر الرسل ودعوه إلى الله قال: هل من آية؟ قالوا نعم نحن ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك! فقال: إن هذا لعجيب، إني أدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع فكيف يفرجه ربكم في غداة واحدة؟ قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير، وهذه لا تنفع شيئاً ولا تضر، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به، فلما همَّ قومه بقتل الرسل جاءهم مسرعاً وقال ما قصه القرآن. (تفسير القرطبي: ١٨/١٥).

والظاهر أن أهل القرية لم يعلموا بإيمان هذا الرجل إلا من بعد ما أشهره هو من بعد نصحه وتذكيره لهم بصدق الرسل. قال المفسرون: لما قال لهم ذلك ونصحهم وأعلن إيمانه، وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه أذاهم. (انظر: مختصر ابن كثير: ١٥٩/٣).

قال الطبري: وثبوا عليه فوطؤوه بأقدامهم حتى مات، وقيل: رموه بالحجارة حتى مات. (تفسير الطبري: ١٠٤/٢٢).

فلما مات قال الله له أو قالت له الملائكة ما أراد الله لها من أن تقوله: ادخل الجنة، فلما دخل وعاين ما أكرمه الله بها لإيمانه وصبره تمنى أن يعلم قومه بحاله، ليعلموا حسن مآله، وسبب غفران الله له ودخوله الجنة.

قال ابن عباس: نصح قومه في حياته، ونصحهم بعد مماته. وقال أبو السعود: وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب الثواب والأجر، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان، جرياً على سنن الأولياء في الترحم على الأعداء. (تفسير أبي السعود: ٢٥٢/٤. وانظر: صفوة التفاسير: ٩/٣).

وذلك الجزاء الطيب هو نصيب من آمن وصدق ما جاء من الحق من الحق، أما جزاء من كفر وكذب وتولى من أهل تلك القرية فكان أن أهلكهم الله تعالى

بصيحة من السماء، فأصبحوا خامدين: أي ساكنين ميّتين. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٤٤٢)، والذكرى تنفع المؤمنون.

ب- **قال سبحانه وتعالى:**

﴿ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة يس: الآيات: ٥٥- ٥٨.

تتجلى هذه الآيات الكريمة برسم تلك الصورة الناعمة التي عليها أهل الجنة وما هم عليه من نعيم كريم من رب رحيم، يداعب خلجات قلوبهم، فينساب منها ليغطي ما تتوق اليه أنفسهم من ملذات المتع الروحية والحسية في كيانهم.

فتبدأ برسم تلك الصورة الفنية التي تظهر انشغالهم بتلك الأشغال التي يمارسونها في الجنة. فهم في شغل متفكهون، هم وأزواجهم معاً سواء بسواء، لديهم ما يشغلهم فأي شغل هذا الذي يشغلهم؟ وكيف يكون؟ وهل هو كشغل الدنيا الذي لا يخلو من الكد والتعب وبذل المجهود الذهني والجسدي وأحياناً النفسي من خلال ما يشعر به الإنسان من مرارة الغربة والبعد عن الأهل والأحبة والأوطان؟

كلا... لا يستويان، والفرق بينهما ما بين الثرى والثريا، فلا نصب ولا وصب، ولا لغوب في الجنة، إنما هو شغل واشتغال بملذات النفس الروحية والجسدية بدون كد أو تعب.

قال أبو حيان: والظاهر أن الشغل هو النعيم الذي شغلهم عن كل ما يخطر بالبال وقال ابن عباس: شُغلوا بافتضاض الأبكار، وسماع الأوتار عن أهاليهم من أهل النار، لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا. (البحر المحيط: ٣٤٢/٧).

فهم جالسون ومتكئون براحة ورخاء، جلسة يغمرها الاستمتاع والرفاهية، تحت ظلال الجنة الظليلة الدائمة.

ومما يزيد في متعتهم واستمتاعهم عزاً وسروراً وغبطةً، أنهم يجلسون بحضور ومعية من سكنت إليها أنفسهم في حياتهم الدنيا، فهم يجلسون مع

أزواجهم من الدنيا وأزواجهم من حور عين الجنة، اللواتي لا مثيل لحسن خلقهن وجمالهن. وجميعهم متكئون على الأرائك، متفكهون، ومتنعمون، ولديهم مزيد.

عن أبي سَعِيدٍ الخدري عن رسول اللهِ ﷺ قال: "إن الرَّجُلَ لَيَتَّكِئُ في الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قبل ان يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ في خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ وان أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عليها تضيء ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عليه قال فَيَرُدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا من أَنْتِ وَتَقُولُ أنا مِنَ الْمَزِيدِ وانه لَيَكُونُ عليها سَبْعُونَ ثَوْباً أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ من طُوبَى فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حتى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا من وَرَاءِ ذلك وان عليها مِنَ التِّيجَانِ أن أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عليها لتضيء ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ". (مسند أحمد بن حنبل: ح ١١٧٣٣/ج٣/ص٧٥).

ونساء الدنيا في الجنة هن الأكثر جمالا ويفضلن على حور العين تكريماً لهن، من الله تعالى.

أخرج هناد عن حيان بن أبي حبلة: إن نساء أهل الدنيا إذا أدخلن الجنة، فضلن على الحور العين، بأعمالهن في الدنيا. (الدر المنثور: ٧/٧٢٢).

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾.

ثم تزداد الجلسة حلاوة ولذة بحلاوة ولذة ما تشتهيه أنفسهم من ما لذ وطاب، ومن سائر أنواع الفاكهة التي لا تشابه فاكهة الدنيا بشيء إلا من حيث المسمى، فالمسمى واحد، لكن الشجر غير الشجر، والثمر غير الثمر، والقطوف غير القطوف، فشجر الجنة سيقانه من الذهب، وثمره ألين من الزبد وأحلى من العسل، وقطوفها دانية وذللت تذليلا. فيأكل منها أهلها قياما وقعوداً، ومضطجعين ومتكئين، وعلى أي حال شاءوا، ولهم فيها ما يتخيَّرون ويدَّعون. يدَّعون: أي مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ. (وصف الدور الثلاثة من تفسير ابن كثير، جمع وترتيب أبي ذر القلموني: ص٢٥٧).

وبهذا يكون كل ما سلف من ألوان المتعة، قد جاء بما يقارب ما ألفه أهل الجنة في حياتهم الدنيا من المتعة الحسية والروحية التي كانوا يجدونها في الخضرة والماء والوجه الحسن، بالإضافة إلى ما لذ وطاب واشتهته أنفسهم.

﴿ سَلَـٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾.

ثم تأتي النعمة الكبرى على أهل الجنة من الله تعالى، التي تشغلهم عما كانوا به منشغلين، فلا يلتفتون معها إلى شيء بعدها من شدة ذاك النور الذي يبزغ، وكما جاء في هذا الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال: "**بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فنظروا فاذا الرب عزوجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله ﴿ سَلَـٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨ ﴾ قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يزالون كذلك حتى يحتجب عنهم فيبقى نور بركته عليهم وفي ديارهم**". (ذخيرة الحفاظ: ح٢٣٧٣. ج٢/ص١١١٦).

قال ابن عباس: فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة. (تفسير ابن كثير: ٣/ ٥٧٦).

وبهذا السلام، وذاك المقام يكون أهل الجنة قد وصلوا إلى أجلّ نعمهم وأعظم أمانيهم.

٣٠- الجنة في سورة الصافات

قال تعالى:

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة الصافات: الآيات: ٤٠-٦١.

تظهر هذه الآيات الكريمة المتسلسلة من هذه السورة الجانب الآخر من جزاء الله تعالى لعباده، وهو جزاء أوليائه من عباده المخلصين، وذلك من خلال إبراز بعض من جوانب النعيم الذي هم عليه في الجنة، ومن خلال أيضاً عرض ما يدور فيما بينهم من حوار وحديث تملؤه التساؤلات والتصورات عما كان عليه واقع حالهم في الحياة الدنيا، وما آلوا إليه في الآخرة.

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

فتبدأ هذه الآية مستخدمة أسلوب الاستثناء المنقطع، وهو ما كان المستثنى (عباد الله المخلصين) ليس من جنس المستثنى منه (العذاب الأليم) فيما سبق هذه الآية

من آيات هذه السورة، وبذلك استثنى الله عباده المخلصين من العذاب الأليم يوم القيامة نتيجة لتصديقهم ما جاء به المرسلون، وإخلاصهم لله في إيمانهم وسائر أعمالهم.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾.

ثم تمضي الآيات وتخص هؤلاء العباد المخلصين بالكرامة والتكريم، بأن رفع الله تعالى قدرهم وشأنهم، فأكرمهم بدخول جنته ثوابا منه تعالى، وخصهم بالرزق الكريم المعلوم، والمعروف من خصائصه، فهو رزق غير مقطوع ولا ممنوع، حسن المنظر، طيب الرائحة، يأتيهم بكرة وعشيا من غير كد أو تعب.

قال أبو السعود: معلوم الخصائص من حسن المنظر، ولذة الطعم، وطيب الرائحة. (تفسير أبي السعود: ٤/٢٦٨).

ثم تفصل الآية بعض هذا الرزق على أنه من الفواكه دون تخصيص أي نوع منها، وذلك لإبراز ما في هذا الرزق من متعة حسية وروحية يتلذذ بها هؤلاء المؤمنون، إكراماً لهم من الله تعالى.

قال المفسرون: وخص الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ. (صفوة التفاسير: ٣/٢٩).

ثم إن رزق الجنة غير رزق الدنيا، فلا يقصد منه الاقتيات من أجل دوام الصحة والحياة، إنما هو رزق تلذذ ومتعة كون أهل الجنة مستغنين عن القوت لأحكام خلقهم، وعدم تحلل ما يأكلونه من الرزق.

عن جَابِرٍ قال سمعت النبي ﷺ يقول "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُونَ ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا فما بَالُ الطَّعَامِ قال جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ". (صحيح مسلم: ج٤/ص٢١٨٠).

وفي رواية أخرى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: "نعم والذي نفس محمد بيده، إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع... " قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في

الجنة أذى؟ قال: "تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه". (الترغيب والترهيب: ح ٥٦٨٥، ج٤/٢٩١).

﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٌ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴾.

فهذا رزق عباد الله المخلصين في جنات النعيم يأتيهم وهم على أسرتهم متقابلون زيادة في الترفيه والرفاهة والإكرام، ومن هذا الإكرام أن أهل الجنة لا يرى أحدهم قفا الآخر، لذا جاءت سررهم متقابلة ليتقابلوا معاً فيتحادثوا ويستأنسوا مع بعضهم البعض، وقد يكون في هذا التكريم أيضاً بمعنى متقابلين أنهم متقابلون بالنعيم أي كل منهم لديه ما لدى الآخر من نعيم وتكريم.

قال مجاهد: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلاً وتحاباً. (تفسير القرطبي: ١٥/٧٧).

وبعد لذة المأكل تأتي لذة المشرب، فيطاف عليهم بكأس من معين، وهم على تلك السرر الناعمة، فيأتيهم الشراب دون أن يأتوه أو يطلبوه، إنما يطاف عليهم ومن حولهم باستمرار، فإذا ما اشتهى المؤمن من أهل الجنة الشراب، أتاه الولدان المخلدون به.

قال تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ سورة الواقعة: الآية: ١٧.

أو قد يأتيه الشراب من أي مكان وبأي طريقة كانت، لكثرة هذا الشراب فهو موجود وجار في تلك الأنهار الجارية في كل مكان من أرض الجنة، وفي الأوعية والأباريق والكؤوس.

أخرج ابن أبي الدنيا بسند جيد، عن أبي أمامة، قال:

إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق، فيقع في يده، فيشرب، ثم يعود إلى مكانه. (الترغيب والترهيب: ح٥٦٨٤/ج٤/ص ٢٩٠).

وهذا الشراب الجاري والظاهر للعيون والمقدم بهذه الكؤوس هو الخمر، كما دلت عليه آيات أخرى من القرآن الكريم. وهو مما حرمه الله تعالى عليهم في

الدنيا وأحله لهم في الجنة، إلا من استحله في دنياه فإن الله يحرمه عليه في الآخرة. كما ثبت عنه ﷺ أنه قال:

«**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب**» (الدر المنثور: ٣/٢٩١).

قال ابن عباس: كل كأس في القرآن فهي الخمر، والمعين هي الجارية. (تفسير الطبري: ٢٣/٣٤).

إلا أن هذا الخمر بلذته وصفته البيضاء من لونه أو لون الكأس المقدم به، يختلف عن خمر الدنيا، ولا يجتمع معه إلا من خلال المسمى لكليهما، فخمر الجنة لا يشوبه ما يشوب خمر الدنيا من الرائحة الكريهة، والمذاق السيئ، وما يتبع شاربه من آفات سيئة قد تكون وخيمة عليه وعلى من حوله.

إنما هي خمر تلذذ، يتلذذ بها كل من يشربها، وذات رائحة طيبة، لا فيها غول أي صداع ونتن، ولا هم عنها ينزفون أي يسكرون.

عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه قال:

في الخمر أربع خصال، السكر والصداع والقيء والبول، فنزه الله تعالى خمر الجنة عنها، لا فيها غول، لا تغول عقولهم من السكر، ولا هم عنها ينزفون، لا يقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا عنها.... (روح المعاني: ٢٣/٨٧).

ثم إننا نستطيع أن نضيف إلى ما ذكر من هذه الخصال، من أنها تنزف مال شاربها بإنفاقه على شرائها وبغير وجه حق.

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

وبعد نعيم الرزق من المأكل والمشرب، تأتي هذه الآيات بنعمة أخرى هي ما تسكن إليها النفوس وتحبها من أزواج أهل الجنة من نسائهم في الدنيا وحور العين في الآخرة، فتشير إليهن الآيتان الكريمتان من خلال ذكر الوصف اللاتي هن عليه، كمالاً وتنزيهاً لما هن عليه من كمال الخَلق والخُلُق.

قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الرحمن: الآية: ٧٠.

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾: أصل القصر

"الحبس" أي قصرن أبصارهن على الأزواج ولم يطمحن إلى غيرهم، أو لا ينظرن إلا على أزواجهن. انظر: (وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص ٢٨٢).

فهن قاصرات الطرف عين. قد قصرن أبصارهن برغم سعة أعينهن على أزواجهن من المؤمنين، فلا يرفعن أطرافهن إلى غيرهم من الرجال ولا يردن غيرهم، وهذا ما يتماشى مع تكريمهن بحسن الخُلُق من الحياء والعفة والصون لنساء الجنة. وهو أيضاً ما كان محموداً في نساء المؤمنين في الدنيا، كذلك فهن مصونات بكل رقة ولطف وجمال، فبياضهن يشبه لون بياض النعام المصون والمستور عن كل كدر. فجمالهن لا تبتذله الأيدي ولا الأبصار.

قال الفخر الرازي: ومعنى هذا التشبيه أن ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة، فإذا كان مكنوناً كان مصوناً عن الغبرة والقترة فكان هذا اللون في غاية الحسن. (التفسير الكبير: ٢٦/١٣٧).

أخرج الترمذي، وابن حبان عن ابن مسعود، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى يرى مخها، وذلك بأن الله يقول: "كأنهن الياقوت والمرجان". فأما الياقوت فإنه حجر كريم، لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه". (انظر: سنن الترمذي: ح٢٥٣٣/ج٤/ص٦٧٦. الدر المنثور: ج٧/ص٧١٢).

وعن أبي سَعِيدٍ الخدري عن رسول اللهِ ﷺ قال: "ان الرَّجُلَ لَيَتَّكِئُ في الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قبل ان يَتَحَوَّلَ ثُمَّ تَأْتِيهُ امْرَأَتُهُ فَتَضْرِبُ على مَنْكِبَيْهِ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ في خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ وان أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عليها تضيء ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عليه قال فَيَرُدُّ السَّلاَمَ وَيَسْأَلُهَا من أَنْتِ وَتَقُولُ أنا مِنَ الْمَزِيدِ وانه لَيَكُونُ عليها سَبْعُونَ ثَوْباً أَدْنَاهَا مِثْلُ النُّعْمَانِ من طُوبَى فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حتى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا من وَرَاءِ ذلك وان عليها مِنَ التِّيجَانِ أن أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عليها لتضيء ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ". (مسند أحمد بن حنبل: ح ١١٧٣٣/ج٣/ص٧٥).

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ

﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾.

وفي ظلال هذا النعيم يتزاور أهل الجنة ويقبل بعضهم على بعض، فيتحاورون ويتسامرون فيما بينهم وكأنهم في جلسة سمر هنية، فيتبادلون فيها ألوان الحديث ويتذاكرون الماضي والحاضر وما كان في الدنيا من مواقف وصور مرت بهم كأنها حكايا مصورة، حتى أفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى قضية مهمة من قضايا الإيمان والتوحيد والتي كانت من أسباب وجودهم في هذا النعيم، هي قضية الإيمان بالله التي تفضي إلى حقيقة الإيمان بالبعث والنشور والحساب، هذه الحقيقة التي لطالما قوبلت بالإنكار والتكذيب من قبل الكافرين، كلما ذكّروا بها أو مرت عليهم، حتى وصل بهم تكذيبهم وإنكارهم حد السخرية التي أنستهم قدرة الله في نشأتهم الأولى التي لو تفكروا فيها لوصلوا منها إلى حقيقة نشأتهم الآخرة.

لكنهم كذبوا، واعتبروا أن مجرد الإيمان بالبعث والنشور هو خسران كبير لهم بعد أن يكونوا عظاما نخرة، بالية، زيادة في تكذيبهم وكذبهم.

قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة النازعات: الآيات: ١٠- ١٢.

وقول الكافرين في هذه الآيات مشابه لقول الكافرين في هذه السورة من حيث تكذيبهم بيوم البعث والنشور.

ثم يسير السياق بأهل الجنة في حديثهم وتحاورهم عن هؤلاء المكذبين وفيما كانوا عليه من تكذيب، حتى أفضى هذا الحديث أحدهم من أن يسرد قصته على أهل الجنة مع أحد هؤلاء المكذبين، فقال: ﴿ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ - أي الصاحب الملازم في الدنيا - وكان منكراً ومكذباً بالبعث والنشور، ويقول ما حكاه الله عنه ﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ وعلى وجه السخرية، بأننا نبعث ونجازى

بأعمالنا، ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى، وكنا ترابا وعظاما؟

قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله ويقصّر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلاً على تكثير ماله، فانفصل من شريكه لتقصيره، وكان كلما اشترى داراً أو جارية أو بستاناً أو نحو ذلك عرضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو من ذلك ليشتري له به قصراً في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال ما صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدقين؟ فكان أمرهما ما قصَّ الله علينا في كتابه العزيز. (مختصر ابن كثير: ١٨١/٣).

وبعد هذا التكذيب وكأنه يسود السكون والدهشة التي ما تلبث أن تنقطع بفضول هذا المؤمن من حب الاطلاع والاستطلاع على ما هو عليه هذا المكذب من المصير في النار، فيقول لإخوته في الجنة: هل أنتم مطلعون معي في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه. فاطّلع، وأشرف فرأى قرينه في وسط الجحيم في العذاب المهين.

قال كعب: بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا، اطلع من بعض الكوى، وقوله: ﴿ فَٱطَّلَعَ﴾ أي أشرف. وعندما أشرف فرآه في الجحيم وعرفه من وجهه كما أراد الله له من يعرفه. رغم تغير وجهه ولونه من شدة العذاب، قال مخاطبا له كما جاء بقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾. أي لقد كدت أن تهلكني، وتحضرني معك وإلى ما أنت فيه من العذاب لولا رحمة ربي ونعمته علي، يقول له هذا تبكيتاً وسخرية من دون شفقة أو رحمة عليه لما كان يسخر منه في الدنيا. (انظر: وصف الدور الثلاث من تفسير ابن كثير، لأبي ذر القلموني: ص٢٦٠ - ٢٦٢. جامع البيان، للطبري: م١٢/ ج٢٣/ص٥٩. تفسير البغوي: ٢٨/٤. التفسير الكبير: ١٣٩/٢٦).

ومن الجدير بالذكر أن أهل الجنة لا يشغلهم عذاب أهل النار، ولا تأخذهم فيهم شفقة كما يحدث في الدنيا، من أن بعض الناس، وبعض الجمعيات التي تطلق

على نفسها الجمعيات الإنسانية، تأخذهم الرأفة ونظرة العطف عند صدور وتنفيذ الأحكام الشديدة بحق المجرمين الخطرين، فيطالبون بإيقاف وتخفيف الأحكام عليهم. وقد يكون هذا الشعور نابعاً من طبيعة النفس الإنسانية فيظهر عليهم، ولكنه شعور في غير محله.

وأهل الجنة تكون رحمتهم وعطفهم فيما بينهم فقط بعد أن نزع الله تعالى ما في صدورهم من غل، ولم ينزعه منهم على أهل النار، وبذلك يتماشى قولهم مع إرادة الله تعالى ومشيئته في عذابه للكافرين في هذه النار. ثم إن أهل **الجنة** في شغل فاكهون ولديهم ما يشتغلون به من ألوان المتع وألوان النعيم.

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾.

وبعد رؤية هذا القرين وهو في سواء الجحيم، يتفجر لدى أهل **الجنة** الشعور الحسي القوي لما هم عليه من جزالة النعمة وفخامة المنزلة، بأن نجاهم الله تعالى من هذه النار، وأكرمهم بدخول هذه الجنان، لينطلق بعدها الكلام بالإشادة بهذه النعمة العظيمة الدائمة، والتي يظهر منها ما يقر وينفي الموت عنهم بعد موتتهم الأولى في الحياة الدنيا، كما وينفي عنهم عذاب الجحيم بنجاتهم من النار وفوزهم برحمة الله التي أدخلتهم **الجنة**، وهذا هو الفوز العظيم.

ويرد بعدها توجيه يحفز على هذا الفوز ويبين الطريق له من خلال ما يوجب له من الأعمال الطيبة المؤدية إليه: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾.

وقد بين الأستاذ سيد قطب المغزى البياني للآية الكريمة حيث قال: "وهنا يرد تعليق يوقظ القلوب ويوجهها إلى العمل والتسابق لمثل هذا المصير "لمثل هذا" النعيم الذي لا يدركه فوت، ولا يخشى عليه نفاد، ولا يعقبه موت، ولا يتهدده العذاب. لمثل هذا فليعمل العاملون... فهذا هو الذي يستحق الاحتفال. وما عداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود". (في ظلال القرآن: ٢٩٨٨/٥).

٣١- الجنـة في آيات سور ص

قال الله جل جلاله:

﴿ هَـٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سور: ص: الآيات: ٤٩-٥٤.

هذا ذكر وتذكرة لمن شاء أن يتذكر ويعتبر من هذا الذكر الحكيم، بما حوى عليه من ذكر طيب لحياة المختارين من عباد الله المختارين.... فإن الذكرى تنفع المؤمنين المتقين الذين يرجون حسن المآب، والعودة من الحياة الأولى إلى الحياة الباقية... فيقطفون فيها ثمار أعمالهم الطيبة، بالحمد والثناء الجميل لحسن النهاية والخاتمة التي كانوا يرجونها. والخطاب هنا جاء موجّهاً لرسول الله ﷺ ليقتدي بمن سبقه من الرسل في تحمل الأذى في سبيل الله، قال المفسرون: أي هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من سيرة الرسل الكرام ذكرٌ جميلٌ لهم في الدنيا، وشرف يذكرون به أبداً. (انظر: صفوة التفاسير: ٣/٥٦).

فها هي جنات عدن، جنات الإقامة الدائمة للمتقين، أبوابها مفتحة على مصراعيها بإذن الله تعالى فرحاً بهم من قبل أن يأتوها، فلا ملل من طول انتظار أمامها... ولا قرع لأجراسها للإيذان بدخولها، إنما هي مفتحة كأبواب أفراح هذه الدنيا، مفتحة إكراماً وحفاوة لضيوفها، وعلى عكس أبواب سجونها التي لا تفتح إلا لضرورة، لتعود فتطبق من جديد على أهلها وداخليها.

قال المفسرون: إن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا المؤمنين فتحوا لهم أبوابها، وحيوهم بالسلام، فيدخلون كذلك محفوفين بالملائكة على أعزِّ حال، وأجمل هيئة. (التفسير الكبير: ٢٦/٢٢١).

وللجنة ثمانية أبواب، أحدها يدعى الريان له مزية خاصة، لا يدخل منه إلا الصائمون، تكريماً لهم من الله تعالى.

أخرج البخاري عن **سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "في الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فيها بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إلا الصَّائِمُونَ"** (صحيح البخاري: ح ٣٠٨٤، ج٣/ص١١٨٨).

وجاء حديث بلفظ آخر له " **عن سَهْلٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إِنَّ في الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يوم الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فإذا دَخَلُوا أُغْلِقَ فلم يَدْخُلْ منه أَحَدٌ**". (صحيح البخاري: ح ٣٠٨٤، ج٣/ص١١٨٨).

وأبواب جنة الإقامة الثمانية مفتحة زهواً أمام المؤمنين ليدخل كل منهم من باب عمله إلى ما يقابله من أبوابها. إلا من رفعه الله تعالى بكرمه فيدخل من أي باب شاء.

أخرج البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "من أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يا عَبْدَ اللهِ هذا خَيْرٌ فَمَنْ كان من أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ من بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كان من أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ من بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كان من أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ من بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كان من أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ من بَابِ الصَّدَقَةِ فقال أبو بَكْرٍ رضي الله عنه بِأَبِي وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ ما على من دُعِيَ من تِلْكَ الْأَبْوَابِ من ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ من تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قال نعم وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ منهم". (صحيح البخاري: ح١٧٩٨/ج٢/ص٦٧١).

وأخرج الشيخان أيضاً عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"**. رواه مسلم / ١٤٩ (كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان).

وإذا ما دخل المؤمنون الجنة، فإن أبوابها تبقى مفتحة، فلا تغلق من بعد دخولهم عليهم ليتبوءوا من الجنة حيث شاءوا، ولتدخل عليهم الملائكة من كل

باب في كل وقت وفي كل حين.

وهذا ما فيه من نعيم روحي يضفي على أهل الجنة السعادة بحرية الحركة والتنقل من مكان إلى مكان، ومن نعيم إلى نعيم في **الجنة**، وعلى العكس من أبواب النار التي توصد على أهلها بمجرد دخولهم إليها، فهي عليهم مؤصدة.

وفي هذا النعيم الروحي أيضاً ما يشير إلى الشعور بالأمن والأمان، المستمد من أمن وأمان الجنة، فلا حاجة لغلق الأبواب كما عهدوا في حياتهم الدنيا من غلق أبواب بيوتهم عليهم زيادة بأمنهم وأمانهم.

ثم يستمر النعيم الروحي ليشمل النعيم الحسي بدخول **الجنة** ومن ثم الاتكاء والاضطجاع براحة وسرور. والاتكاء في الجنة فيه بيان وإشارة إلى كمال النعمة والصحة والعافية، وراحة النفس. لأن الاتكاء بطبيعته لا يأتي مع السقم أو المرض والألم.

ثم إن أهل الجنة وهم بهذا الاتكاء يُغدَق عليهم من نعيم **الجنة** ما لا حصر له، فيدعون بفاكهة كثيرة متعددة الأجناس ومختلفة الألوان، وشراب مطلق دون تحديد ماهيته وطبيعته، فقد يكون من سائر أنهار الجنة الجارية باللبن والعسل، والخمر... أو قد يكون فيما تشتهيه أنفسهم من شراب الدنيا، مع اختلافهما في المضمون والجوهر.

وكل نعيم لديهم مكتمل باكتمال ما عندهم من ذوات الحسن البديع، قاصرات الطرف، ومع طول وسعة الأعين، هن حابسات أبصارهن على أزواجهن، مغدقات مسراتهن عليهم، فلا يرون فيهن إلا سرورا، وجميعهن متماثلات في الخلق، فهن على خلق واحد، ومتساويات في السن والشكل - وهذا معنى (أترابا) كما ذكره بعض المفسرين وأخرجه ابن المبارك والبيهقي - إضافة لما هن عليه من حياء الخُلق والعفة والتودد لأزواجهن، وهذا من جانب وما يجده أزواجهن فيهن من حلاوة الطبع وطيب المعاشرة. من الجانب الآخر.

وهذا النعيم هو وعد الله الحق الذي لا يخلفه لعباده المؤمنين في يوم الحساب. فهو وعد لنعيم دائم، لا انقطاع لمتعته، ولا نفاد لرزقه ما دامت السموات والأرض، وما دام من عند الله، وما عند الله باق.

٣٢- الجنة في سورة الزمر

ورد ذكر الجنة في آيات هذه السورة وكما يلي:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ سورة الزمر: الآية: ٢٠.

خلق الله سبحانه وتعالى جنته لتكون مهداً للحياة الأبدية لعباده المتقين، وهيأ مساكنها، وشيّد غرفها بإبداع قدرته الواسعة، وفرشها باليسر والراحة حتى غدت محضناً ميسرا ممهداً، ثم نوع مشاهدها ومناظرها، وأجرى من تحتها الأنهار بتنوعها وتعددها، ثم بعد ذلك جعلها في وعده الذي لا يخلف لعباده المتقين.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ من فَوْقِهِمْ كما تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ من الْأُفُقِ من الْمَشْرِقِ أو الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ قالوا يا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قال بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيده رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". (صحيح مسلم: ح ٢٨٣١/ج٤/ص٢١٧٧).

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾: أي لهم غرف بعضها فوق بعض، وبعضها أرفع من بعض، وسويت تسوية المباني في الدنيا في القوة والمتانة والرصانة. وفصل الفخر الرازي ذلك بقوله: فإن قيل ما معنى قوله: ﴿ مَّبۡنِيَّةٞ﴾؟ قلنا: لأن المنزل إذا بني على منزل آخر تحته كان الفوقاني أضعف من التحتاني فقوله: ﴿ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ معناه أنه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساوٍ للمنزل الأسفل. (التفسير الكبير: ٢٦/٢٦٣. وانظر: تفسير البغوي: ٤/٧٥. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص١٤٠ - ١٤١).

فمن آمن بالله وصدق المرسلين كانت له تلك المنازل من الغرف، ومن اتقى الله وأطاعه، فأطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قانتاً والناس نيام، أوجب الله له دخول هذه الغرف، ليرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائما والناس نيام". (المستدرك على الصحيحين: ح ١٢٠٠/ج١/ص٤٦٦).

وكيف تكون هذه الأعمال من طيب الكلام، وإطعام الطعام، والصلاة والناس نيام؟ وهل هناك غيرها من الأعمال التي توجب هذه الغرف؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة لغرفاً، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، فإن كان خلفها، لم يخف عليه ما فيها".

قيل: لمن يا رسول الله؟

قال: "لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس قيام".

قيل: وما طيب الكلام؟

قال: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات، ومجنبات، ومعقبات".

قيل: فما وصال الصيام؟

قال: "من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه".

قيل: فما إطعام الطعام؟

قال: "من قات عياله".

قيل: فما إفشاء السلام؟

قال: "مصافحة أخيك وتحيته".

قيل: وما الصلاة والناس نيام؟

قال: "**صلاة العشاء الآخرة**". (حادي الأرواح: ج١/ص٩٨).

ثم إن الأعمال الصالحة الموجبة لتلك المنازل الرفيعة من غرف الجنة كثيرة ومتنوعة، يجدها المؤمن أينما كان وفي أي وقت كان، فيجدها في قوله وفعله، في نفسه وأهله، وفي زكاة أمواله فإذا ما أكثر المؤمن من هذه الأعمال، كثرت غرفه وارتفعت منزلته فيها، ومن أراد المزيد فليزيد في نفقته عليها من هذه الأعمال، وليحث عامليها على مواصلة بنائها، فما أعماله إلا نفقه لبنائيها.

عن الحسن أنه قال: الملائكة يعملون لبني آدم في الجنان، يغرسون ويبنون، فربما أمسكوا فيقال لهم: قد أمسكتم، فيقولون: حتى تأتينا النفقات.

فقال الحسن: فابعثوهم - بأبي أنتم وأمي - على العمل.

فمن أكثر من أعماله الصالحة، أكثر الله عليه من عطائه، ومن زايد فيها وتوسع، وسع الله عليه في غرفه وقصوره، والله واسع عليم.

ب. قال جل وعلا:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة الزمر: الآيتان: ٧٣-٧٤.

هي اللحظات الحاسمة والطيبة لتلك الوفود الطيبة لنيل ذاك الفوز العظيم من وعد الله العظيم.

فها هي الوفود قد أقبلت، كل وفد يحمل راية عمله... إنها تسير بسرور الشاكرين... وتحمد الله وتهلله وسط هتافات المهنئين وكبار المستقبلين.

فاليوم يوم الجائزة، فلا وصب ولا نصب ولا لغوب بعد اليوم، إنما نعيم مقيم، وخلود بلا فناء، ورزق لا يقل ولا ينفد في جنات وعيون من عطاء رب كريم لعباده المتقين.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾.

وهكذا يساق المؤمنون بنجائب الكرامة والتشريف إلى جنة الخُلد، يساقون وفوداً وجماعات متتالية ومتسلسلة، كل حسب منزلته، ويتقدمها جماعة المقربين ويليها الأبرار، ثم ما يليها من الجماعات وبحسب فضائل أعمالهم، فالأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع الصديقين، والشهداء مع ما يماثلهم.

قال القرطبي: وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنهم لا يذهب بهم إلا راكبين، كما يفعل بالوافدين على الملوك. (تفسير القرطبي: ٢٨٥/١٥).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.

وأول من يستفتح ويؤذن له بدخول الجنة هو شفيع هذه الأمة الرسول الكريم محمد ﷺ.

عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يوم الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فيقول الْخَازِنُ من أنت فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فيقول بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ". (صحيح مسلم: ح١٩٧/ج١/ص١٨٨).

وإذا ما وصل المؤمنون الجنة، فإنهم يجدون أبوابها الثمانية مفتحة أمامهم، إكراماً وتشريفا لهم، فتلقاهم الملائكة من خزنتها بالبشارة والترحيب والتهنئة، فيسلمون عليهم، ويبشرونهم بالسلامة من كل الآلام والآفات، ويهنئونهم بطيب أعمالهم وأقوالهم التي أطابت لهم هذا الثواب الكريم، ثم تدعوهم الملائكة بالدخول إلى الجنة من أبوابها الثمانية الواسعة، الشاهقة.

قال الحسن سمعت رسول الله ﷺ يقول: "للجنة أراه قال ثمانية أبواب بين كل مصراعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة". (الزهد لأبن المبارك: ٥٣٥/١).

ولما كانت الجنات درجات، بعضها فوق بعض، جاءت أبوابها عالية وشاهقة وواسعة بحسب وسع الجنة، فباب الجنة العالية أوسع من ما تحته من أبواب الجنة التي تليها... وهكذا.

والباب الذي تدخل منه هذه الأمة غير الباب الذي تدخل منه سائر الأمم.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الذي تَدْخُلُ منه أُمَّتِي فقال أبو بَكْرٍ يا رَسُولَ اللهِ وَدِدْتُ أَنِّي كنت مَعَكَ حتى أَنْظُرَ إليه فقال رسول اللهِ ﷺ أَمَا إِنَّكَ يا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من أُمَّتِي". (سنن أبي داود: ٤/٢١٣).

وهذا الباب مخصص لهم فقط، ولهم الخيار في الدخول من أي باب شاءوا من تلك الأبواب الثمانية.

ورد عن علي بن أبي طالب كما قال خلف بن هشام أنه قال: "إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض. ثم قرأ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾. إذا هم عند شجرة في أصلها عينان تجريان، فيشربون من إحداهما، فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضره النعيم، فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبدا، ثم قرأ ﴿ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ فيدخل الرجل وهو يعرف منزله وتتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة، فينطلقون إلى أزواجهم، فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول: أنت رأيته؟! فتقوم إلى الباب، فيدخل إلى بيته فيتكئ إلى سريره فينظر إلى أساس بيته، فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر، ثم يرفع رأسه إلى سمك بيته، فلولا أنه خلق له لالتمع بصره، فيقول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (سورة الأعراف: الآية: ٤٣)". (حادي الأرواح: ١/٤٥).

وترى الأفواج تتهافت وتتدافع وتتزاحم أمام هذه الأبواب ليس من ضيق الأبواب ولكن للإسراع من نيل ما يرونه من كمال الثواب في هذه الجنة من خلال هذه الأبواب المفتحة على مصراعيها.

روى الطبراني عن عبدالله بن سلام قال قال رسول الله ﷺ: "إن ما بين المصراعين في الجنة أربعون عاما وليأتين يوم يزاحم عليه كازدحام الإبل وردت الخمس ظماء". (مجمع الزوائد: ١٠/٣٩٧).

وتأتي ساعة الإكرام والتشريف لهذا النبي الأمي، فيكرمه ويشرفه صاحب

الدعوة التامة والصلاة القائمة، بأن يبعثه مقاماً محموداً ودرجةً عالية رفيعة عن سائر الخلق أجمعين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يقوم الناس لرب العالمين، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر". فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي الْعَرْشَ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي فَيُقِيمُنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ مَقَامًا لَمْ يُقِمْهُ أَحَدًا قَبْلِي وَلَمْ يُقِمْهُ أَحَدًا بَعْدِي فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي الأَبْوَابِ الأُخَرِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ إِلَى مَا بَيْنَ عِضَادِيِّ الْبَابِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ هَجَرَ وَمَكَّةَ قَالَ لا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَ. (صحيح ابن حبان: ١٤/٣٨٣).

ثم يمتد تشريف الله لسيدنا محمد ﷺ إلى تشريف أمته بدخول الجنة قبل سائر الأمم وسائر الخلق. فلا تسبقهم أمة إلى الجنة. إكراماً وإجلالاً لهذا النبي في هذا اليوم، وكما من قبل شرفهم الله في الدنيا في هذا النبي، وشرفهم بأن جعلهم خير امة أخرجت للناس.

أخرج الطبراني بسند حسن، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: "الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي". (المعجم الأوسط: ١/٢٨٩).

فهنيئا لهذه الأمة بهذا النبي الذي أكرمها وشرفها بإكرام الله وتشريفه بأن جعلها على رأس سائر الأمم، وخصها لتكون أول ساكني الجنة، وأول الشاكرين والحامدين لله فيها.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾.

وبعد الدخول والولوج إلى الجنة، وبعد رؤية ما فيها من نعيم مقيم، ترتسم الفرحة، وتسر القلوب، وتنطلق الألسنة بلسان واحد بالحمد والثناء على رب العزة ورب الثواب، بأن صدقهم هذا الثواب الذي وعدهم إياه على ألسنة رسله الكرام.

قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ سورة آل عمران: الآية: ١٩٤.

ومن وعد الله تعالى لهؤلاء المؤمنين ما جاء بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة العنكبوت: الآية: ٥٨.

وما تزال الألسنة تنطلق بما هدى الله أهل الجنة من الطيب من القول، وما زال الحمد قائماً، شكراً لله على ما منّه عليهم من فضله وإحسانه بتمليكهم الجنة، فينزلون فيها كما شاء الله لهم، فيتصرفون بنعيمها كيفما شاءوا... فهم أصحاب الإرث فيها، وهم أصحاب الأعمال الطيبة التي جعلت منهم الوارثين لها، وكل عمل كانوا قد عملوه في حياتهم الدنيا وجدوه عند الله خيراً وأبقى في هذه الجنة.... فنعم أجر العاملين.

٣٣- الجنة في سورة غافر

وردت الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال الله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ سورة غافر: الآية: ٨.

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق جنته إلا لتكون لعباده المؤمنين، ومن لطفه سبحانه وتعالى بهم، ومن حرصه على أن يدخلوها، سخر من ملائكة قدسه من يدعون ويستغفرون لهؤلاء المؤمنين بما يليق من أدب الدعاء والاستغفار مع بارئهم، وبما يلامسه الدعاء من الرحمة.

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ سورة غافر: الآية: ٧.

فإذا ما أزفت الآزفة في ذلك اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، تلهج الملائكة بما هداها الله تعالى من الدعاء والاستغفار لهؤلاء المؤمنين، وتقدم بين يدي الدعاء طلب الرحمة من الله تعالى بأن يغفر ذنوبهم ويكفر عنهم سيئاتهم وأن يجنبهم النار.

قال تعالى: ﴿ فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ سورة غافر: الآية: ٧.

وهؤلاء الملائكة هم من القوى المؤمنة من خلق الله في هذا الوجود، يحملون العرش، ويسبحون بحمد الله، ولا يعصون الله فيما أمرهم، يتجهون ويذكرون هؤلاء المؤمنين من عباد الله أمام الله العزيز الحكيم الذي يأذن لهم في الكلام فيقولون صوابا.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ

وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ سورة غافر: الآية: ٧.

ثم يرتقي هؤلاء الملائكة بالصواب والدعاء من الغفران والوقاية من الجحيم إلى سؤال الله العظيم وبما استمدوه من رحمته التي وسعت كل شيء، فيطلبون من الله تعالى أن ينجز وعده الذي وعده لعباده المؤمنين من دخول جنته وكما جاء على ألسنة رسله الكرام، وهو الذي لا يخلف الميعاد.

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾.

وهكذا تقول الملائكة.. ربنا أدخل هؤلاء الفئة المؤمنة جنات الإقامة الدائمة... جنات عدن التي وعدتهم في وعدك الذي لا يخلف.

ثم يمتد دعاء الملائكة لله تعالى بحق هؤلاء المؤمنين من أن يشمل الله تعالى برحمته قرة أعينهم ممن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الدنيا ليدخلوا معهم الجنة متجاورين بمنازلهم.

﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾.

قال ابن كثير: أي اجمع بينهم وبينهم لتقرّ بذلك أعينهم بالاجتماع في الجنة بمنازل متجاورة. (مختصر ابن كثير: ٣/٢٣٦).

فمن أردا الخير لأهله وقرة عينه في الآخرة، فليدع أهله إلى ما فيه من الخير والصلاح، ليكونوا معه في رحمة الله التي تطلبها الملائكة من الله، ليدخلوا معاً الجنة. لأن رابطة النسب في الآخرة غير ما هي عليه في الدنيا، فهي في الآخرة لا تكتمل إلا باكتمال الصلاح والفلاح، وإن اكتملت هذه الرابطة دخلوا جميعاً في رحمة الله، ففازوا بنعيم جنته، وفازوا بنعيم صحبة الأهل فيها، وذلك هو الفوز العظيم.

ومن هنا ومن خلال هذا الدعاء الرقيق ومن خلال هذا الصلاح الطيب في النسب، تنبثق دعوة قوية لأولئك الباحثين عن السعادة الأبدية وسط الأهل والأحبة وقرة الأعين في جنات النعيم، دعوة تقوم على أساس تقوية المبادئ الإيمانية فيما

بينهم، فيحث كل منهم الآخر على صالحات الأعمال التي ترتفع معها المنازل والدرجات في الجنة، فمن علت وارتفعت منزلته في الجنة رفع أهله إلى منزلته بكرم الله وفضله فيكونون معاً في نفس الدرجة والمنزلة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الطور: الآية: ٢١.

ثم تعقّب الملائكة بدعائها إلى ذكر حقيقة الله وصفاته المستمدة من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فهو العزيز بعزته القوية، الحكيم بحكمه وحكمته التي يقضي بها بين عباده يوم القيامة ويوم لا يكون فيه من حكم إلا حكمه تعالى.. والله عزيز حكيم.

ب. قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة غافر: الآية: ٤٠.

إنها المعادلة الإلهية الرحيمة التي وضعها الله سبحانه وتعالى لتكون بميزان أعمال عباده يوم القيامة، فعمل واحد سيئ في كفة الميزان يقابله ثقل واحد وسيئة واحدة في كفته الأخرى.. لا زيادة، وعمل صالح من ذكر أو أنثى سواء بسواء شرطه الأساس الإيمان، يضاعف فيثقل معه الميزان فيقابله رزق بلا حساب في جنات النعيم... جنات الرب الكريم.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: أي لا يتقدّر بجزاء، بل يثيبه الله ثواباً كثيراً عظيماً، لا انقضاء له ولا نفاد. (مختصر ابن كثير: ٣/٢٤٥).

ومع هذه المعادلة الإلهية الكريمة، من هو ذاك الشقي الذي تغلب آحاده عشراته، فيشقى..؟!

ومن هو ذاك الساهي اللاهي الذي لا يتقرب بعمله من الله شبراً إذا ما تقرب الله إليه ذراعاً...؟!

عن أَنَسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ يَرْوِيهِ عن رَبِّهِ قال: "إذا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إلي

شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا وإذا تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا وإذا أَتَانِي يمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". (صحيح البخاري: ح ٧٠٩٨، ج٦/ص١٢٧٤١).

فهذه دعوة حقيقية رحيمة من الله تعالى لعباده كي يجدوا من خلالها مدخلا يقودهم إلى جنته دون إبطاء، إذا ما آمنوا ورسخ الإيمان في قلوبهم، لينبثق من بعدها العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى الذي يقع أجره وجزاؤه على الله سبحانه وتعالى وحده، فالإيمان هو الذي يحدد جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة، وهذه الأعمال لا تكتمل من حيث الأجر إلا إذا كانت مقترنة بالإيمان الصالح والإيمان اليقين.

وهذا ما يميز أعمال المؤمنين الصالحة عن غيرها من الأعمال الصالحة للكافرين، لأن الله سبحانه وتعالى يجازي الكافرين على أعمالهم الصالحة في الدنيا ويحبطها لهم ويحرمهم من أجرها في الآخرة، وذلك لأن أساس أعمالهم الصالحة لا ينبثق من الإيمان الخالص لله، وبذلك تكون أعمالهم حسرات في قلوبهم، ولا وزن لها.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة الكهف: الآية: ١٠٥.

أما أعمال المؤمنين الصالحة فهي الأعمال المنبثقة عن الإيمان اليقين الموصول بالله تعالى الذي تتوجه اليه القلوب بالعبادات والشعائر والاشراقات التي يستشعر معها القلب ويتهذب، لتتهذب من بعدها سائر الأعمال والقربات التي يتقرب المؤمنون من خلالها إلى الله تعالى الذي يدخلهم بها برحمته، فيدخلون معها جنته، فيرزقهم فيها من رزقه رزقاً غير مقطوع ولا ممنوع، ولا نصب فيه ولا وصب، ولا تكليف ولا لغوب، فهو رزق واسع ومبسوط من غير حساب، بعد يوم الحساب، يأتيهم به الله تعالى بكرة وعشيا، ولهم فيه ما تشتهيه أنفسهم، هنيئاً، جزاء بما كانوا يعملون.

قال تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ سورة الطور: الآية: ١٩.

٣٤- الجنة في سورة فصلت

قال جل وعلا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة فصلت: الآيات: ٣٠-٣٢.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾

تبدأ هذه الآية الكريمة بالإشارة إلى الحقيقة الكبيرة التي تكشف عن المعنى الحقيقي لمفهوم الإيمان السوي بالله تعالى من خلال الاعتراف له بالربوبية والوحدانية، ثم الاستقامة على هذا الاعتقاد وما يقتضيه من تكاليف واجبة في الأقوال والأفعال تحدد مسلك وسلوكيات الأفراد والجماعات المؤمنة، وما يترتب عنها من خير وفلاح وصلاح في الدنيا والآخرة نتيجة حُسن وصفاء هذا الاعتقاد. فلا يكفي أن نقول: ربنا الله... ثم نقف.... ثم نمضي ونقعد... فهذا الدين وهذا الاعتقاد ليس بدين قعود، ولا اعتقاد يشوبه القنوط والثبوط، إنما هو دين يقوم على أساس تنفيذ ما فيه من شعائر وعبادات، تتخللها اشراقات وسبحات إيمانية، تتهذب معها جوارح النفس المؤمنة خُلقياً وروحياً، فتسمو بها عن غيرها من سائر النفوس المكدرة والمقنعة التي تسير وراء ما تمليه عليها أهواؤها وشهواتها، فتكتفي بإقرار العبودية لله دون المضي في معنى مدلولاتها الوضيئة وغاياتها النبيلة.

ذكر القرطبي عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد أن تلا الآية الكريمة: استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب. (تفسير القرطبي: ١٥/٣٥٨).

فالاستقامة لا تقف عند حد الإقرار بالعبودية لله تعالى، ولا تنحصر في

الهويات الثبوتية أو في جوازات السفر.

فلا يكفي أن نقول أسلمنا وآمنا دون أن نسلم وجهنا لله وننقاد لأوامره وتعاليمه فنمضي ونسير بالطاعات، ونجتنب الحرمات، ونسير على النهج القويم دون انحراف أو اعوجاج وبذلك تستقيم النفوس وتطمئن القلوب باستقامة المشاعر والخوالج، فلا تميل مع الهوى ولا تتأرجح مع الريب والشك، وهذا كله بحاجة إلى يقظة دائمة ومعرفة تامة لحدود المسار القويم، وبحاجة إلى ضبط هوى النفس الإنسانية التي قد تجنح قليلا أو تميل كثيراً مع ملذاتها وشهواتها، فتنضبط كي لا يطول بها أمد الانحراف فتنجرف في طغيانها، فتتوه وتضل الطريق، فتتقطع بها السبل.

ومن هنا تتبين أهمية الاستقامة على النهج القويم في ظل الإقرار الحقيقي لمعنى الربوبية لله تعالى، والتي أمر بها الله تعالى نبيه الكريم وأمر بها من آمن معه وتاب وأناب:

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة هود الآية: ١١٢.

وبعد هذا التصور في مسار حقيقة العبودية الطيبة المقترنة بالاستقامة الصحيحة، تأتي البشرى والبشائر من الله تعالى لعباده ممن أقروا بحقيقة هذه العبادة، بأن تتنزل عليهم الملائكة - وبما يعنيه لطف التنزيل من رحمة ورأفة وغبطة - لتمسح بلطفها الجباه المؤمنة عند لحظات دنو الأجل، فتطرد ما يخالج نفسها من الخوف والكدر والوجل الذي ران على فؤادها فغشّاها بالهم، وأثقلها بالحزن على مفارقة الأهل والأحبة، ومما سيكون عليه المصير بعد انقضاء موعد الرحيل.

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

وبهذه المسحة اللطيفة تثبت النفوس وتهدأ القلوب وبما حفتهم به الملائكة من رحمة الله تعالى في تلك اللحظات العصيبة من سكرات الموت.

ثم تأتي الملائكة بعد حصول الأمان في نفوس هؤلاء المؤمنين، لتبلغهم بما

تطمئن به قلوبهم من بشارة الله تعالى لهم بالجنة التي كانت بوعده ليحققها لهم بعد يوم الحساب.

وهي بشارة مقدمة ومعجلة من الله تعالى تكشف عن حُسن الجزاء والمصير لهم، كي تنجلي عنهم الهموم والغموم والأحزان في مواقف ثلاثة، عند سكرة الموت، وعند وحشة القبر، وعند الجزع والفزع الأكبر يوم النشر والحشر.

قال البيضاوي: إن الملائكة تتنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة أن لا تخافوا من هول الموت، ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعد، وإنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها فلا تهولنك فإنما يراد بها غيرك. (حاشية البيضاوي: ٢٦١/٣).

فلا هم ولا غم بعد هذا اليوم، ولا حزن على ما قد ولى وفات من دنياكم، فما هو آت خير وأدوم لكم عند الله تعالى.

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾.

فنحن أولياؤكم في الدنيا وأعوانكم في أموركم، فنلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم.

وقد يكون في هذا المعنى مما يخالج أنفسنا من الشعور بالرضا والتوفيق في كثير من الأمور التي تأتي موافقة لما فيه من الخير في دنيانا وديننا.

ثم تستمر الصحبة والألفة لتشمل الولاية والعون في الآخرة لهؤلاء المؤمنين، بأن تتشفع الملائكة لهم من بعد أن تحفهم بكرامة وحفاوة الاستقبال، فتمدهم بالشفاعة، وتسأل الله سبحانه وتعالى أن ينجز وعده الذي وعده لهم من دخول الجنة، هذه الجنة التي كانت قد صورتها هذه الملائكة لهم، فرسمت معالمها حتى تاقت أنفسهم إليها، فاشتهتها ورغبت بما فيها من نعيم مقيم بلا نفاد، تُدعى اليه وتدعيه وتطلبه بكرةً وعشيا فلا يبقى في نفسها من ملذة إلا وجدتها فيما تشتهيه الأنفس وفيما تتلذذ به الأعين.

٣٥- الجنـة في سورة الشورى

ورد ذكر الجنة في هذه السورة فيما يلي من الآيات:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ سورة الشورى: الآية: ٧.

قال المفسرون: أي وكما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك يا محمد قرآناً عربياً معجزاً، بلسان العرب لا لبس فيه ولا غموض. (صفوة التفاسير: ٣/١٢٣).

بعد أن تقلبت الأيام والسنون والقرون الطويلة على دعوات أبي الأنبياء الأواه الحليم خليل الله ونبيه إبراهيم عليه السلام، تأتي مشيئة الله العزيز الحكيم لتلبي هذه الدعوات الطيبة، فالدعوة المستجابة تستجاب وإن طال عليها الأمد وتعاقبت عليها الأزمان والأجيال، فهي لا بد أن تتحقق في الأوان الذي يقدره صاحب المشيئة العزيز الحكيم، فبقدرته وحكمته شاء الله من أن تكون رسالته الأخيرة إلى عباده في نبيه الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

و﴿... ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ سورة الأنعام: الآية: ١٢٤.

لذا جاءت هذه الرسالة من تلك الدعوة المستجابة، لتبدأ بهذه الدعوة ومن تلك البقعة المباركة من مكة المكرمة أم القرى، ثم لتنطلق منها إلى ما حولها من بقاع الأرض في ذلك الوقت الذي وصلت فيه الأمة من ذرية إبراهيم عليه السلام حدا كبيراً من الجهل والكفر في المعتقدات والتقاليد التي وصلوا معها حد الشرك بالله، فعبدوا الأصنام لتقربهم من الله زلفى، ووأدوا البنات، خشية إملاق، واضمحلت مكارم الأخلاق فيما بينهم، وابتعدوا عن الله بعدا كبيراً واشتد كفرهم درجة على درجة. وحتى إذا ما وصلوا هذا الحد من الجهل والكفر، بعث الله سبحانه وتعالى بوحيه لرسوله محمد ﷺ، من ذرية إبراهيم وإسماعيل، يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

وأوحى اليه بهذا القرآن العربي المصدق لما قبله من الكتب السماوية، رحمة وبشرى للمحسنين، وتهديداً ووعيداً للظالمين.

قال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة الأحقاف: الآية: ١٢.

ليطهرهم به من الأرجاس والأدناس التي كانوا عليها من قبل، فكان أن نزه النبي الأمين الله تعالى عما أشرك به، وحطم أصنامهم، وتمم مكارم الأخلاق فيهم، وجعل للأمهات والبنات مكانة طيبة من الاحترام والإكرام، وساوى بين الناس، بين قويهم وضعيفهم في ميزان الحق والعدل، وجعلهم سواسية كأسنان المشط، لا فرق فيما بينهم أمام الله تعالى إلا بالتقوى.

عن أَبِي نَضْرَةَ حدثني من سمع خُطْبَةَ رسول اللهِ ﷺ في وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فقال: "يا أَيُّهَا الناس أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلا لَا فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلَا لعجمي على عربي وَلَا لأَحْمَرَ على أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ". (مسند أحمد بن حنبل: ح ٢٣٥٣٦/ج٥/ص٤١٠).

وبالرغم من أن هذا القرآن وبما يحويه من خير يشع بالهدى ونور الحق والطريق السوي القويم، إلا أن أتباعه ممن يسيرون خلف تعاليمه ومبادئه من المؤمنين قد لاقوا عناداً وتكذيباً ومقارعة من قبل ذلك الفريق، ممن أخذتهم العزة بالإثم من صناديد قريش وأمثالهم، الذين استكبروا وكابروا، وآذوا أتباع النهج القويم، مع علمهم صحة وصدق هذا الدين وما جاء به من التعاليم.

وكان أول من أوذي في سبيل الله ومنذ اليوم الأول للدعوة هو الرسول الكريم محمد ﷺ، يوم أعلن لأهل مكة عما خصه الله تعالى واصطفاه به عن سائر الخلق من أن يكون بشيراً ونذيراً للعالمين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ ... خرج النبي ﷺ حتى صعد على الصفا فنادى يا صباحاه.

فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا محمد.

فاجتمعوا اليه فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو

فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عايكم أكنتم مصدقي قالوا: نعم.

ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ المسد: الآية: ١. (الدر المنثور: ٦/٣٢٦).

ولما آمنت هذه الأمة، ورسخ الإيمان في قلبها، أصبحت خير أمة أخرجت للناس، لتخرج بهذا الإيمان من مكة المكرمة - أم القرى - لما حولها من القرى، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فحملت راية الحق والدين وشرقت بها وغربت، ونشرت مبادئ الدين الحنيف وقدمته للبشرية بنظامه الرحيم بهذه الإنسانية، بالرغم مما يقوم به في كل مرة أتباع الباطل من أعمال خبيثة ودنيئة، منها ما هو في الخفاء، ومنها ما هو في العلن ضد هذا الدين القويم، وضد أتباعه المؤمنين، مستغلين سلطتهم وسطوتهم في تنفيذ مآربهم وغاياتهم.

ولكن مهما طال غيّ الباطل وسطوته وبطشه، لا بد من أن يقع عليه الحق فيدمغه ويزهقه، كلما جاءت عليه مشيئة الله تعالى وعند كل مرة، لترتفع من جديد راية الحق في أقطار الأرض، فتقيم العدل والمساواة بين فئات البشرية، وتهديهم إلى الصراط المستقيم، وتنذرهم يوم الجمع، يوم يحشر الله الناس ويجمعهم من بعد تفرقهم على مدار الأزمنة والأمكنة، ليفرقهم من جديد: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾، بحسب أعمالهم وإيمانهم في حياتهم الدنيا.

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢ ﴾ سورة البقرة: الآيتان: ٨١ - ٨٢.

ب. قال عز وجل:

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الشورى: الآية: ٢٢.

تصور هذه الآية الكريمة مشهدين مختلفين من مشاهد يوم القيامة، لفريقين مختلفين من العباد، اختلفت أعمالهم في الحياة الدنيا، فاختلفت عاقبة وجزاء كل منهما في الحياة الآخرة.

فتبدأ الآية الكريمة بكشف الستار عن مشهد الظالمين من الفريق الأول الذين استحقوا العذاب الأليم، فتعرضهم في مشهد حي شاخص مليء بالتأثيرات الحسية والنفسية السيئة، بعد أن أدركوا وأيقنوا ما هو واقع بهم لا محالة من الجزاء نتيجة ظلمهم أنفسهم وبما كسبته أيديهم من سيئات أعمالهم في الحياة الدنيا.

فتراهم اليوم مشفقين خائفين، مترقبين بهلع وجزع ما سوف يحل بهم من يقين عذاب هذا اليوم العظيم بعد أن أجرموا بحق أنفسهم فظلموها ظلما كبيراَ.

قال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الكهف: الآية: ٥٣.

فلا مجال اليوم للتكذيب أو الاستهزاء بهذا العذاب كما كانوا من قبل في الحياة الدنيا، فاليوم هو أمامهم، لا مفر منه ولا مناص، ولا رجعة ولا عودة للخلاص من سيئات ما اكتسبوا من خطايا أعمالهم التي زينها الشيطان لهم فحسبوها مغنماً ومكسباً لهم، فكان أن أوردتهم هذه الأعمال هذا الورد المشؤوم من الخوف والهلع من ذلك العذاب الأليم الذي قدره الله تعالى لهم في ذلك اليوم العظيم.

قال المفسرون: والجزاء نازل بهم يوم القيامة لا محالة، سواء خافوا أم لم يخافوا. (صفوة التفاسير: ٣/١٢٨).

وبهذا الجزاء تسدل الآية الكريمة الستار عن هذا المشهد الأليم من مصير الظالمين، لترفع الستار عن مشهد الرخاء والنعيم للفريق الآخر من العباد الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات، وأيقنوا بهذا اليوم وصدقوه حق تصديق فعملوا من

الصالحات ما ينجيهم من العذاب الأليم ويدخلهم تلك المنازل الرفيعة النزيهة من الجنات، جنات رب العالمين. فتعرضهم الآية في مشهد حي كما عرضت من قبل مشهد الظالمين من الفريق الأول ولكن هذه المرة بتأثيرات حسية ونفسية مختلفة تماما عما عرضته سابقا، فهو مشهد مليء بالتأثيرات الحسية والنفسية التي تغمرها أحاسيس الفرح والسرور بهذا الجزاء الطيب من الله تعالى لهم، إذ أكرمهم الله تعالى وأدخلهم جناته وخصهم منها بأطيب أماكنها وأنزهها وأعلى بقاعها، فهي أماكن شريفة عالية الدرجة، ليتميز بها هؤلاء المؤمنون ممن آمنوا بالله وعملوا الصالحات عمن سواهم من سائر فئات المؤمنين الأقل درجة من حيث قوة إيمانهم ومن حيث صفة إعمالهم الصالحة.

فهم مستقرون في تلك الروضات من جنات النعيم عند ربهم، ولهم فيها كل ما تشتهيه أنفسهم من ملذاتها ونعيمها، ولهم فيها ما يشاءون وما يدعون من فضل الله عليهم، هذا الفضل الكبير الذي نجاهم به الله من هلع وفزع العذاب الأليم، والذي بفضله أيضاً أدخلهم هذه الروضات من جناته... جنات النعيم.

قال القرطبي: أي الفضل الذي لا يوصف، ولا تهتدي العقول إلى حقيقة صفته، لأن الحقَّ جلّ وعلا إذا قال " كبير" فمن ذا الذي يقدر قدره؟ (تفسير القرطبي: ١٦/٢٠).

٣٦- الجنـة في آيات سورة الزخرف

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الزخرف: الآيات: ٦٩-٧٣.

تحمل هذه الآيات الكريمة في طياتها بشارات جمة لما أعده الله تعالى من النعيم في جناته لهؤلاء المؤمنين، الذين آمنوا به وبآياته فأسلموا له وجوههم وأنفسهم فقادوها في طاعته ومرضاته.

فتبدأ الآيات بالبشارة الأولى لهذه الفئة المؤمنة وهي الإذن لهم بدخول الجنة، ثم تبدأ بالبشارة الثانية مباشرة لتزيد من فرحهم سعادة وغبطة تتحرك معها قسمات وجوههم، فيبدو عليهم الحبور، فهم اليوم في الجنة برفقة زوجاتهم سواء أكنّ من حوريات الجنة، أم كن ممن تزوجوهن في الحياة الدنيا، وكن بدورهن مؤمنات صالحات بعد أن نزع الله تعالى من قلوبهن نار الغيرة والحقد والحسد من النساء الأخريات، فزوجات المؤمن في الجنة كثيرات ومتعددات، متحابات فيما بينهن، لا همّ ولا شغل لهن إلا كيف يسبغن المزيد من السعادة والهناء على حياة أزوجهن، وهذه هي البشرى الثالثة لهؤلاء المؤمنين المتمثلة في هذه الحياة الهادئة السعيدة الخالية من الهم والنكد والحسد في ظل هذه الزوجات الطاهرات، طهارة معنوية وروحية.

أخرج ابن عساكر عن حاطب بن أبي بلتعة سمعت رسول الله ﷺ يقول "يزوج المؤمن في الجنة اثنتين وسبعين زوجة من نساء الآخرة واثنتين من نساء الدنيا" (الدر المنثور: ١/٩٩).

وأخرج البيهقي في البعث عن أبي عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله ﷺ "يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلانبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى لمن كان لنا وكنا له". (الدر المنثور: ١/٩٩).

ويعطى المؤمن من أهل الجنة من القوة ما تمكنه من أن يأتي جميع نسائه:

عن أَنَسٍ عن النبي ﷺ قال: "يُعْطَى الْمُؤْمِنُ في الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا من الْجِمَاعِ قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ أويطيق ذلك قال يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ". (سنن الترمذي: ح٢٥٣٦ /ج٤/ص٦٧٧).

ثم تتوالى البشارات لتشمل حفاوة الإكرام وكرم الضيافة بتقديم ما تشتهيه الأنفس لهؤلاء المؤمنين من فنون الملاذ التي تتلذذ بها الأعين وتقر بمشاهدتها.

فيطاف عليهم بالطعام والشراب من دون أن يأتوه في آنية جميلة جذابة من الذهب تبعث في نفوسهم ما في المتعة النفسية من راحة وترفيه، بعد أن كانت هذه الآنية من صحاف الذهب محرمة عليهم في الدنيا، واليوم هي مباحة لهم ليأكلوا بصحافها ويشربوا من أكوابها فلا شيء ممنوع ولا مقطوع عليهم في هذه الجنة.

والصحاف هي ما يشبه القصعة من آنية الطعام، بينما الأكواب فهي ما يعرف بالكيزان الخاصة بالشرب إلا أنها من غير يد أو عري تحمل بها ليتسنى لأهل الجنة الشرب منها من أي مكان يريدونه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها تجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون إخوانا على سرر متقابلين". (الترغيب والترهيب: ح٥٦٤٠/ج٤/ص٢٩٧).

ثم تستمر البشارة لهؤلاء المؤمنين فتنتقل من شهوة المنكح، وشهوة الطعام

والشراب وما اتصل بهما مما اشتهته أنفسهم، إلى اللذة الكبرى التي تطغى على سائر متعهم، وهي النظر إلى وجه الله تعالى الكريم.

وشتان ما بين ما تشتهيه الأنفس وبين ما تتلذذ به الأعين، عندما يكشف الله تعالى الحجاب، فيراه أهل الجنة، ويخاطبهم بخطابه الرحيم الذي يبشرهم به بالخلود في نعيم هذه الجنة، وذلك إتماماً لهم لهذه النعمة، وإكمالاً لسرورهم في الجنة التي حقق لهم وراثتها جزاء وفاقاً، وبما كانوا يعملون.

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله في النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة وذلك قوله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ ﴾". (الدر المنثور: ٧/٣٩٤).

ثم تأتي البشرى الأخيرة لهؤلاء المؤمنين لتعود على بشرى متعة وشهوة الطعام وما فيه من لذة، ولكن هذه المرة جاءت لتكشف عما في الجنة من متعة واستمتاع بلذيذ ما تحويه من أصناف الفاكهة المتوفرة بسائر أشكالها وأنواعها.

والفاكهة كما يعرف حالها في هذه الدنيا تعتبر من الكماليات التي عادة ما تتناول بعد وجبات الطعام، والتي يأتي تناولها حسب توفرها وقبل نفاد حصادها. ولكنها جاءت هنا في الجنة لتدل على النعيم الذي عليه أهل الجنة من توفر جميع ما تشتهيه أنفسهم من كماليات هذه الفاكهة في كل وقت شاءوا، فهي كثيرة، وفي كل مكان، لا تقل ولا تنفد، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وكل شجرة منها مثمرة وفي كل حين، وإذا ما قطف المؤمن منها ثمرة ليأكلها، عادت مكانها ثمرة أخرى مثلها.

أخرج البزار والطبراني **عن ثوبان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد في مكانها مثلها"**. (تخريج الأحاديث والآثار: ج١/ص٥٥).

وجاء في تفسير أبي السعود نحو هذا الحديث. (انظر: تفسير أبي السعود: ٥/ ٤٩).

٣٧- الجنة في آيات سورة الدخان

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة الدخان: الآيات: ٥١ - ٥٧.

تبين الآية الكريمة المقامة والمكانة اللتين وصل إليهما عباد الله المتقون يوم الآخرة، فهم اليوم ﴿ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ من هذه الجنة، لا شيء يجزعهم أو يفزعهم فيكدرهم، فكل جزع وفزع في هذا اليوم ومع هذا المقام قد ولّى وانقضى، فلم يعد هناك خوف من بطش ظالم كما في الحياة الدنيا، ولا كيد عدو غاشم يقتل ويسلب وينهب ويضيق سبل الرزق والعيش الكريم، ولا خوف من زلازل أو براكين قد تأتي فجأة دون سابق إنذار، أو أمواج عاتية تغمر أمواجها البشر قبل التراب والحجر، ولا وجل قد يأتي مع قول كلمة حق في وجه إمام جارَ فخرج عن النهج ففسق، ولا قلق قد يأتي مع لحظات انتظار عصيبة لطالب علم جدّ في علمه واستعد، وانتظر نتيجة ما إليه قد أعد، ولا هم ولا حزن ولا قلق قد يأتي مع طيش وحوادث الطرق، ولا خوف من زوال نعمة، أو أن ينقلب خيرها إلى نقمة، ولا خوف من دنو الأجل أو من عذاب القبر، ولا فزع يوم العرض ويوم الفزع الأكبر، ولا خوف بقي أمام ميزان الأعمال، فكل هذا الخوف والفزع قد ذهب وولى بلا عودة والى زوال، وحذف من قاموس الجنة ودوّن مكانه الأمن والأمان، والحمد والثناء.

قال المفسرون: هم في موضع إقامة يأمنون فيه من الآفات والمنغصات والمكاره، وهو الجنة. (صفوة التفاسير: ٣/١٦٥).

فالمتقون اليوم في أمن وأمان تام، في دار كل ما فيها سلام بسلام ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة يس: الآية: ٥٨. وسلام من ملائكة قدسه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الزمر: الآية: ٧٣.

والأمن والأمان والسلام في الجنة من المتع الحسية والروحية لأهل الجنة، والتي يجدون فيها الراحة النفسية التامة، والطمأنينة، فلا يعود يشغلهم معها شيء قد يبعدهم أو قد يقلل من مدى استمتاعهم وتلذذهم بنعيم الجنة، فهم آمنون، مطمئنون بهذا النعيم " في جنات وعيون " متنعمون بجمال بساتينها، وأشجارها الوارفة، وجمال طبيعتها، ولذة عيونها وشرابها المتعدد والمتلون، من الماء، واللبن، والعسل، والخمر.. الخ.

وفوق هذا الجمال وعلاوة على تنعمهم يأتيهم ما يزيدهم جمالاً ونعومة وهو جمال ونعومة ما يلبسونه من جميل ونعومة الحلل والثياب ما رق منها وما غلظ، والتي هي من أفخم أنواع الحرير. فهم ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾، و﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ في مجلسهم بمقابلة أسرتهم، يتحادثون، ويتحاورون، ويتذاكرون واقع الحال الذي كانوا عليه في الحياة الدنيا، والحال الذي آلوا إليه يوم الآخرة من نعم ونعيم الجنة، وليس هذا وحسب ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ لتكتمل لهم فرحة ونعيم الأمن والأمان في ظل البساتين وجمال العيون وفرحة ونعيم اللباس الفاخر ولذة وحلاوة المسامرة والمذاكرة، مع نعمة وفرح ما تسكن إليها النفوس وتهواها، وما تتلذذ بها العيون وتعشقها، فأزواجهم من حور العين ذوات الحسن والجمال، اللواتي ليس لحسنهن وجمالهن مثيل، فهن واسعات الأعين، سوداوات الحدقة، شديدات سواد الشعر، شديدات بياض البشرة، وبشرتهن نقية وصافية بصفاء الياقوت وبياض المرجان.

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك أن الله يقول ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ

وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه". (انظر: سنن الترمذي: ح٢٥٣٣/ج٤/ص٦٧٦. الدر المنثور: ج٧/ص٧١٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل. (الدر المنثور: ١/٩٩).

وقد خلق الله تعالى الحور العين من الزعفران:

عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ: "خلق الحور العين من الزعفران". (تفسير أبي حاتم: ح١٨٥٥٩/ج١٠/٣٢٩٠).

وخلاصة ما هن عليه من الحسن والجمال نجده فيما **أخرجه أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله ﷺ يقول "لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت الأرض ريح مسك"**. (الدر المنثور: ١/٩٩).

وفيما أخرجه عن أنس انه قال: **قال رسول الله ﷺ :".. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها"**. (الدر المنثور: ١/٩٩).

ثم إن مهور هؤلاء الحسان من حور العين ليس كمهور هذه الدنيا التي لا يقدر عليها الكثير من الشباب بسب ارتفاعها وغلائها، إنما هي أشياء وأعمال يسيرة على كل مؤمن سواء أكان من أصحاب الدثور أم لا، وكما تبينه الأحاديث الشريفة التالية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال " مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز". (تفسير القرطبي: ١٦/١٥٣).

وعن أبي أُمَامَةَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "من قَدِرَ على طَمَعٍ من طَمَعِ الدُّنْيَا فَأَدَّاهُ وَلَوْ شَاءَ لم يُؤَدِّهِ زَوَّجَهُ اللهُ عز وجل مِنَ الْحُورِ الْعِينِ حَيْثُ شَاءَ". (المعجم الكبير: ٨/٢٣٨).

وأخرج الأصبهاني عن أنس قال **"قال رسول الله ﷺ كنس المساجد مهور الحور العين"**. (الموضوعات: ج٢/ص٤٢٥).

وروى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء، إذا مشت، مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها، وعن يسارها كذلك، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ (عمدة القاري: ج١٤/٩٤).

ومع هذا الجمال والكمال لأهل الجنة، يعود ويضاف إليهم أيضاً جمال الكرم والإكرام الأصيل، فهم ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾. فهم أصحاب البيت، يطلبون ما يشاءون وما يريدون دون خجل أو تردد، ودون أي قيد أو شرط، فلهم الحق في طلب ما تشتهيه أنفسهم من أنواع الفاكهة، وكل ما يخطر على بالهم منها، فهي كثيرة ومتعددة، ولا خوف من نفادها أو ذهاب موسم حصادها... فكلوا منها بأمان واطمئنان وكما أنتم آمنين ومطمئنين في هذا المقام الأمين.

قال المفسرون: أي يطلبون من الخدم إحضار جميع أنواع الفواكه في الجنة، لأجل أنهم آمنون من التخم والأمراض، فلا تعب في الجنة ولا وصب. (صفوة التفاسير: ٣/١٦٥).

والملاحظ هنا، أن متعة تناول الأُكل لا يمكن أن يتلذذ بها الإنسان أو أن تكتمل له من دون وجود وحصول الأمن والأمان والطمأنينة، لذا فإن الشعور بالأمن شيء ضروري جداً ومهم مع تناول الرزق، والجنة كلها أمن وسلام حتى عند تناول كماليات ما فيها من الفواكه المختلفة ألوانها، وغيرها من سائر الرزق.

ثم يضاف لأهل الجنة علاوة على ما هم عليه من الأمن والأمان، أمن من نوع آخر، لم يعهدوه ولم يتحقق لهم في حياتهم الدنيا، يظهر منه روح البقاء والاستمرارية والخلود، فهم ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

فكلوا واشربوا، وتنعموا يا أهل الجنة، واخلدوا فيها إلى الأبد، فعهد الموت قد انتهى، ولا موت بعد موتتكم الأولى في الحياة الدنيا، ولكم ها هنا حياة أبدية طيبة وآمنة بعد أن نجّاكم رب العزة ووقاكم عذاب الجحيم، بفضله وكرمه.

وبذلك تطيب الحياة ويطيب النعيم لأهل الجنة بعد أن جمع الله تعالى لهم

في هذه الجنة المتع الحسية مع المتع الروحية من حسن المنزل والمقام، وحصول الأمن فيها من كل مكروه في ظل لذة الثمار وجمال العيون الجارية بلذيذ الشراب، وكمال الملبس واللباس، وكمال العشرة وحلاوة المقابلة في الأحاديث، وتمام اللذة بالحور العين، وما يدعون اليه من سائر أنواع الفكاهة، مع أمنهم وعدم خوفهم من نفادها وانقطاعها، أو مضرتها وغائلتها، وختام هذا النعيم هو البقاء والخلود الأبدي مع هذه النعم، فهم الآن علموا بأنهم لا يذوقون الموت بعدة موتتهم الأولى في الحياة الدنيا.

وكل هذا النعيم المخصص لأهل الجنة إنما هو ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ﴾ وليس لأحد قدرة على أن يأتي ولو بأقل من هذا الفضل فنعيم الجنة ليس كمثله نعيم، ولا يجاريه فضل من فضل الدنيا، وهذا النعيم وهذا الفضل إنما ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ فهو فوز بالنجاة والوقاية من الجحيم كما هو فضل وتفضل من الله تعالى على هؤلاء المتقين، وهذا هو الفوز العظيم. وفي هذا المقام، فليتنافس المتنافسون وليتسابق المتسابقون، وكفى.

٣٨- الجنة في سورة الجاثية

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الجاثية: الآية: ٣٠.

تتناول هذه الآية الكريمة بيان ما وصل اليه فريق الذين آمنوا من عباد الله من ثواب يوم القيامة من بين سائر الأمم، وعلى مختلف الأزمان ومر العصور. فكل أمة تراها جاثية بانتظار ما سوف يدعو اليه كتابها من جزاء أعمالها.

فهذا هو جزاء الله تعالى وثوابه لهذا الفريق المؤمن، الذي صلحت أعماله الطيبة بصلاح إيمانه اليقين، فهم في هذا اليوم العظيم يلقون الجزاء العادل من الله تعالى، فيشملهم برحمته التي خصصها لهم يوم القيامة، لتقودهم إلى نعيم جناته. ولولا رحمة الله تعالى بهؤلاء المؤمنين ما نجوا من النار ولا دخلوا جنته مهما بلغت منزلة وعظم عملهم.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قالوا يا رَسُولَ اللهِ ولا أنت قال ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَةٍ منه وَفَضْلٍ". (صحيح مسلم: ح ٢٨١٦/ج٤/ص٢١٧٠).

فالمؤمن بعمله الصالح يصل إلى رضا الله تعالى الذي يرضى به الله عنه، فيتفضل عليه، ويرحمه برحمته، في الدنيا والآخرة، فرحمة الله تعالى واسعة، وسعت كل شيء.

عن أبي هُرَيْرَةَ قال سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ في مِائَةِ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ في الأرض جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذلك الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حتى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عن وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ". (صحيح البخاري: ح ٥٦٥٤/ج٥/ص٢٢٣٦).

وفي رواية له أيضاً: "أن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده

تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار".

فإذا ما كانت الرحمة التي نراها في الأرض والتي شملت كل الخلائق تساوي واحداً في المائة من رحمة الله تعالى، فكيف برحمته تعالى في الجنة التي تساوي تسعاً وتسعين. وهي الرحمة التي خصها لعباده المتقين، فكتبها لهم يوم الآخر لتكون لهم دون غيرهم من سائر العباد.

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ١٥٦.

وقال تعالى: ﴿... وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ سورة الأحزاب: الآية: ٤٣.

فالكافرون لا تشملهم رحمة الله يوم القيامة، ولا يبقى لهم حظ منها، لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا ما اكتملت في هذا اليوم كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين.

ورحمة الدنيا يُتبعها ويُلحقها الله سبحانه وتعالى إلى ما أمسك عنده من الرحمة يوم القيامة لتكتمل رحمته تعالى إلى المائة رحمة. وعدد هذه الرحمات جاء ليكون مناسباً ومساوياً لعدد درجات الجنة والجنة هي ثواب الرحمة لعباده المؤمنين، فكأن كل رحمة تكون بإزاء كل درجة من درجات الجنة. وبهذه الرحمة يهدي الله تعالى عباده إلى الأعمال التي ينالون بها منازل رحمته.

وعليه يمكن القول إن الله سبحانه وتعالى لو اختص المؤمن يوم القيامة برحمة واحدة من المائة رحمة التي يملكها، فإن هذا المؤمن يكون أدنى أهل الجنة منزلة ودرجة، وإن نال من الله المائة رحمة، كان أعلى أهل الجنة درجة ومنزلة.

قال الحسن: "يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم". وقال: "ينادي مناد من تحت العرش: يا أمة محمد، أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات، فتواهبوها فيما بينكم،

وادخلوا الجنة برحمتي..". (الكشاف: ١/٤٤٥، وانظر: إحياء علوم الدين: ٤/٥٤٥).

وفي هذا ما يحث المؤمن على الثبات على الإيمان وتقوية أواصره في نفسه، ليصل إلى عظيم رحمة الله تعالى، بعد أن يعلم أن رحمة الله التي هي في الدنيا ما هي إلا شي بسيط ويسير بالنسبة إلى رحمة تعالى في الحياة الآخرة. وفي ذلك أيضاً ما يحث المؤمن على زيادة الإيمان واتساع الرجاء في نيل رحمات الله تعالى المؤجلة والمؤخرة، وبذلك يبقى المؤمن يتلّمس بأعماله وقرباته مواضع رحمة الله كي تناله جميعها...

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾

ففي هذه الرحمة، حافز كبير وعظيم لرفع همم المؤمنين الذين يرجون رحمة الله تعالى في الآخرة، ويرجون من الله أن تنالهم سائر رحمته، فيفوزوا بها ذلك الفوز الجلي المبين.

قال المفسرون: أي الفوز البيّن الظاهر الذي لا فوز وراءه. (صفوة التفاسير: ٣/ ١٧٥).

٣٩- الجنة في آيات سورة الأحقاف

ورد ذكر الجنة في هذه السورة من خلال الآيات التالية:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ **سورة الأحقاف: الآيتان: ١٣ - ١٤.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

قال المفسرون: أي جمعوا بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على شريعة الله. (صفوة التفاسير: ٣/١٨١).

ابتدأت هذه الآية الكريمة بهذه التوجيهات الإيمانية الربانية، وكما قد ابتدأت بها من قبل من سورة فصلت في الآية (٣٠) منها، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾.

فجاءت هذه التوجيهات وتكررت من جديد كي تبين الحقيقة العظمى للمفهوم الإيماني الحقيقي الذي لا يقف عند حد النطق بالشهادتين أو الاكتفاء بقول ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ دون أن تكون هناك استقامة وثبات عليها من خلال السير على نهجها، واتباع طريقها القويم في النية والقول والعمل.

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ". (صحيح ابن حبان: ح٩٤٢/ج٣/ص٢٢١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال قال رسول الله ﷺ: "قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ قالوا يا رَسُولَ اللهِ ولا أنت قال ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ

منه وَفَضْلٍ". (صحيح مسلم: ح ٢٨١٦/ج٤/ص٢١٧٠).

فالكلمات الاعتقادية في هذا الدين ليست مجرد أقوال وألفاظ، أو حتى شعارات تطلق في كل حين، من أجل جلب منفعة شخصية دنيوية زائلة، ثم تعود لتغادر شفاه من يتلفظون بها، دون أن تؤثر أو تلقي أي أثر في حياتهم، حتى إذا ما انتهت هذه المنفعة، ليعودوا من بعدها ومن جديد، وكما في كل مرة ليحيوا ويعيشوا على منهجهم الجاهلي شبه الوثني بأقوالهم وأفعالهم التي يمقتها الله.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ سورة الصف: الآيتان: ٢ - ٣.

فالكلمات الاعتقادية إنما هي النهج القويم لهذه الحياة، والتي من خلالها تلتقي الأقوال والأعمال والنيات معاً. فلا تكتفي بالأقوال دون الأعمال، وإذا ما اجتمعت هذه، فإنها لا تكتمل ولا تصلح إلا باستحضار النيات التي تتحدد معها الوجهة والغايات....

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: "**سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر اليه**". (صحيح البخاري: ح/١، صحيح مسلم: ح/١٩٠٧).

ثم تعود الآية الكريمة لتكرر الحقيقة التي تنتظر أولئك المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾.

إنها الحقيقة الإلهية المناسبة التي شاءها الله لهم، المتناسبة مع ما قد حفهم به طريق الاستقامة على النهج من خوف وحزن بفعل الجواذب والدوافع والمؤثرات، لتأتي هذه النفحة الربانية الرحيمة كي تمسح عن جباه هؤلاء الصفوة المختارة قطرات الخوف والوجل التي تراكمت عليها، فبعثت في نفوسهم وقلوبهم بوادر الهم والحزن... فتتنزل الملائكة بأمر ربها فتداعب بكلماتها الرقيقة المطمئنة تلك القلوب المؤمنة التي ران عليها الخوف والحزن. لتجد تلك القلوب في تلك

الكلمات الحصن الدافئ الآمن، والحصين من كل الأهوال والمخاوف التي تأتي مع قدوم الأجل، وما يرافقها من أحزان نتيجة مفارقة الأهل والأحباب، فتنقلب كل هذه المشاعر مع تلك الكلمات إلى أفراح وسرور بعد معرفة حسن الجزاء والمصير، فلا تعود تخشى عذاب القبر، ولا تجزع من هول يوم الفزع الأكبر، فهي قلوب: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أصحاب الأمن والأمان وأصحاب النعمة والنعيم، وما تحويه من البساتين العظيمة الخالدة كما هم ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ دون فناء أو جلاء أو قلة لما فيها، وهذا كله لهم ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ومكافأة لهم نتيجة حسن إيمانهم وحسن استقامتهم.

ب. قال سبحانه وتعالى:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الأحقاف: الآية: ١٦.

إن التعاليم الإيمانية لهذا الدين الحنيف هي التي هذبت النفوس المؤمنة، وربتها التربية السليمة على مبادئ الطاعة، والسماحة، وروح المبادرة لفعل واستباق الخيرات، إضافة لما تقوم به من شعائر هذا الدين، فتراها تتحرك هنا وهناك باحثةً عن فضائل ومحاسن الأعمال - ومن أهم هذه الأعمال برّ الوالدين - فتتدافع وتتنافس في الوصول إليها، وتطلب الرجاء من الله تعالى في العون والمعونة والتوفيق للقيام بها على أحسن وأكمل وجه يرضاه الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ.... ﴾ سورة الأحقاف: الآية: ١٥.

فتجد المؤمنين يتسابقون ويتساءلون بشغف لمعرفة هذه الأعمال، فيقبلون على معلمهم ومرشدهم النبي الكريم ليسألوه عنها، كي يقبلوا عليها فيتبعوا طريقها الذي فيه رضا الله تعالى وجنته.

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ:

أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها" قلت: ثم أيٌّ؟ قال: "برّ الوالدين " قلت: ثم أيٌّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله " متفق عليه. (صحيح مسلم: ح ١٥١٠. صحيح البخاري: ح ٥٦٢٥/ج٥/ص٢٢٢٧).

ولقد كان النبي الكريم حريصاً على أن يرشد أمته إلى فضائل الأعمال التي تحط عنها خطاياها وترفع لها درجاتها عند الله تعالى.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال "كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه فقلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه فقال كف عنك هذا فقلت يا رسول الله وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم". (الدر المنثور: ٥٤٧/٦).

ومن كرم الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين أن هيأ، وأوجد، وعَدَّدَ، ونوَّع لهم الأعمال الصالحة التي توجب مرضاته وتدخلهم رحمته، فيتقبل منهم هذه الأعمال الصالحة، ويتجاوز بها عن سيئاتهم، ويستبدلها لهم حسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ سورة هود: الآية: ١١٤.

فإذا ما ذهبت السيئات واستبدلت بالحسنات نتيجة حسن الأعمال، فإن الله تعالى يقابل حسن هذه الأعمال بحسن الجزاء والمآل إلى جنته ليكون هؤلاء المؤمنون مع أصحابها الأصلاء، هذه الجنة التي وعدهم بها وعداً مصدقاً في الدنيا، وأوفاهم إياها يوم القيامة.

٤٠- الجنة في سورة محمد

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ سورة محمد: الآيتان: ٥-٦.

إن القلوب التي تخلو من الإيمان لا تدرك حقيقة وجودها على هذه الأرض فتراها تعيش مضطردة، وفي كبد وكدح فادح، فلا تعرف أي معنى من معاني السعادة والطمأنينة، ولا تجد فيما يلفها من وسائل الراحة والتسلية والترفيه ما يملأ عليها فراغها الروحي، فتعيش في وحدة موحشة خانقة قد تضعفها وتدفعها إلى الهاوية والى ما فيه أجلها، فتقدم على الانتحار لتتخلص من عذابها وآلامها التي لم تتوصل معها إلى العلاج الذي يبرئها ويدفع عنها ويلاتها.

وإذا ما اطلعنا على نسب الانتحار والأمراض النفسية في الدول المتقدمة التي لا تحكمها القيم والمبادئ الإيمانية الربانية السليمة، لتجد أنها مرتفعة جدا، على الرغم مما يحيط بها من رخاء وتقدم، نتيجة غياب ما يغذي قلوب وأرواح أفرادها من الومضات الإيمانية الحقيقية التي تنير لها الطريق من أمامها ومن حولها فتهتدي ببريقها سبيل الرشد والرشاد، وإلا فما الذي فعله التقدم والرخاء مع سيدة العالم الأولى - وكما ينظر إليها العالم ويسميها - ليمنعها ويصدها عن محاولات الانتحار المتكررة، فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ (٢١/٤/١٤١٥ هـ)، نقلا عن مذكرات عقيلة الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش)،: أنها حاولت الانتحار أكثر من مرة، وقادت السيارة إلى الهاوية تطلب الموت مظانه، وحاولت أن تختنق. انتهى. (انظر: لا تحزن، للدكتور عائض القرني: ص٢٤٨).

ولمّا كان الله تعالى هو الخالق لهذه النفس البشرية والعالم بطبيعتها وما يخالج قلوبها، فقد مَنّ عليها بنور هديه، فأرسل إليها بوحي رسالاته السماوية كي

تستنير قلوب من شاء الله لها أن تهتدي، فينكشف لها الطريق وتتضح معالمه التي تبعث عليها الطمأنينة وراحة وصلاح البال.. وصلاح البال نعمة كبرى من الله تعالى على عباده المؤمنين، فمتى صلح البال، استقام الفكر والشعور وارتاحت وهدأت الأعصاب، ورضيت النفس، وتنعمت بنعمة الأمن والاستقرار بالرغم من كل ما قد يبرز من أمامها من صعاب، ومهمات قد تكون فيها بعض المشقة والمجاهدة التي يأتي معها الشعور بالأرق والتردد والخوف، ولكن سرعان ما يزول ويتبدد هذا الشعور، إذا ما عادت وتمسكت بهدي الله تعالى، لتعود من جديد قوية، فتقدّم الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وتجاهد في سبيله حق جهاده بكل معاني الجهاد، وسائر أشكاله.

وأصحاب هذه النفوس وشاكلتها هم من ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ الله تعالى: ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ حتى إذا ما هادوا واهتدوا وصلح بالهم، ليعود الله بهم يوم القيامة ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ فيعرفون هذه الجنة قبل أن يدخلوها.

عن قيس الجذامي قال: **قال النبي ﷺ: "يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ من دَمِهِ يُكَفَّرُ عنه كُلُّ خَطِيئَةٍ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ"**. (مسند أحمد بن حنبل: ح١٧٨١٨/ج٤/ص٢٠٠).

وفي حديث آخر وبنفس المعنى، وفيه ما ينص على رؤية الشهيد لمقعده من الجنة:

عن أبي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال قال رسول اللهِ ﷺ: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ من النَّارِ فَيُحْبَسُونَ على قَنْطَرَةٍ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فيقتص لِبَعْضِهِمْ من بَعْضٍ مَظَالِمُ كانت بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا حتى إذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الْجَنَّةِ منه بِمَنْزِلِهِ كان في الدُّنْيَا". صحيح البخاري: ح٦١٧٠/ج٥/٢٣٩).

ولا نزيد على ما جاء في هذين الحديثين الشريفين من تعريف الله تعالى

الجنة لعباده الذين هداهم وأصلح بالهم.

ب. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢ ﴾ سورة محمد: الآية: ١٢.

تغوص هذه الآية الكريمة في خفايا النفوس البشرية مع اختلاف صنوفها وألوانها، وتعدد طباعها، لتخرج بتلك الموازنة القاسمة والقائمة على أساس الرابط الإيماني الذي يحرك ويحدد اتجاه ومسار حياتها، ويسيطر على سلوكياتها التي من خلالها تدخل في حزب الله تعالى، فترتفع في حياتها الدنيا وتسمو للمرتبة التي أرادها الله تعالى لها في إنسانيتها من الكرامة والتكريم، ومن ثم حسن الجزاء والثواب في الآخرة، أو تهبط معها وفي دنياها هبوطاً دنيئاً تصل فيه إلى مرتبه حيوانية لا عزة ولا كرامة لها فيها، فتدخل في حزب الشيطان إذا لم تجد ما يحزمها ويقيدها من السير والانجراف وراء لذاتها وشهواتها التي توردها بئس الورد المورود في آخرتها.

فتبدأ الآية الكريمة بوجه الموازنة بين هذين الحزبين من خلال عرض نصيب كل منهما في الدنيا، والجزاء المنتظر الذي سيكون عليه المآل في الآخرة مع بيان الفارق العظيم فيما بينهما. فتبدأ أولاً بذكر حزب الله تعالى من المؤمنين الذين صدقوا وآمنوا في حياتهم الدنيا ورسخ الإيمان في قلوبهم وتيقن، فخرجت مع يقينه أعمالهم الصالحة في صور بهية، نيرة، وضيئة، استمدت نورها من مشاعل الإيمان القويم... هذا الإيمان الذي أدركوا معه، وبما جاءهم من هديه غاية خلقهم، وحقيقة وجودهم على هذه الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

ومن هنا أدرك هؤلاء المؤمنون حقيقة الإيمان الأولى، فعبدوا الله تعالى وحده

ولـم يشركوا بـه شيئا، وأقروا منهج الله في الأرض، وأقاموا شريعته، وساروا على ما سار عليه أنبياؤهم ورسلهم فأحلوا الطيبات، وحرَّموا الخبيث، فأكلوا من طيبات رزقه ومما أمرهم الله به وأمر به رسله، وشكروه على نعمه.

قال تعالى: ﴿ ...وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ... ﴾ سورة الأعراف: الآية: ١٥٧.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٧٢.

ومع أن جانب تنعم المؤمنين بهذا الرزق لم تذكره الآية الكريمة إلا أننا ذكرناه هنا لبيان الفارق فيما بينه وبين ما جاء ذكره في نفس الآية، من كيفية تنعم الكافرين بهذا الرزق الذي لم تستو معه الموازنة في الدنيا، ولن... ولن تستوي معه في الآخرة.

فهكذا هم المؤمنون طيّبون يقبلون على صالحات الأعمال، فيطيبون بها بطيب ما يعملونه منها، وطيّبون بطيب ما يأكلون في حياتهم الدنيا، حتى إذا ما جاء اليوم الآخر نالوا طيّب ما أعده الله تعالى لهم من نعيم جناته التي تجري من تحتها الأنهار، فيتنعمون بنعيمها كيفما شاءوا، فاليوم كل شيء لهم فيها مباح، ولا مقطوع ولا ممنوع. وهذا هو نصيب حزب الله تعالى من هذه الموازنة.

أما نصيب حزب الشيطان فهو وكما تذكره الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾.

قال الزمخشري: المراد أنهم ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل، ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح، والنار منزل ومقام لهم في الآخرة. (تفسير الكشاف: ٤/ ٢٥٣).

فهو نصيب دنيء ومزر، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه، ويهبط بهم من مرتبة الإنسانية إلى المرتبة الحيوانية، فيعيشون ليأكلوا دون قيد أو شرط، فلا ضابط

إيماني عندهم ليضبط شهوتهم، أو ضمير حي يحيي ويتحكم بإرادتهم المسرفة التي لا تميز الخبيث من الطيب، والتي لا تجد في مذاق الخبيث إلا ما تجده في طيبها، فلا فرق عندهم بينهما، ولا عقل لهم يعقلهم فيبعدهم عن خبيثها... ولا من أُذن قد تسمعهم قبيح تذوقها، فهم كالأنعام لا يسمعون ولا يعقلون.

قال تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الفرقان: الآية ٤٤.

أجل، فهم كالأنعام وإن أعجبتنا أجسامهم وعقولهم، وهذه هي الطامة الكبرى، فكثير هم من تحسبهم أنهم منا وهم ليسوا منا في شيء، يتقاربون في فكرهم وتفكيرهم منهم، فيقلدونهم في كل حركة ونقلة، وفي كل همسة ولمسة. فتجد من هو منّا، من يجد تحضره وتطوره فيهم، فيتعرى من أخلاقه كما يتعرى من ثيابه، ويبيح لنفسه استغلال ما انعم الله عليه في بدنه، فيبيع نفسه لقاء دراهم معدودة، فتراه يطوي ساعات الليل والنهار في الغناء والطرب... يصدح ويغني... وتراها تعرض أمام العالمين في دور عرض الثياب ما رق وتكشف عنه الستر أكثر مما تعرضه ثيابها، هكذا دون حياء أو وفاء لنعم الله، فنعم الله هي هبة منه تعالى تستحق الصون والعفاف، لا أن تكون سلعة للبيع والاستغلال وكما يدَّعون في فكرهم وتفكيرهم المحدود الذي لا يتجاوز حدود ما يتمتعون به من متاع الدنيا التي لا يعرفون غيرها، وليس هذا فحسب ما يرونه ويدَّعونه، بل إنهم قد ابتعدوا في فكرهم وتفكيرهم حتى وصلوا حد الكفر والإلحاد، فتراهم من خلال جهلهم الذي طوقوا به علمهم - على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر - لا يرون من دقة صنع هذا الكون إلا أنه وجد في محل من الصدفة، وما وجودهم ومحلهم منه، إلا كما هي أوراق الشجر، تساقط إذا ما جاء عليها الخريف إلى دون رجعة، وهذه هي الأولى، والثانية: أنهم ادعوا أن أصل خلقتهم كانت قردة حيوانية، مضت وتطورت بها الأيام حتى وصلت هذه الهيئة. والثالثة: ما كتبه من تم إعداده سنين طوالاً من العلم والمعرفة ليخرج بمركبته الفضائية إلى خارج غلاف هذه الأرض، ليعود ويكتب بثمالة جهله (صعدنا إلى السماء فلم نجد هنالك إلهاً، ولا جنة ولا ناراً ولا

ملائكة)، فهذا هو فكرهم وتفكيرهم، وهذا هو تحضرهم وتطورهم الذي لم يريدوا منه سوى المنفعة الدنيوية، وقد تمت لهم، ولو أنهم أرادوا بهذا العلم وجه الله تعالى لكسبوا الدنيا والآخرة، ولكانوا مع أولئك الذين انعم الله عليهم وذكرهم فيمن ذكرهم في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾ سورة فاطر: الآية: ٢٨.

لكنهم لا يفقهون ولا يعقلون ما زين الشيطان لهم من خبيث متاعهم، وسيء أعمالهم التي أحقت وأوجبت على أن تكون النَّارُ مثْوَى لَهُم وهذا هو نصيبهم وهذا هو جزاؤهم الدنيء الذي لم تستو معه الموازنة.

ج. قال سبحانه وتعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة محمد: الآية: ١٥.

تصور هذه الآية الكريمة المتاع الحسي والروحي لشراب أهل الجنة الذي أعده الله سبحانه وتعالى ووعده في وعده الذي لا يخلفه لعباده المتقين في ظل الرحمة والمغفرة الإلهية.

ثم تعود الآية الكريمة لترسخ سمات هذا النعيم في نفوسهم وقلوبهم، فتلتقط عدستها من الزاوية المقابلة صوراً أخرى معاكسه ومغايرة لهذا النعيم، فتصور حال الكافرين وما هم عليه في النار من عذاب شراب الحميم.

فتبدأ الآية بتصوير ووصف ما تعددت أشكاله، واختلفت ألوانه ونكهاته من أنواع الشراب، فتصف كل واحد منها على حده، وبما يتناسب ويتقارب من فكرنا ويجيء عليه فهمنا من مزايا تلك الأنهار الجارية، من الماء والخمر والعسل.

عن حكيم بن معاوية عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تتشقق الأنهار منها بعد"**

أخرجه أحمد ورواه الترمذي. (سنن الترمذي: ٤/٦٩٩).

ثم تتقدم الآية الكريمة وتقدم وصف أنهار الماء أولاً وقبل غيرها من تلك الأنهار، لما نجده ونعرفه في الماء من الأهمية التي تستمر معها حياة كل كائن حي.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ سورة الأنبياء: الآية: ٣٠.

وأنهار الماء في الجنة ليست كأنهار الماء في الدنيا فهي لا تأسن ولا تأجن بطول بقائها أو عدم جريانها، فلا نجد فيها ومع طول مكثها وبقائها ما يغير أو يبدل من شكلها ولونها وطعمها ورائحتها، فهي أنهار صافية لا كدر فيها، ولا رواسب تعلق فيها، ولا طحالب تغطي سطحها، ولا تشوبها شائبة قد تغير أو تقلل من طيب ولذة مذاقها.

وأما أنهار اللبن فهي أشهى وأحلى، طيّبٌ طعمُها... حلوٌ مذاقها... لا تتغير ولا تتبدل... فلا تحمض ولا تقرص، ولا يعتريها عارض يصيبها كما يصيب ألبان الدنيا مما يشوبها ويفسدها، فهي صالحة في كل وقت وبدون أية إضافة تزيد من دسامتها أو أي مواد حافظة، تحفظها وتطيل من مدى وعمر صلاحيتها، فهي لا تخرج من بين فرث ودم من خلال ضروع الماشية أو سواها. جاء في مختصر ابن كثير في حديث مرفوع: "لم يخرج من ضروع الماشية". (مختصر ابن كثير: ٣/٣٣٢).

وثالث هذه الأنهار، أنهار الخمر، وهي التي حرمها الله تعالى على عباده المتقين في حياتهم الدنيا وأحلها لهم في الحياة الآخرة، فطابت لهم بجنته بطيب رائحتها ولذة طعمها ومذاقها الذي لا تدنسه الأيدي والاقدام حال صنعها وإعدادها، كما هي حال خمر الدنيا المدنسة التي هي رجس من عمل الشيطان، فخمر الجنة يختلف عن هذه الخمر، ولا تجتمع معها في شيء إلا من خلال المسمى، لأن خمر الدنيا كريهة الرائحة، سيئة المذاق، وتغتال العقل، فلا يدرك شاربها أفعاله التي قد تورثه الحسرة والندامة، وتتكشف معها الأسرار لما فيها من اللغو وكثرة الكلام، وليس هذا فحسب، بل هي أيضاً تصدع الرؤوس، وتنزف الأموال، وتورث الأمراض والعلل وتدمر الصحة. وهذا جزء يسير من الآفات السيئة في خمر الدنيا. لكنها في الجنة منافية لكل هذه الآفات وليس فيها إلا ما هو محض اللذة والتلذذ

والمتعة التي يجدها فيها شاربها.

وآخر هذه الأنهار أنهار العسل، هذا العسل الذي كان فيه شفاء للناس في الدنيا هو اليوم في الجنة يجري بأنهاره بصفاء ونقاء، لا تخالطه ولا تشوبه شائبة كما تشوب عسل الدنيا، الذي لا يخلو من الشمع، ومخلفات وفضلات النحل أو حتى من ذرات الغبار التي تقلل من لذته وطعمه، فهو أصلاً لم يخرج من بطون النحل حتى يتغير ويتبدل طعمه ومذاقه فهو عسل صاف ومصفى في كل وقت وفي كل مكان من الجنة.

وجميع هذه الأنهار، هي من بعض ما أعده الله تعالى من مشروبات لأهل جنته، ليتلذذ بشربها عباده المتقون بقصد اللذة والتمتع بطعمها، لا على سبيل دفع ما يظهر من حاجات وعوارض العطش والجوع.

وهي أيضاً مشروبات كاملة ومكتملة وصافية، طعمها طيب ورائحتها زكية، تتفجر من جبال المسك وتجري بها الأنهار في كل مكان من الجنة، ومن غير أخدود، وحافتيها اللؤلؤ والياقوت...

أخرج ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ أنهار الجنة تفجر من تحت جبال مسك. (الدر المنثور: ١/٩٤).

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والضياء المقدسي كلاهما في صفة الجنة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض حافتاه خيام اللؤلؤ وطينها المسك الأذفر. قلت يا رسول الله ما الأذفر قال الذي لا خلط معه. (الدر المنثور: ١/٩٥).

ومع تنوع وتعدد الأنهار في الجنة وتعدد الثمرات... فإنه لا يقتصر نعيم المتقين في الجنة على هذه المشروبات الطيبة، بل ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ وفيما تشتهيه أنفسهم من أكل ثمارها المختلفة والمتنوعة بحسب أصنافها التي لا تعد ولا تحصى، ولا تقل ولا تنفد، فما من ثمرة تنزع لتؤكل، إلا ويأتي الله تعالى بغيرها مكانها.

أخرج البزار والطبراني، **عن ثوبان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها إلا أعيد في مكانها مثلها"**. (تخريج الأحاديث والآثار: ج١/ص٥٥).

ثم إن هذه الثمار ليست كثمار الدنيا، وكما هو حال أشجارها أيضاً:

أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل.

وروي بإسناده أيضا عنه قال إن التمرة من تمر الجنة طولها اثنا عشر ذراعا ليس لها عجم. (الترغيب والترهيب: ح٥٦٩٦/ج٤/ص٢٩٣).

وفيما جاء في وصف شجرها:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط الذ منه. (حادي الأرواح: ١/١٧٤).

وفيها أيضاً ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال: "في الجنة شجرة على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها، فيخرج أهل الجنة - أهل الغرف - وغيرهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله عز وجل ريحاً من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا". الدر المنثور: ٦/٤٨٧).

وفي لذة هذه الثمار ومن تحت ظل هذه الأشجار، تتنزل عليهم رحمة ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فتشملهم هذه المغفرة كما كانت قد شملتهم من قبل في حياتهم الدنيا، وعند يوم العرض لتعود فتشملهم في الجنة، فيأتي الستر على ما كان من ذنوبهم في الدنيا، ولا يسخط عليهم ربهم أبداً.

وكل ما تقدم من هذا النعيم والذي جرى عليه وعد الله لعباده المتقين ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾... لا يستويان، ولا يلتقيان.

فلا يستوي.. نعيم ولذة الماء البارد غير الآسن مع غليان الماء الحميم الذي يُسقى منه الكافرون في النار، فيقطع أمعاءهم من فرط حرارته.

ولا يلتقي.. عمل المتقين الصالح مع عمل الكافرين الخبيث الذي باعد بين عظيم ونعيم درجات المتقين من الجنة، وبين حميم وعذاب دركات الكافرين من النار.

٤١- الجنة في سورة الفتح

أ. قال الله جل جلاله:

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ سورة الفتح: الآية: ٥.

إن الميزان عند الله تعالى الذي ترجح معه الأعمال هو ميزان الإيمان، فلا فرق بين ذكر وأنثى من حيث الجزاء والثواب، والعمل الصالح الذي تتبعه الحياة الطيبة لا يقتصر على المؤمنين دون المؤمنات.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ سورة النحل: الآية: ٩٧.

وطوائف المؤمنين والمؤمنات، عند الله تعالى، سيّان، متقابلان ومتلازمان، لا فرق بينهما إلا بالتقوى، على الرغم مما في فطرتهما وطبيعة خلقهما من اختلاف، اختلفت معه طبيعة أدوارهم وواجباتهم في هذه الحياة، إلا أن تقواهم لله المستمد من إيمانهم هو الذي قارب فيما بينهم وميزهم عن غيرهم من الكافرين والكافرات، والمنافقين والمنافقات.

فمن دخل من عباد الله من ذكر أو أنثى في دينه، وآمن برسوله، واستجاب وأطاع، وعظم ونصر، فإن الاستجابة من الله تعالى لهم يكون من ورائها الهدف والغاية التي خلق لأجلها جنته.

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

وهذه الاستجابة، وهذه الغاية، جاءت لتتناسق مع حكمة الله تعالى التي أودعها وأرساها في القاعدة التي تنطلق منها الحياة، والتي اقتضت أن تنشأ الحياة

من زوجين، ذكر وأنثى، إلا أنها في الجنة جاءت لتركز على ما يجده الذكر والأنثى - مؤمنين ومؤمنات - في بعضهما البعض من أمن واستقرار وسكن ومتعة، مع متعة الشعور بالبقاء والخلود لذاتهما دون الحاجة إلى ما هو عليه الخلود من المفهوم الاسمي الذي كان لا يتعدى حد الذكر وحمل الألقاب والأسماء، وأحياناً الإنجازات التي كانت تنتقل من جيل إلى جيل عبر التناسل والتوالد، والتي لم تصل معها إلى الحد الأدنى من مفهوم الخلود والبقاء في الجنة، فخلود الجنة هو خلود ذات، ولا يكون من خلال التناسل والتزاوج.

قال الحافظ الطبراني، عن عاصم، أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى النبي ﷺ، وبعد أن ذكر رسول الله ﷺ: "الأزواج المطهرة" في الجنة، قال: قلت يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات قال: الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذون بكم غير أن لا توالد. (تفسير ابن كثير: ج٤/ص١٧٧).

﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

وليتم الله فضله على الذين آمنوا من المؤمنين والمؤمنات من أن يدخلهم جنته فيفوزوا بها الفوز العظيم، كان لا بد من أن يدخلهم الله تعالى في كنف رحمته وفضله، فيكفر ويحط عنهم خطاياهم التي كانت عليهم في الدنيا، بما قدموا من أعمال صالحة، ودعوات صادقة وطاهرة تخللها طلب المغفرة والاستغفار، وتنقية النفوس من رذائلها، طمعاً بدخول جنته والفوز بفوزه العظيم.

ب. قال تعالى:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الفتح: الآية: ١٧.

إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذه النفس البشرية، وهو العالم بعلمه الذي لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ما يخالج فطرتها التي فطرها عليها من حب عمل الخيرات التي يتقبلها منها، بعد أن تتوج بعبق النفحات الإيمانية

التي تهب على قلوب المؤمنين، فتزين في نفوسهم حب أداء الطاعات، وتنفيذ ما تحمله من واجبات وتكاليف، بالرغم مما قد يأتي ويصيب هؤلاء المؤمنين من الإبتلاء الرباني في جسدهم، والذي قد يفقدون معه القدرة على تلبية بعض هذه التكاليف وهذه الواجبات، والتي قد تؤدي بدورها إلى الشعور بالنقص الباعث بالأسى والحزن على ما فاتهم ويفوتهم من تلك الطاعات والقربات.

لكن عناية الله تعالى ورحمته بهم كبيرتان، فكان أن دفع عنهم الحرج، ولم يلزمهم بأداء ما خرج عن حد قدراتهم، أو زاد عن حد طاقاتهم، فجعل الله تعالى تكاليفه ضمن سعة نفوس عباده المؤمنين، فقبل وتقبل منهم طاعاتهم واستجاب لدعائهم الذي علمهم إياه، فدعوه به:

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.

فكان أن جاءت رحمة الله تعالى على هؤلاء المؤمنين لتدفع عنهم ولتحط بعض هذه التكاليف.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾

وبذلك فإن الله تعالى يكون قد دفع عن عباده المؤمنين الحرج الذي قد يلحقهم من وراء شعورهم بالعجز، وعدم المقدرة على تنفيذ تكاليفه التي تؤدي إلى الوصول إلى طاعته ومرضاته سبحانه وتعالى، والتي لا تتم إلا من خلال توفر عناصر القدرة الجسدية المتكاملة أو شبه المتكاملة، مثل تكليف الجهاد في سبيل الله تعالى، فهذا التكليف يعتمد اعتماداً كلياً على الطاقة الحركية والبدنية والفكرية، والتي لا تخلو من المشقة والأذى الذي قد يلحق المجاهدين في سبيل الله، والذي لا يمكن دفعه في كثير من الأحيان إلا من خلال تكامل تلك القدرات، بالإضافة إلى تكامل العُدة

والاستعدادات اللازمة والضرورية للوصول إلى الغاية المرجوة من هذا التكليف.

وليس هذا فحسب ما جاءت عليه رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين في تنفيذ وأداء طاعاته وتكاليفه، بل إن الله تعالى برحمته قد وضع الكثير من الرخص كي يسير عليها عباده المؤمنون دون أي حرج في تنفيذ كثير من هذه التكاليف، حتى وإن اكتملت وتكاملت فيهم القدرة والمقدرة الجسدية والبدنية، تيسيراً منه تعالى عليهم، ثم جعل هذه الرخص في حبه ليحببهم بها، فيسيروا عليها دون حرج.

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "**إن الله تعالى يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه**". (شعب الإيمان: ٣/٤٠٣).

فأقر الله تعالى وأرخص لعباده المؤمنين بقصر وجمع الصلوات في السفر، وأيام الشتاء والبرد القارس، وعند نزول قطر المطر المنهمر، وأرخص الصوم من أيام أخر، لمن كان مريضاً، ولمن حضره شهر الصوم وهو على سفر.

قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٨٥.

فهذا النهج القويم من هذا الدين الحنيف، إنما هو نهج تيسير لا نهج تعسير على عباد الله المؤمنين، وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم في تنفيذ تكاليف دينه وعقيدته لا تخبو ولا تقل مع وجود الأعذار الشرعية التي تحط عنهم وترخص لهم تنفيذ بعض هذه التكاليف، فالأصل في هذا النهج هو البقاء في دائرة طاعة الله ومرضاته التي يدخلهم الله تعالى بها جناته التي تجري من تحتها الأنهار:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

وهذا هو جزاء الإمتثال لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الأمين، هذه الجنات الطيبة من ثواب الله الرحيم لعباده المؤمنين.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

أما أولئك الذين يدّعون الإسلام ولم يرسخ الإيمان اليقين في قلوبهم، فإنهم

يقبلون على هذا الدين ما دامت هناك المنفعة الدنيوية التي يجدونها فيه، وإذا ما تولت منفعتهم بقدوم تكليف الجهاد في سبيل الله، تولى بعضهم مبتعداً إلى غير رجعة، وقدِم بعضهم الآخر ليقدّم وليخرج من جعبته ما أحاط به فكره من كذب الأعذار الزائفة التي يرون فيها ما يحط عنهم هذا التكليف.

وهؤلاء مآلهم عند الله من الجزاء ما جاء عليه وعده من العذاب الأليم جراء عدم امتثالهم وطاعتهم لله ورسوله.

قال المفسرون: ومن ينكل عن الجهاد لغير عذر يعذبه الله عذاباً شديداً، في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار. (صفوة التفاسير: ٣/٢٠٥).

٤٢- الجنة في آيات سورة ق

وردت الجنة في آيات هذه السورة فيما يلي:

أ. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ سورة ق: الآية: ٣١.

جاءت هذه الآية الكريمة والتي لم تتجاوز مفرداتها عن خمس كلمات، لترسم معالم الفرح والسرور، ولتنشر أجواء الأمن والطمأنينة في قلوب ونفوس عباد الله المتقين، بما تحمله لهم من حفاوة الاستقبال والترحيب، وعظيم التشريف والتكريم من الله تعالى يوم القامة.

فيأتي تكريم الله تعالى لهؤلاء المتقين في كل كلمة من كلمات هذه الآية، وفي كل حركة، فالجنة تقرّب وتزلف لهم، دون أن يأتوها... فهي قريبة، غير بعيدة، بين ناظرهم، تتراءى لهم من قريب رأي العين... فلا خوف بعدها ولا وجل من سوء الجزاء أو غموض المصير... ولا مشقة بعد هذه القربى قد تأتي وتبذل للوصول إليها، فهي قريبة منهم ودانية، وبكل ما فيها من أنواع المتع والملاذ، جزاءً من الله تعالى على ما كانوا عليه من التقوى في حياتهم الدنيا. (انظر: التفسير الكبير: ٢٨/١٨٠. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص/ ٣٥٩).

وفي هذا التكريم ما يتقارب مع ما تحبه النفس البشرية في الدنيا من حب القرب والتقرب من منابع الخير والمنافع، التي تجد معها النفس الراحة، والأمان والاستقرار، وهذا من جانب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ العاديات: الآية: ٨.

أما من الجانب الآخر، فهو ما تجده هذه النفس من غبطة وسرور وتكريم، حال تقديم ما تلذ له، فتجده قريباً بين يديها إذا ما أحلّ ونزل صاحبها ضيفاً عزيزاً عند مضيف كريم.

ب. قال تعالى:

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾

سورة ق: الآيتان: ٣٤-٣٥.

إنه الخطاب الذي تنبعث منه روح الأمن والأمان، والطمأنينة والسلامة في نفوس أهل الجنة من كل ما قد سلف ومضى إلى غير رجعة من تلك الأهوال والمخاوف والوساوس التي مرت عليهم وسارت معهم منذ يوم مولدهم وحتى يومهم هذا، الذي أذن لهم فيه بدخول الجنة لغير ما خروج، فـ ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾.

قال المفسرون: قيل لهم: لا تخافوا انقطاع هذا النعيم أو نفاده، بل إنكم قدر لكم الخلود فيه وخلوده لكم.. (انظر: التفسير الكبير: ٢٨/١٨٠).

والشعور بالخلود هو ما يكمل على أهل الجنة فرحتهم وأمنهم، لما يلقيه هذا الشعور في نفوسهم من هدوء واستقرار، وراحة نفسية وروحية تزيد من مدى حبهم واستمتاعهم بنعيم الجنة الخالدة بخلودهم. فلا يفنى نعيمهم ولا يبلى ما داموا فيها خالدين، فلا خروج منه، ولا موت يفرقهم عنه.

عن ابن عُمَرَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "إذا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إلى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حتى يُجْعَلَ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إلى حُزْنِهِمْ". (صحيح البخاري: ٦١٨٢/ج٥/٢٣٩٧).

وعن عبد اللهِ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "لو قِيلَ لأَهْلِ النَّارِ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ في النَّارِ عَدَدَ كل حَصَاةٍ في الدُّنْيَا لَفَرِحُوا بها وَلَوْ قِيلَ لأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ في الْجَنَّةِ عَدَدَ كل حَصَاةٍ في الدُّنْيَا لَحَزِنُوا وَلَكِنْ جُعِلَ لَهُمُ الأَبَدُ". (المعجم الكبير: ح ١٠٣٨٤/ج١٠/١٧٩).

ومع هذا الخلود الذي لا يفنى ولا يبيد فإن:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾.

فأي كرم... وأي دلال هذا... فكل شيء موجود لهم وكما شاءوه وعرفوه

سواء في حياتهم الدنيا. أو في هذه الجنة، واشتهته أنفسهم فوجوده بين يدي مشيئتهم لا يخرج عنها إلا كما شاءوه وجاءت عليه إرادتهم.

وإطلاق المشيئة لأهل الجنة فيما يريدون من ألوان المتع والملاذ، فيها دلالة جليه وواضحة تكشف عن حجم وسعة ما أعده الله تعالى لأهل جنته من ألوان هذه المتع والتي لم يأت عليها فهمنا وإدراكنا، فنحيط بما جاءت عليه.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقرؤوا إن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (صحيح البخاري: ح ٣٠٧٢. صحيح مسلم: ح ٢٨٢٤).

وفي ظلال نعيم الجنة ومتاعها، وحتى إذا ما وجد المؤمن من أهل الجنة كل ما يشاءه ويريده أو اشتهته نفسه حاضراً بين يديه، أتاه من ربه ومن حيث لا يدري المزيد غير المحدود، من شتى ألوان وصنوف النعيم وأبهاه، ومن أبهى هذا المزيد ما يأتي على الحور العين من نساء الجنة.

أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال حدثني رسول الله ﷺ قال: حدثني جبريل قال: يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة فبأي بنان تعاطيه لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها فبينما هو متكئ معها على أريكته إذ أشرق عليه نور من فوقه فيظن أن الله تعالى قد أشرف على خلقه فإذا حوراء تناديه يا ولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول ومن أنت يا هذه فتقول أنا من اللواتي قال الله ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ فيتحول إليها فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى فبينما هو متكئ على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه فإذا حوراء أخرى تناديه يا ولي الله أما لنا فيك من دولة فيقول ومن أنت يا هذه فتقول أنا من اللواتي قال الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (السجدة آية ١٧) **فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة...** (الدر المنثور: ٦٠٧/٧).

٤٣- ذكر الجنة في سورة الذاريات

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ سورة الذاريات: الآيتان: ١٥-١٦.

تميّز عباد الله المتقون عن غيرهم بأعمالهم وإحسانهم في الحياة الدنيا، فميّز الله تعالى جزاءهم وثوابهم في الآخرة... فهم عنده في نعيم الجنات ونعيم العيون، هذه الجنات العظيمة، الوارفة الظلال، التي لا يمكن حصرها ولا أن نأتي أو نزيد على قدرها. فهي من عطاء الله العظيم لهم على ما كانوا عليه من عطاء وإحسان وقيام ليل - ومن كان في الأمس يتقي ويعطي، فهو اليوم من يأخذ دون أن يعطي - فلقد كان هؤلاء المتقون في الدنيا من المحسنين الذين يهبون ويعطون مما آتاهم الله تعالى من دون شح أو تقصير فهم اليوم في نعيم جناته ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ من عطائه الكريم من دون حدود أو قيود.

وهذا هو الثواب العظيم من الله تعالى لهؤلاء المتقين، عظيماً، كما جاءت أعمالهم عظيمة عند الله تعالى، فلين عطاءهم الذي أجرى ماء الحياة في عروق المحتاجين والمساكين، وخضرة جودهم وإحسانهم التي انبتت نبات الحياة الطيبة في نفوس هؤلاء المعوزين، وكانت عند ربهم عظيمة، قابلهما ثواب الله تعالى لهم بما يماثلها من عطائه العظيم من تلك العيون وما حولها من خضرة ونبات تلك الجنات، فما هذه العيون المنسابة إلا لتلك العيون الساهرة التي أيقنت وتيقنت رؤية ورقابة الله عليها، فسهرت بالذكر والتهجد والتعبد.

ومما يستدل به على عظيم ثواب الله تعالى لهؤلاء المتقين، فإنه إذا ما تأملنا صياغة هذه الآية الكريمة والتي ذكر فيها ثواب الله لهم، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾. لنجد أن الله تعالى أورد لفظ ﴿ جَنَّٰت ﴾ بصيغة نكرة وجمع

مؤنث سالم، ثم عطف عليها الوصف بقوله تعالى: ﴿ وَعُيُون ﴾، والتنكير كما هو معروف ومعلوم يفيد التعظيم، والجمع يفيد الكثرة الزائدة، ومن هنا يتبين لنا أن هذه الجنات عظيمة وليست كما نعرفها من جنات الدنيا، التي يمكن أن نحصرها ونتصورها. أما العطف كما جاء بقوله تعالى: ﴿ وَعُيُون ﴾ فإنه يفيد الزيادة في الوصف لهذه الجنات، فهي جنات تتفجر فيها العيون وتنساب فيها ومن خلالها، مع إطلاق حدود التصوير والوصف لما يمكن تصوره ووصفه من نعيم هذه الجنات، والتي لا يمكن الوصول إلى أدنى حدود وصفها وتصورها. (انظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص/٨٤).

٤٤- الجنـة في آيات سورة الطور

قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾

سورة الطور: الآيات: ١٧-٢٨.

تتجلى هذه الآيات الكريمة بوصف نعيم أهل الجنة الذي أعده الله تعالى لعباده المتقين، وما هو عليه من متاع حسي وروحي، فتتنقل بوصف هذا النعيم، من جنات النعيم، خطوة... خطوة، فتدخل في نعيم، وتخرج من نعيم، وتصور كل واحد منها بما يداعب ويلاعب خلجات القلوب البشرية، التقية، التواقة لتذوق حلاوة وطراوة هذا النعيم الذي استجاشت له عواطفها، فألهب أحاسيسها ومشاعرها وشحن طاقاتها، فبادرت بتقوى الله تعالى، وسارعت بطاعاته، لتكون مع من جاء عليهم ذكره الحكيم ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾.

فالمتقين، عند الله في جنات خاصة، كلها رغد وسعد، وهناء، وكل نعيم فيها لا يخلو من الفخامة والتفخيم.... فهم اليوم في هناء وسرور، سعيدون برغد

العيش، ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾ ومعجبون بلذيذ ما آتاهم من أصناف الملاذ وأنواع النعيم، وناعمون وفاكهون بحفظ ربهم وصونه ووقايته التي خصها لهم ﴿ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ هذه الوقاية التي تلقي في نفوسهم نعيماً آخر مستقلاً بنجاتهم من عذاب الجحيم ونقمته، هذه النقمة التي تحولت بوقاية ربهم إلى نعمة، ليزداد نعيمهم نعيماً.

قال ابن كثير: وتلك نعمة مستقلة بذاتها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة، التي فيها من السرور ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (مختصر ابن كثير: ٣/٢٩٠).

وهذه النفوس التقية كانت تستشعر هذا النعيم في الدنيا، في كل مرة كانت وقاية ربها تأتيها لتدفع عنها نقمة من نقم الدنيا، فكانت تجد في هذه الوقاية نعمة تستحق منها أن تشكر ربها وتحمده عليها، فكيف يكون حال هذه النفوس إذا ما جاءت وقاية الله تعالى لها من ﴿ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ أكبر النقم وأشد المحن؟ وكيف يكون سعدها إذا ما أضيف نعيم الوقاية إلى ما هم عليه من نعيم جناتهم؟

ومع كل جانب من هذا النعيم وما فيه من الرضى والراحة النفسية، تنبري منزلة المتقين عند ربهم بما يخصهم به من تكريم حسي وروحي تعلوه العناية والرعاية التي تطيب معها نفوسهم بهناء النداء الإلهي ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

يقول سيد قطب: وهذا بذاته متاع أكرم. وهم ينادون هذا النداء العلوي، ويعلن استحقاقهم لما هم فيه. (في ظلال القرآن: ٦/٣٣٩٦).

فيجمع الله تعالى - بإذنه - لهم لذيذ النعيم مع هناء ولذيذ التكريم، فيأذن لهم بالتلذذ بنعيم ما أعده لهم من صنوف الطعام والشراب الهنيء الذي لا دنس فيه ولا تنغيص، فلا تلحقهم منه مشقة، ولا تعقبهم من ورائه وخامة وتخمة، فهو نعيم نقي، وصافٍ من الآفات والأمراض التي قد تعطل وتقلل من مدى استمتاعهم وتلذذهم به، وهو ليس كحال نعيمهم في الدنيا الذي لا يكاد يخلو من الآفات

والمفاسد التي تجري وتسري عليه بطول مدة حفظه وصونه. إنما هو نعيم دائم وهنيء بهناء وطيب أعمالهم التقية في حياتهم الدنيوية.

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ ﴾

وفي هذا بيان آخر لما هم عليه من هناء العيش الرغيد، فهم ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ ﴾. والاتكاء لا يكون إلا من خلال نعيم، وفي ظل صحة، ونفس صافية من كل هم وغم.

أخرج ابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي أن النبي ﷺ سئل عن البضع في الجنة قال: "نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وإن الرجل ليتكئ فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا يتحول عنه ولا يمله يأتيه فيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه". (الدر المنثور: ج١/ص١٠٠).

ثم إنهم متكئون بصورة جميلة، منسقة بنسق وترتيب سررهم المصفوفة التي تسدل عليهم لذة التجمع معاً، وجمال المنظر الذي تزينه أحاسيس الألفة وحميم المودة والمقابلة.

﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

ومع لذة التجمع وجمال المنظر، يجمع الله تعالى هؤلاء المتقين مع جمال الحور العين من نساء الجنة، زيادة لهم وعلى ما هم عليه من ﴿ جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾. فيزوجهم الله تعالى مما شاء وأراد لهم من هؤلاء الحور.

ويعتبر الجمع بين نعيم الجنات وما فيهن من خضرة وماء مع جمال الوجه الحسن، شكل من أشكال نعيم الدنيا الذي تتوق اليه النفس البشرية وتجد فيه الراحة والسرور. ولكن شتان ما بين نعيم الدنيا ونعيم المتقين في الجنة مع جمال الحور العين وما هن عليه من جمال الروح والجسد الذي لا يجتمع ولا يكتمل إلا بنساء الجنة.

و"الحور" جمع حوراء؛ وهي المرأة الشابة الحسناء، الجميلة، البيضاء، شديدة سواد الشعر.

قال مجاهد: الحوراء التي يحار فيها الطرف، من رقة الجلد، وصفاء اللون.

وقال الحسن: الحوراء، شديدة بياض العين، شديدة سواد العين (الحدقة)، (حادي الأرواح: ١/١٥٠).

قيل: لا تسمى المرأة حوراء، حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد.

و"العين" جمع عيناء، وهي العظيمة العين من النساء، أو اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة.

أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر، كانت تلك الأبحر أحلى من العسل. (الدر المنثور: ١/٩٩).

ونساء الدنيا إذا أدخلن الجنة، فضلن على الحور العين، وهذا من إكرام الله تعالى على المؤمنات الطائعات.

أخرج ابن عساكر عن حاطب بن أبي بلتعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يزوج المؤمن في الجنة اثنتين وسبعين زوجة من نساء الآخرة واثنتين من نساء الدنيا" (الدر المنثور: ١/٩٩).

وكل زواج، بصداق ومهر، ومهور حور العين، هيّن ويسير على عباد الله المتقين، وصعب ومستحيل على الكافرين، وأشحاء الأنفس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز". (تفسير القرطبي: ١٦/١٥٣).

وعن أبي أُمَامَةَ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "من قَدِرَ على طَمَعٍ من طَمَعِ الدُّنْيَا فَأَدَّاهُ وَلَوْ شَاءَ لم يُؤَدِّهِ زَوَّجَهُ اللهُ عز وجل مِنَ الْحُورِ الْعِينِ حَيْثُ شَاءَ". (المعجم الكبير: ٨/٢٣٨).

والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، لهم من الحور العين نصيب طيب:

روى مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء، إذا مشت، مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها، وعن يسارها كذلك، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ (عمدة القاري: ج١٤/٩٤).

ومن بين خضم النعيم والنعم، تستجيش المشاعر وتلتهب الأحاسيس، فتأتي النفحات الدافئة ببشائر الوجوه الناعمة من الأهل من الذرية الطيبة، من بعد طول فراق وغياب.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾.

وإذا ما كانت النفوس البشرية في الحياة الدنيا، تفرح وتمرح وتسمر، فتقيم الأفراح والليالي الملاح عند قدوم أعزائها وأحبتها بعد فراق وغياب دنيوي لا يتعدى حدود الأرض، فكيف يكون نعيم وسرور المتقين في تلك اللحظات التي يجمعهم الله تعالى بها بلقاء أهلهم وذريتهم الطيبة من بعد فراق عصيب كللته الأحزان والأهوال، ومن بعد فراق الموت، ووحشة القبر، وأهوال الساعة، والوقاية من عذاب الجحيم....

إنها لا شك لحظات طيبة وهنيئة من كرم الرعاية والعناية الإلهية بهؤلاء المتقين التي يجتمع فيها هؤلاء المؤمنون مع ذريتهم التي اتبعتهم بإيمانهم وأعمالهم، وان قلت وتفاوتت درجات إيمانهم وأعمالهم عنهم. فيرفعهم الله تعالى إلى درجات أهلهم العُلا، دون أن ينقص ذلك من عملهم ومنزلتهم شيء.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ ﴾. (أخرجه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا ورواه البزار عنه مرفوعا. انظر أيضاً: تفسير القرطبي: ٦٦/١٧).

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾. قال: هم ذرية المؤمن يموتون على الإيمان، فإذا كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم الحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئا. (وصف الدور الثلاث من تفسير ابن كثير: ص٢٧٧).

أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وذريته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به وقرأ ابن عباس: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾. الآية.** (الدر المنثور: ج٧/ص٦٣٢).

ويمضي النعيم في ظلال التكريم خطوة، فيكشف الستار عن أسرار وألوان ما لذ وطاب:

﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

فيواتيهم ربهم على ما هم عليه من نعمة ونعيم، فيزودهم ويزيدهم دونما انقطاع من شتى أنواع الفاكهة واللحوم. ومما يستطاب منها ويشتهى.

والفاكهة واللحم يعدان من كماليات أُكل أهل الدنيا، وهذا الأكل لا يتوفر لسائر الناس، وفي جميع الأوقات، وإن توفر وبما يضاف اليه من مواد حافظة، فإن قيمته ولذته تدنو، فلا يشتهى كما لو كان وقت حصاده.

ولذلك فإن توفر الفاكهة واللحم في الجنة بهذه الوفرة والكثرة، وفيما يشتهيه أهلها وفي سائر الأوقات يدل على كمال النعيم والتكريم فيها، وفاكهة الجنة ولحومها لا يقابلان مثيلاتها في الدنيا إلا من خلال المسمى لكليهما.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: عرضت عليّ الجنة فذهبت أتناول منها قطفا أريكموه فحيل بيني وبينه فقال رجل يا رسول الله مثل ما الحبة من العنب قال كأعظم دلو فرت أمك قط. (مسند أبي يعلى: ح١١٤٧/ج٢/٣٨٠).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: "إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير". (الدر المنثور: ج٧/ص٣٩١).

ثم إن وجود الفواكه واللحم في الجنة لا يراد به الاقتيات، إنما للتلذذ والتمتع، ولذلك جاء تقديم الفاكهة على اللحم في الآية الكريمة. (انظر: وصف الجنة في

القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص٢٠٣).

وفي غمار التلذذ والتمتع، يتعاطى أهل الجنة ويتجاذبون بفرح وسرور ما أحلها الله تعالى لهم من الخمر المصفاة والمنقاة من دنس وقبح الكلام وما فيه من اللغو الذي يأتي عليهم بالإثم، والجنة تخلو من كل إثم، فلا يلحقهم إثم كلام، ولا إثم من شربهم الخمر كونها محللة لهم في الجنة، فهي مبرأة من كل دنس، وتختلف عن خمر الدنيا التي هي رجس من عمل الشيطان، فخمر الجنة كلها لذة ومسرة، يتجاذب كأسها أهل الجنة، لا عن منازعة، وإنما للمداعبة والملاطفة التي تدخل في قلوبهم السرور والمتعة.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

وهكذا يمضي ويطوف بهم سياق النعيم، بما لا يلحق ولا يسبق من حفاوة التكريم.

فإذا بغلمان لهم مصونون، وصافيون، كأنهم لؤلؤ مكنون، يتجولون ويطوفون بما لذ وطاب من لذيذ كأس الشراب. فيزيدهم حسنهم وجمال مظهرهم لذة على لذة شرابهم، فيقبلون عليه بكثرة ومتعة، والإقبال على الشراب بكثرة فيه نوع من المفاخرة كما هو عليه حال الشراب في الدنيا. (انظر: روح المعاني: ٣٤/٢٧).

ثم إن وجود هؤلاء الغلمان بهذا الحسن والصفاء، يزيد من تمتع أهل الجنة، فالعين تتلذذ كما تتلذذ النفس، فتتلذذ وتستطيب بما تشاهد وترى من جمال.

يقول سيد قطب: يقوم على خدمتهم ويطوف بالكأس عليهم غلمان صباح أبرياء، فيهم نظافة، وفيهم صيانة، وفيهم نداوة: "كأنهم لؤلؤ مكنون" مما يضاعف إيناس المجلس اللطيف في الجوارح والقلوب. (في ظلال القرآن: ٣٣٩٧/٦).

وهذا ما نجده ونلاحظه على سبيل الذكر لا على سبيل المقارنة، في المطاعم والمؤسسات الخدمية الفاخرة في الحياة الدنيا التي تحرص كل الحرص على الناحية الجمالية في مواصفات موظفيها ممن يقومون على خدمة روادهم من أجل إدخال الأُنس والمسرة في نفوسهم كي يعودوا إليهم من جديد في كل مرة.

والفرق واسع وشاسع ما بين حُسن الجنة وبين حُسن الدنيا، فحُسن غلمان

الجنة لا يقابله ولا يفوقه ولا يضاهيه إلا ما في الجنة من حُسن.

فإذا ما كان غلمان الجنة في حُسنهم ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ أي المصون في صدفة والذي لم يتغير لونه من شدة بياضهم وصفائهم، فكيف يكون حُسن وصفاء من يخدمونهم هؤلاء الغلمان من أهل الجنة؟

عن قتادة قال:

"بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف بالمخدوم؟ " فقال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده إن فضل ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"... (روح المعاني: ج٢٧/ص٣٤).

وعن **أبي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ **إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ على صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ على أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً.** (صحيح البخاري: ح/٣١٤٩/ج٣/١٢١٠).

وأخرج الترمذي، بسند جيد حسن عن **مُعَاذِ بن جَبَلٍ ان النبي ﷺ قال: "يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أو ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً".** (سنن الترمذي: ح٢٥٤٥/ج٤/ص٦٨٢).

وروي أيضاً: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، من ينادي الخادم من خدامه، فيجيء ألف ببابه، لبيك.. لبيك". (انظر: روح المعاني: ٢٧/٣٤).

ومع الإقبال على لذيذ ونعيم الشراب، يأتي الإقبال على طيب الحديث والكلام، الذي تتكشف معه الأسرار.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

فيقبلون على بعضهم البعض إقبال حديث وكلام تتكشف عنه أسرار وجودهم في هذا النعيم، فيتذاكرون ما كان من أعمالهم وسير أحوالهم في الحياة الدنيا وهم بين أهلهم خائفون على الرغم مما في القرب من الأهل من أمن وأُنس.

فلقد كانوا في حياتهم الدنيا خائفين ومستحضرين بيقينهم عذاب ربهم يوم القيامة الذي ليس له من دافع غير منة وفضل ربهم بصالح إيمانهم وعملهم، ودعائهم الذي برّهم ورحمهم الله تعالى به، فشملهم بأمنه ووقايته من عذابه.. عذاب السموم، هذا العذاب الذي يسري في الأجسام فيقطع الأحشاء والأوصال من شدة حره وسمّه اللاذع.

أخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكئ ذا ويتكئ ذا فيتحدثان بما كانا في الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا". (الدر المنثور: ٦٣٤/٧).

وبذلك يكون قد كشف الستار عن سرّ وجودهم ووصولهم إلى هذا النعيم الذي هم عليه في الجنة.

قال سيد قطب: السر إذن أنهم عاشوا على حذر من هذا اليوم. عاشوا في خشية من لقاء ربهم. عاشوا مشفقين من حسابه. عاشوا كذلك وهم في أهلهم، حيث الأمان الخادع. ولكنهم لم ينخدعوا. وحيث المشغلة الملهية. ولكنهم لم ينشغلوا. (في ظلال القرآن: ٣٣٩٧/٦).

٤٥- الجنة في سورة النجم

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة النجم: الآيات: ١٣-١٥.

إن الله سبحانه وتعالى ما خلق الجنة إلا لتكون المأوى لعباده المؤمنين، وجعل طريقها من خلال طريق الدنيا.

ومن هنا فقد هبط آدم وزوجه حواء عليهما السلام من الجنة إلى هذه الأرض كما شاءت إرادة الله الأولى في خلافته لهذه الأرض، وذلك بعد الذي حدث ودار من قصته التي جاءت أحداثها في الملأ الأعلى، وما نتج عنه أول درس له في صراعه مع الشر والذي أدى به إلى معصية الله تعالى بإتباعه وسوسة عدوه اللدود إبليس، ليهبط بعدها إلى هذه الأرض بعد أن تاب من معصيته فتاب الله تعالى عليه، ثم ليبدأ مشوار الخلافة وبما يأتيه من هدى ربه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ سورة طه: الآية: ١٢٣.

ولإيصال هذا الهدي إليهم، كان لا بد من وجود وسيلة اتصال بين الله تعالى والمختارين من عباده، وفي أي صورة تجيء عليها إرادته سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ سورة الشورى: الآية: ٥١.

ولذلك فقد اختص الله تعالى من ملائكة قدسه من يحمل هديه إلى من اصطفاه من خلقه لتبليغ رسالته إلى سائر خلقه، فأرسل جبريل عليه السلام بذلك الهدي إلى خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ.

ولما كان معلوماً من طبع الكافرين، أنهم بالباطل يجادلون ويمارون، فيكذبون ويشككون بما جاء بوحي الحق من الحق، وحتى إذا ما طال حد تكذيبهم إلى ما أوحى الله إلى عبده ما أوحى، جاءت هذه الآيات الكريمات تتناول بيان حقيقة الوحي وطبيعته، وصدقه بهذه العقيدة، وبما يثبت صحته وواقعيته، هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى، بيان حقيقة الجنة وبما يثبت وجودها من خلال ما رأى رسول الله ﷺ عندها رؤية حق وتمكن ودقة.

فتبدأ الآيات الكريمة بكشف الستار عن حقيقة الرؤية الدقيقة التي أطمأن لها فؤاد رسول الله ﷺ من رؤيته الثانية لرسول ربه إليه شديد القوى جبريل عليه السلام، وهو على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها، لتكون هذه المشاهدة الحقة شاهدة ومشهودة للعيان، وتصديقاً من الله تعالى على صدق نبيه الكريم بهذا الوحي الذي أوحاه اليه من هذا الدين، فتدحض بذلك كذب المكذبين الذين افتروه عليه على الرغم مما خبروه فيه من صدق الحديث، ولتقطع الشك من قلوب المشككين، وتقر ظلال الهدى والإيمان اليقين في قلوب عباده المؤمنين.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾.

ولقد كانت هذه الرؤية - وكما جاءت عليه أرجح الروايات- في ليلة الإسراء والمعراج، فقد دنا رسول ربه منه واقترب مرة أخرى وهو على عظيم خلقه وهيئته التي خلقه الله تعالى عليها ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾. والسدرة كما يعرف في الدنيا من هذا المسمى، هي شجرة النبق، والمنتهى النهاية التي تأتي على أمر ما.

وقد تعددت الروايات في تفسير هذه الآية ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ نأخذ منها ما جاء في تفسير الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الجزء السادس من كتاب "في ظلال القرآن: ص٣٤٠٧"، حيث أورد:

" فأما أنها سدرة المنتهى، فقد يعني هذا أنها التي ينتهي إليها المطاف. فجنة المأوى عندها، أو التي انتهت إليها رحلة المعراج، أو التي انتهت إليها صحبة جبريل لرسول الله - ﷺ - حيث وقف هو وصعد محمد - ﷺ - درجة أخرى

أقرب إلى عرش ربه وأدنى... وكله غيب من غيب الله، أطلع عليه عبده المصطفى، ولم يرد إلينا عنه إلا هذا. وكله أمر فوق طاقتنا أن ندرك كيفيته. فلا يدركها الإنسان إلا بمشيئة من خالقه وخالق الملائكة، العليم بخصائص الإنسان وخصائص الملائكة.... " انتهى.. لا تعقيب.

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾

جَنّـــة: لفظ نكرة يدل على المكان الخصب، أو بستان خصب كثيف الأشجار.

المـــأوى: كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً ونهاراً.

جنة المأوى: مكان خاص من الجنة أعده الله تعالى لعباده المتقين، ومثله جنة عدن. (انظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص٩٥ - ٩٦).

قال المفسرون: أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين. (صفوة التفاسير: ٣/٢٥٦).

إن المأوى الحقيقي هو مأوى الحياة الآخرة، وما الحياة الدنيا إلا حياة زائلة ومأواها زائف... لا يسمن ولا يغني من جوع، فمتى حان الأوان، وجاء أمر الزوال... فنفخ في الصور... عندها يخرج العباد من مأوى الدنيا إلى مأوى الآخرة:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النازعات: الآيات: ٣٧- ٤١.

٤٦- الجنة في سورة القمر

قال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

سورة القمر: الآيتان: ٥٤-٥٥.

صورة أخرى، فريدة، توردها هاتان الآيتان الكريمتان من صور نعيم عباد الله المتقين، صورة مرهفة، مطلقة للحس لكل تخيل ووصف، دون حد ودون قيد... فهم في جنات وارفة، بين ظل وبين نسائم نهر، ولهم من جنانها جنات كثيرة، أكثر من واحدة، قد تأتي على العاشرة، أو قد تتجاوزها إلى أبعد حد، لا قيد يقيد عددها... ولا حد يتحدد معه نعيمها، أوليس لهم فيها ما يشاءون؟ الم يجدوا أمام العيون الذي كانوا بالأمس يتمنون؟... وماذا لو جاء في مسألة كل واحد منهم نهر؟ نهر لا يأسن.... وآخر من خمر، وثالث ورابع من عسل ولبن.

فهل ينقص ذلك مما في ملك المليك المقتدر من شيء؟... إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

ولِمَ لا يتمنون... فيطلبون، ألم يعدهم ربهم بأن لهم مزيداً.... مزيداً فوق كل نعمة ونعيم.... بما قدموا من عملهم وأخروا... في سرهم وجهرهم... فأقبلوا على الله، فأقبل الله عليهم، وصدقوا في تقواهم... فاتقوا الله في دنياهم، فوقاهم عذابه في آخرتهم... وتقربوا من الله ما حسبوه شبراً، فكان عنده ذراعاً، وما زالوا يتقربون منه بطاعاتهم ويدنون، حتى قربهم وأدناهم منه ليكونوا اليوم في مقعد صدق وكرم مكين، مقعد فيه حس وروح... يحسه القلب مع كل نبضة ونغمة... وتتنعم الروح بلذته... أوليسوا عند ربهم ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾.

قال المفسرون: إن المتقين في جنات وأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل، في مكان حسن ومجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، عند رب جليل، قادر في ملكه وسلطانه، لا يعجزه شيء، وهو الله رب العالمين. (انظر: صفوة التفاسير: ٢٧٢/٣ . تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣١).

٤٧- الجنة في سورة الرحمن

قال تعالى:

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة الرحمن: الآيات: ٤٦-٧٨.

تفيض من هذه الآيات الكريمة آلاء ونعم الله تعالى التي أعدها في جنته في

اليوم الآخر لعباده المؤمنين الذين عرفوا مقامه، فخشعت قلوبهم وفاضت أعينهم بذكره، فذكرهم عنده وأفاض عليهم من خيرات نعيمه وعطائه.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

قال المفسرون: أي لكل من يخاف قيامه بين يدي ربه للحساب، ويترك معصيته جنتان. (انظر: صفوة التفاسير: ٢٨١/٣. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٣).

ومخافة الله تعالى لا تكون إلا من خلال الإيمان اليقين الذي يبعث في قلب المؤمن تلك الارتعاشة والمخافة التي تنتاب قلبه كلما ذكر الله تعالى في سره وفي جهره، وعند كل أمر له أو نهي، وعند كل لحظة يقف فيها يتدبر ويتأمل آلاء ربه في نفسه وفي سائر الكون، فيغشاه عظيم جلاله ومقامه، فيندفع إلى كل عمل فيه طاعته ومرضاته.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الأنفال: الآية: ٢.

ومخافة الله عز وجل واستحضار عظمته في آلائه ونعمه، وفي حسابه وعقابه، هي التي حركت قلوب أولئك السابقين، فتحركت قلوبهم وامتلأت خشية وهيبة، حتى كادت تذوب، وتتمنى أنها لم تخلق، أو أن خلقها جاء على غير هذه الخلقة.

أخرج ابن أبي الدنيا عن عطاء، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ذكر ذات يوم وفكر في القيامة، والموازين، والجنة والنار... وصفوف الملائكة وطي السموات، ونسف الجبال، وتكوير الشمس، وانتثار الكواكب. فقال: وددت أني كنت خضراً من هذه الخضر، تأتي عليّ بهيمة فتأكلني، وأني لم أخلق. (حياة أهل الجنة، لمحمود شلبي: ص١٩٤).

فهؤلاء هم عباد الله الذين يخشون مقام ربهم، ويستحضرون في أنفسهم يوم حسابه وعقابه وعطائه، وينظرون لهذا اليوم كأنه الحاضر والدنيا هي الماضي.

﴿جَنَّتَان ﴾

تعددت الآراء والأقاويل في شأن هاتين الجنتين، (انظر: التفسير الكبير: ٢٩/

١٢٣. جامع البيان، للطبري: م/١٣/ج٢٧/ص/١٤٩ - ١٥٠. روح المعاني: ٢٧/ ١١٨. حياة أهل الجنة: ص١٩٣ - ١٩٤)، فقيل: إحداهما منزل المؤمن ومحل زيارة أحبابه له، والأخرى منزل أزواجه وخدمه.

وقيل: بستانان، بستان داخل قصره، وآخر خارجه.

وقيل: منزلان، ينتقل من أحدهما إلى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته...

وقيل: هما جنة لعقيدته، وجنة لعمله. أو جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها، وأخرى يتفضل بها عليه، أو إحداهما روحانية، والأخرى جسمانية.

وقيل: جنة عدن، وجنة نعيم.

وقيل: جنة لمن خاف مقام ربه من الإنس، والأخرى لمن خاف مقام ربه من الجن، لأن الخطاب موجه للفريقين الإنس والجن.

أما عن وصف هاتين الجنتين، فقد روى الترمذي رحمه الله، **عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة جنتين آنيتهما وما فيهما من فضة وجنتين آنيتهما وما فيهما من ذهب وما بين القوم وبين ان ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"** (سنن الترمذي: ح٢٥٢٨/ج٤/٦٧٣).

قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

عن أبي الدرداء "ان النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ **فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال النبي ﷺ الثانية ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وإن سرق فقال الثالثة** ولمن خاف مقام ربه جنتان **فقلت وإن زنى وإن سرق قال نعم وإن رغم أنف أبي الدرداء"**. (تفسير أبي حاتم: ح١٨٧٤٢/ج ٧/ص٣٣٢٦).

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

آلاء: نعم الله، ومفردها نعمة، ومفرد آلاء، ألىً.

خطاب استفهام وتقرير للثقلين (الإنس والجن) لحثهم على التفكر والتدبر بنعم الله وآلائه لكل من كذب منهم أو جهل أو غفل عنها... ويستحب لمن سمع هذه الآية أن يقول: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد.

عن جابر بن عبدالله قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: "مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد". (تفسير البغوي: ٤/٢٦٨).

﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾.

نعت لهاتين الجنتين، وأفنان جمع فنن، أي الغصن. وأفنان: هو ما دق ولان من الأغصان.

ومما جاء في هذا النعت، أنهما ذواتا أنواع عديدة من الأشجار والثمار.

قال ابن عباس: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾: ذواتا ألوان.

وقال ابن جرير: أي فيهما فنوناً من الملاذ.

وقال عطاء: كل غصن يجمع فنون من الفاكهة.

وقال الربيع ابن أنس: واسعتا الفناء.

وقال غيرهم: ذواتا ثمار وظلال. (انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٢٧٨، الدر المنثور: ٧/٧٠١، روح المعاني: ٢٧/١١٧).

عن أسماء بنت أبي بكر قالت "سمعت النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال: يسير الراكب في ظلّ الفنن منها مائة عام ويستظلّ في الفنن منها مائة راكب فيها فراش من ذهب كأنّ ثمارها القلال". (تفسير الثعلبي: ٩/١٤٣).

وبعد كل نعت، يتكرر خطاب الاستفهام والتقرير.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: **"ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد"**.

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ ماؤهما غزير، وسهل ويسير، ينساب من تحت الأشجار.

قيل فيهما:

﴿ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾: إحداهما يقال لها تسنيم، والأخرى السلسبيل: أحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين.

وقال آخرون: عينان من الماء تجريان حيث شاء صاحبهما من الأعالي والأسافل من جبل من مسك....

وقال ابن عباس: ﴿ عَيْنَان﴾ مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة، ﴿ تَجْرِيَان ﴾ بالزيادة والكرامة على أهل الجنة. (روح المعاني: ١١٧/٢٧).

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: "ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد".

ومن جريان عينا تسنيم وسلسبيل، تتفتح الأزهار، وتثمر الأشجار بشتى الأصناف والألوان.

﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ﴾.

زوجان: نوعان منهما، يابس ورطب، ولا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب. (روح المعاني: ١١٧/٢٧).

وبتنوع الثمار وما تحويه من صنوف كثيرة ومتعددة، بعضها معروف كما في الدنيا، والآخر لا يعرف إلا في هاتين الجنتين، فيه إشارة إلى تعدد ملذات أهل الجنتين لما يجدونه في طعم كل صنف من لذة تختلف عن صنفها الآخر.

ثم إن أشجار الجنة وثمارها لا تجتمع مع أشجار الدنيا بشيء إلا من خلال المسمى.

قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل، إلا أنه حلو، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء. (روح المعاني: ١١٧/٢٧).

والذهب النفيس ينمو ويلف سيقان شجر الجنة:

أخرج الترمذي، وابن حبان، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **"ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب"**. (سنن الترمذي: ح٢٥٢٥/ج٤/٦٧١).

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن وهب بن منبه - رضي الله عنه - قال إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها زهرها رياط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها ياقوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهي مجلس من مجالس أهل الجنة ومتحدث. (الدر المنثور: ٤/٦٤٥).

وتحت الظلال وعلى ضفتي العينين، تسنيم وسلسبيل، تفرش وتمد الفرش، ليطيب الاتكاء برائحة النسيم ولذيذ والثمار:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

الاتكاء: وضعية جلوس ممتعة لا تأتي هيأتها ومتعتها إلا من خلال صحة بدن، وراحة نفس، وفراغ قلب.

إستبرق: مخمل الحرير وسميكة.

فإذا ما كانت بطائن الفرش بهذا اللين، وهذا الجمال، فكيف تكون ظواهرها؟

أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ ﴾، قال: أُخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر؟! (الدر المنثور: ٧/٧٠٧).

وجاء في تفسير ابن كثير:

قال مالك بن دينار: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور.

وقال الثوري: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من الرحمة. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٧٨).

وقد يكون في ذكر الله سبحانه وتعالى لبطائن الفرش وما هي عليه من زينة

وجمال، دون ذكره سبحانه وتعالى لظواهرها، ما يظهر من عظيم إكرامه وتكريمه الذي يشمل كل ما في الجنة سواء أكان مكشوفاً أم مستوراً للعيان، بعكس ما يقوم به أهل الدنيا من تزيين وتجميل ظواهر الأشياء دون الاهتمام ببطائنها، الأمر الذي يؤدي إلى عدم الشعور بالمتعة الكاملة، واقتصارها على ما ظهر منها.

وقد يكون أيضاً السبب من وراء عدم ذكر الله تعالى لظواهر الفرش، وذكره تعالى لبطائنها، من أجل إطلاق حد التصور والتخيّل لما هي عليه من جمال، خاصةً بعد معرفة جمال بطائنها. أو لأن السبب، هو لعدم مقدرة العقل البشري على أدراك ماهية وطبيعة هذه الظواهر، وخاصة إذا ما كانت من غير ما يألفه البشر في هذه الدنيا.

ومع نعومة الفرش تأتي نعومة وسهولة جني الثمار:

﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾.

فثمار الجنتين طيبة ولذيذة، ومما يزيد من طيبها وتلذذها، أنها قريبة، مذللة ودانية من أهلها، وفي كل مكان، وقطوفها سهلة المنال.. ينالها القائم والقاعد والمضطجع.

قال تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ سورة الحاقة: الآية ٢٣.

وقال جل وعلى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ سورة الإنسان: الآية: ١٤.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تدنو الشجرة حتى يجتنيها وليّ الله، إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء مضطجعاً. (تفسير أبي السعود: ١٨٥/٨).

لا بل إنها قد تدنو إلى أقرب من ذلك الحد، وكما قال مجاهد: ثمار الجنتين دانية إلى أفواه أربابها، فيتناولونها متكئين، فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم، فيتناولونها مضطجعين، لا يرد أيديهم عنها بُعد، ولا شوك. (روح المعاني: ١١٨/٢٧).

ومن طرف الرفاهة والدلال، ينتقل النعيم خطوة.. فإذا النور يتلألأ بقدوم قاصرات الطرف:

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قاصرات الطرف: أي قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يمتد طرفهن إلى غير أزواجهن.

لم يطمثهن: لم يفتضهن، أي بمعنى أنهن أبكار عذارى.

وهؤلاء، قاصرات الطرف هن أزواج الإنس والجن من أهل الجنتين، من نسائهم في الدنيا وحور عين الجنة، وقد جمعن إلى جانب صفات الحسن والجمال، صفات العفة والصون، فلا ينظرن إلا على أزواجهن، ومصونات لم يمسسهن إنس ولا جان، فجميعهن عذارى، وإن جامعهن أزواجهن عدن أبكاراً.

أخرج البزار والطبراني في الصغير وأبو الشيخ في العظمة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا". (الدر المنثور: ١/١٠١).

وأما عن جمالهن وحسنهن، فهن في حسنهن ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾

فهن يجمعن ما بين صفات الياقوت، في حمرة الوجنة وصفاء البشرة، وبين صفات المرجان من حيث بياض البشرة وصفائها. وذلك أن الياقوت فيه الحمرة وفيه الصفاء.

قال القرطبي عنه: لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته، لرأيته من ورائه. (تفسير القرطبي: ١٧/١٨٢).

أما المرجان، فهو كما أورده ابن منظور: اللؤلؤ الصغار، أو نحوه، واحدته مرجانه.

والظاهر أن صغار الدر، أنصع بياضاً من كباره، كما ألمح الزمخشري: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان، وهو أشد بياضاً. (الكشاف: ٤/٤٥١).

ومهما قيل في وصف حسنهن وجمالهن، فإن هذا الوصف لن يتعدى الحد الأدنى من عظيم جمالهن الذي يفوق حد إدراكنا وتصورنا.

أخرج البيهقي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، في قوله تعالى:

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾، قال: "ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره، حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك". (الترغيب والترهيب: ٤/ ٢٩٨).

وأخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه، قال: حدثني رسول الله ﷺ: "... لو أن بعض بنانها بدا لقلب ضوءه ضوء الشمس، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها...". (الدر المنثور: ٦٠٧/٧).

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود، قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم، من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. (مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠).

وإذا ما تتبعنا وصف قاصرات الطرف في هذه الآيات الكريمة لنجد أن الله سبحانه وتعالى قد قدم صفات العفة والصون على صفات الحسن والجمال، وذلك لعلمه بما في فطرة عباده التي أوجدها فيهم من حبهم وميلهم إلى ما في العفة من ارتياح وراحة نفس، وكما هو الحال في الحياة الدنيا، فإذا ما اجتمعت العفة والصون أولاً مع الجمال والحسن ثانياً، أكتمل النعيم والاستمتاع لهم.

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

وهذا الجزاء هو جزاء من خاف مقام ربه، فعبده كأنه يراه، فحسن عمله وحسنت طاعته، ومن حسن عمله وحسنت طاعته، حسن جزاؤه وثوابه عند الله تعالى.

وقد ألمح بعض المفسرين، ومنهم سيد قطب، إلى أن هاتين الجنتين قد تكونان لفريق السابقين المقربين المذكورين في سورة الواقعة، وأن الجنتين التي دونهما - كما سيأتي - هما لفريق أصحاب اليمين.

﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

وهاتان الجنتان أقل درجة عما سبقهما، وهما لأصحاب اليمين كما سبق وأن

ذكرنا.

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾، وقوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾، قال: "جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من فضة لأصحاب اليمين". (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٠).

قال ابن عباس: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾، من دونهما في الدرج. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٠).

وما دامت هاتان الجنتان أدنى من الجنتين السابقتين، فإن أوصافهما حتماً ستكون أدنى منهما، وكما سوف نلاحظه.

﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾

وهذه الآية الكريمة هي أقصر آيات القرآن الكريم على الإطلاق. ومعنى ﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾: أي سوداوان من شدة خضرتهما.

قال ابن عباس: ﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾ قد اسودتا من الخضرة التي من الريّ من الماء. (تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٢٧).

وبهذا الوصف، ﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾، ما يلقي في النفس متعة طيبة، لما تجده النفس من الخضرة في جمال الطبيعة الفاتن.

وإذا ما قارنا هنا بين جنتي المقربين وما بين جنتي أصحاب اليمين، لنجد أن وصف جنتي المقربين يغلب عليها الأشجار الكثيفة لما جاء في وصفها على أنها ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ بينما جنتا اصحاب اليمين فيغلب عليهما النباتات الممتدة على سطح الأرض، أمثال الأعشاب والرياحين، فهما ﴿ مُدْهَآمَّتَان ﴾ والخضرة الشديدة في الأغلب تطلق على الأعشاب أكثر منها على الأشجار.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

أيضاً بعد كل آية، ترد هذه الآية، ولا نقول إلا ما حببه إلينا رسول الله ﷺ من

القول: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد.

﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿ نَضَّاخَتَان ﴾: أي فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

وهنا جاءت العينان نضاختان، بينما هناك فيما سبق فهما عينان تجريان، والجري يكون أقوى من النضخ.

أخرج ابن شيبه، عن انس، قال: نضاختان بالمسك والعنبر، تنضخان على دور الجنة، كما ينضخ المطر على دور أهلا الدنيا. (روح المعاني: ١٢٢/٢٧).

وهذا ما يشبه فوارات ونوا فير الماء التي تستخدم لريّ النباتات، أو لزيادة المتعة والاستمتاع لما يلقيه الماء المتناثر من صوره جمالية في النفس، والشبيهة بحبات اللؤلؤ المتناثر، التي ينعكس من خلالها أطياف الضوء.

ومع تناثر حبيبات الماء تنبت النباتات ويثمر الشجر:

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

بينما هناك: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ۝٥٢ ﴾ أي شاملة على شتى أنواع الفاكهة، بينما هنا فاكهة غير محدده نوعاً وصنفاً وعدداً، وقد لا تشمل شتى أنواع الفاكهة الموجودة في جنتي المقربين، والله تعالى اعلم.

أما نخل الجنة فساقه الذهب، وجذوعه الزمرد، وثمره أطيب من العسل:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة أهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم. (حادي الأرواح: ١١٥/١).

وغراس نخل الجنة، يغرسه المؤمن وهو في الدنيا بكلمه خفيفة:

عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**". (صحيح الجامع: ح ٦٤٢٩. صحيح الترمذي للألباني: ٢٧٥٧).

وحب رمان الجنة فيه عجب، وطيب:

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: "نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب". (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٠).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير، يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل. (الترغيب والترهيب: ٥٦٩٦، ج٤/ص٢٩٣).

أيضاً أهل هاتين الجنتين لديهم من السكن ما تسكن اليه نفوسهم من الخيرات الحسان ذوات الحسن والجمال:

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

ومعنى ﴿ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾: أنهن مشتملات على سائر نواحي الخير، من خير الخَلق والخُلق، فهن خيرات، وحسان الأخلاق والوجوه فيما بطن منهن وفيما ظهر.

أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود، قال: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، لكل خيمة أربعة أبوب، يدخل عليها كل يوم من الله تحفة وكرامة وهدية، لم تكن قبل ذلك، لا مراحات، ولا طماحات، ولا بخرات، ولا ذفرات، لا سخرات، حور عين كأنهن بيض مكنون. (تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٧٦٣، ج١٠/ ٣٣٢٨).

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾

﴿ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾: أي أنهن قصرن أنفسهن وقلوبهن وأبصارهن على أزواجهن، فقصرن في خيامهن لم يخرجن منها.

وفي هذا المعنى ما يوحي أيضاً على أنهن متواجدات في خيامهن في كل

الأوقات إذا ما قدم أزواجهن إليهن وفي أي ساعة شاءوا. وهذا يتقارب مع ما يحسه المؤمن من الشعور الطيب في الحياة الدنيا عندما يأتي بيته في كل مرة، فيجد زوجته بانتظاره واستقباله. وهذا الشعور يضاف إلى الشعور الجميل الذي يجده الإنسان في طابع حياة البداوة المتكشفة عن جمال الطبيعة الساحر من خلال تلك الخيام.

ولكن أيّ خيام هذه من خيام الجنة؟

أخرج الشيخان، والترمذي، عن **أبي بَكْرِ بن عبد اللهِ بن قَيْسٍ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "إنَّ لِلْمُؤْمِنِ في الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً من لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِ فيها أَهْلُونَ يَطُوفُ عليهم الْمُؤْمِنُ فلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾**". (صحيح مسلم: ح ٢٨٣٨/ج٤/٢١٨٢).

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي وغيرهم، عن ابن عباس، قال: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، **لها** أربعة الآف مصراع من ذهب. (الدر المنثور: ٧/٧١٩).

روى الترمذي عن أبي سعيد قال "قال رسول الله ﷺ **ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء**". (تفسير الثعالبي: ٤/٣٧٣).

وهذا الفضل هو لأدنى أهل الجنة، فكيف يكون إذن فضل ونعيم أهل الجنتين من المقربين وأصحاب اليمين؟!

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾

فهن يشتركن أيضاً مع زميلاتهن قاصرات الطرف في الصون والعفاف - وكما تقدم- وذكر بهذا الخصوص.

ثم يعقب هذا النعيم صورة أخرى من زوايا المتعة وراحة النفس لأهل هاتين الجنتين فهم:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

الرفرف: وسائد أو فرش مرتفعة.

عبقري حسان: بسط ذات خمل رقيق، يظهر فيها الإبداع ودقة الصنع، لذا فهي نفيسة وفاخرة. وقد كانت العرب تطلق على كل نفيس وفاخر انه عبقري نسبة إلى عبقر بلد الجن.

وألوان هذه الفرش جاءت لتتناسق مع ما حولها من خضرة، فهي خضراء بخضرة ما حولها من النباتات، وهذا ما يعطي صورة جمالية رائعة في نفوس أصحابها، فيزدادون نعيماً على نعيم اتكائهم.

ومع أن أصحاب هاتين الجنتين على هذا الوصف من النعيم المخملي، إلا أن نعيمهم هو دون نعيم أصحاب الجنتين السابقتين.

ومهما قل نعيم أهل الجنة عامة إلا انه يبقى عظيماً وخارجاً عن الوصف، وإن أدنى نعيم في الجنة ليضاهي ويفوق كل ما في الدنيا من نعيم.

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "مَوْضِعُ سَوْطٍ في الْجَنَّةِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها" (صحيح البخاري: ح ٣٠٧٨، باب ما جاء في صفة الجنة، ج٣/ص ١١٨٧).

وأخرج الترمذي وابن أبي الدنيا عن **سعد** ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره، لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم. (الدر المنثور: ١/٩٣).

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد.

فسبحان الله الكريم، ذي الجلال والإكرام:

﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

ويجيء ختام آلاء تلك الجنان مع ختام السورة، بالتسبيح على ربها الذي أوجدها وأصلحها ودبرها وأقامها وكما شاء لها وأراد، بعظيم قدرته وإكرامه، فهو الله ﴿ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

قال المفسرون: أي صاحب العظمة والكبرياء، والفضل والإنعام. (صفوة التفاسير: ٣/٢٨٤. وانظر: البحر المحيط: ٨/٢٠٠).

وقد قدمت الآية الكريمة صفة الجلال على صفة الإكرام، إذ أن الجلال فيه معنى يتضمن التعظيم والتسبيح والخضوع، ثم يليه الإكرام وفيه معنى التذلل والتطلع والتماس الرحمة فيما عند الله.

" ذي الجلال والإكرام"، هو اسم من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وهو اسم جامع للرهبة والخشية من الله، والرغبة والرجاء فيما عنده.

وهو أيضاً اسم العلو الجامع التام الذي جمع الله فيه كل صفات الجلال والجمال فكان الكمال الذي لا يناله أحد غيره، وجمع فيه ما بين صفاته وأفعاله، وربط فيه بين صفات الألوهية وصفات الربوبية.

٤٨- الجنة في سورة الواقعة

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الواقعة: الآيات: ١٠ - ٤٠.

تستعرض هذه الآيات الكريمة جزءاً يسيراً من بعض جل النعيم الذي أعده الله سبحانه وتعالى في جنته لفريقين من عباده الصالحين، هما وكما ذكرهم الله تعالى، فريق " السابقون " وفريق " أصحاب اليمين".

ثم تبدأ الآيات بتفصيل قدر ذلك النعيم الذي جاء بقدر قرب كل فريق منهما عند الله، لتبدأ بالفريق الأقرب والمقرب من الله تعالى شأنا وقدراً ومنزلةً، وهو فريق: ﴿ ٱلسَّـٰبِقُون ﴾.

قال المفسرون: أي السابقون إلى الخيرات والحسنات. (انظر: صفوة

التفاسير: ٢٨٩/٣. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٤).

والسابقون هم - توكيد يصيب عين الحقيقة - السابقون - انقطع الشك - هم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ في نعيم القرب الأسمى من الله تعالى: ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.... ونعيم هذه الجنات لا يقارب نعيم قربهم من الله بشيء.

ثم يتقدم التفصيل منهم لمحة، فإذا هم ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾.

عددهم محدود، وأوله يفوق آخره، فهم كثير في الأولين وقليل من الآخرين. ومع أن عددهم محدود إلا أنهم هم الأسمى والأعلى، بعلو إيمانهم، ولسمو عملهم، لذا فهم قد سبقوا غيرهم فكانوا هم ﴿ ٱلسَّٰبِقُون ﴾ ﴿ ٱلۡمُقَرَّبُون ﴾ ﴿ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ و ﴿ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾.

وأما عن تحديد من هم الأولون، ومن هم الآخرون، فقد تعددت الأقاويل باختلاف المفسرين في شأن كل منهم (انظر: ظلال القرآن: ٣٤٦٣/٦. صفوة التفاسير: ٢٨٩/٣. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٤. وصف الدور الثلاثة: ص٢٨٩).

فمنهم من قال: إن الأولين هم السابقون إلى الإيمان ذوو الدرجة العالية فيه من الأمم السابقة قبل الإسلام، والآخرين هم السابقون إلى الإسلام ذوو البلاء فيه.

بينما ذهب البعض إلى القول: إن الأولين والآخرين هم من أمة محمد ﷺ، فالأولون من صدرها، والآخرون من متأخريها، وهذا ما بُني عن قول الحسن وابن سيرين، وقد رجحه ابن كثير فيما روى عنهما:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفنان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المزني، سمعت الحسن أتى على هذه الآية: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

فقال: أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من اصحاب اليمين، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد السري بن يحيى، قال: قرأ الحسن: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ

ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾... قال: ثلة ممن مضى من هذه الأمة. وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، أنه قال في هذه الآية ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ ... قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أنهم يكونون كلهم من هذه الأمة. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٥).

ويمكن أن نرجح - والله أعلم - أنهم كلهم من هذه الأمة، لما نستشفه من الأحاديث والآيات الآتية:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "إني لأرجو أن يكون من اتبعني من أمتي ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن يكون من أمتي الشطر ثم قرأ ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾". (الدر المنثور: ٨/١٩).

والله تعالى لا يخيب رجاء أقرب الخلق إليه رسوله الكريم محمد ﷺ. وبما أن رسول الله ﷺ هو الأقرب من الله تعالى فإنه لا يرضى حتى يقرب الله تعالى منه خيرة أمته.

قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ سورة الضحى: الآية: ٥.

أيضاً هذه الأمة هي خير الأمم بشهادة ربها وخالقها.. وخالق سائر الأمم:

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ سورة ال عمران: الآية: ١١٠.

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي عن بن بُرَيْدَةَ عن أبيه قال "قال رسول اللهِ ﷺ أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ منها من هذه الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ من سَائِرِ الْأُمَمِ". (سنن الترمذي: ح٢٥٤٦/ج٤/٦٨٣).

وبما أن عدد هذه الأمة التي أخرجت للناس يفوق غيرهم من الأمم في الجنة فإنهم هم المقربين الذين قال الله تعالى عنهم:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾

وهذا لا يمنع من وجود السابقين إلى الخيرات من الأمم السابقة بينهم. إنما الأكثرية هم من هذه الأمة، أمة سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، من اقترن اسمه مع ذكر الرحمن، وبشهادة كل من يدخل في الإسلام.

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾

السرر: جمع سرير، وهو الذي يجلس عليه ويضطجع، وقد يكون مشتقاً من السرور، إذ كان في الدنيا لأولي النعمة والسعادة.

موضونة: منسوجة من الذهب بإحكام. (كلمات القرآن تفسير وبيان: ص٣٠٨).

وبداية النعيم من بعد بداية نعيم القرب من الله، هو نعيم الاتكاء والاضطجاع على سرر الذهب، المحكمة الصنع، فهي منسوجة مع بعضها البعض كحلق الدرع، ومشبكه بالدر والياقوت.

قال ابن عباس: "موضونة" أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة. (مختصر ابن كثير: ٣/٤٣٠).

وهي سرر كريمه بإكرام الله تعالى على أهلها الذين ينظرون إلى وجهه الكريم غدوة وعشية.

قال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية. (معارج القبول: ١/٣٣٨).

وفي هذه السرر متعه حسية، تنبثق عنها متعة الراحة والطمأنينة والاستقرار، لا بل إنها تتعداها لتشمل المتعة الروحية، متعة الاتكاء والمقابلة. فأصحابها ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾. والمقابلة هي مقابلة أُنس ومودة وحسن العشرة، فنفوسهم مهذبة، ونظراتهم مطهرة، لا تنظر ولا ترى إلا إلى كرم الوجه، فوجوه بعضهم إلى بعض، وليس منهم أحد وراء أحد، ولا يرى أحد قفا أحد. وتطوف بهم سررهم إلى حيث شاءوا وإلى من أرادوا أن يقابلوه من أهلهم وأحبتهم.

قال المفسرون: أي وجوه بعضهم إلى بعض، ليس أحد وراء أحد، وهذا

أدخل في السرور، وأكمل في أدب الجلوس. (صفوة التفاسير: ٢٨٩/٣).

وبعد طواف السرر... طواف الحس والروح... ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾

ومن خلال ظلال النعيم، وهم في سمرهم مستأنسون، أنس اتكاء وحديث، يأتيهم ما لذ وطاب من لذيذ الشراب، يأتي إليهم.. ولا يأتون إليه، ويطوف عليهم به ولدان مخلدون، لا يأتي عليهم الدهر بالهرم والكبر، فتتجعد بشرتهم، وتخبو حركتم، فيتباطئ طوافهم وخدمتهم.

إنما هم باقون على هيئتهم، دائبون على الخدمة وباحثون عنها ليقدموها لمن يطلبونها دون كلل أو ملل.

وهذا ما يميز خدمتهم عن الخدمة التي تقدم لأهل الدنيا والتي لا يقدمها الخدم إلا من بعد أن يطلبها المخدوم، وبعد فترات من الانتظار قد تتآكل معها لذة ما كانت تشتهيه نفسه.

ويستمر طواف الولدان مع استمرار جريان أنهار الخمرة التي لا تقل ولا تنفد، فتمتلئ الأكواب والأباريق من هذه الخمرة الجارية مجرى الماء من العيون، وهي مع جريانها صافيه وسائغة، لا تتعكر مع شربها النفس، فلا تصدع الرأس، ولا تحط من منزلة العقل، فالعقل باق ومتزن، يتخير من النعيم ما يهوى ويريد.

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

وفي التخيير ضرب من التكريم تنطلق معه الإرادة وحرية الاختيار فيما يراد ويشتهى من هذه الفاكهة، وفيه أيضاً دلاله على كثرة أنواع الفاكهة وتعددها، وتنوع أصنافها، وتوفرها في كل الأوقات، فحصادها باق لا ينتهي بوقت، كما هي حال فاكهة الدنيا التي لا تتجاوز وقت حصادها بكثير، لتجف بعدها وتسقط عن أشجارها، وبعكس فاكهة الجنة التي لا تجف ولا تنضب ولا تفنى، فيتخير عباد الله المقربون من هذه الفاكهة خيارها لذة وطعماً، وكل فاكهة الجنة لذيذه وطعمها طيب. إلا أنه قد يكون المقصود من معنى " يتخيرون" هو الاختيار من بين هذه

الأصناف لأن لكل صنف منها طعماً ومذاقاً يتميز بهما عن غيره من سائر أصناف وأنواع الفاكهة أو أنهم يتخيرون من نفس الصنف، لاختلاف المذاق ما بين الثمرة والأخرى من الصنف ذاته كما هو حال ثمار الدنيا، إلا أن اختلاف المذاق في الجنة يكون فضلاً على فضل وطيباً على طيب ولذة على لذة.

وقد استدل بعض العلماء على جواز التخيير في أكل الفاكهة من خلال هذه الآية.

وثمار الجنة زاهية، باقية، متجددة في كل وقت، فالثمرة التي تقطف، تعود ثمره أخرى مكانها:

أخرج الطبراني عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى". (تفسير ابن كثير: ح١٤٤٩٢/ج٢/ص٥١٨).

وعناقيدها ممتدة وعظيمة:

عن عبد الله بن عمرو أنه قال وهو بالشام: العنقود أبعد من صنعاء. (تفسير الصنعاني: ٣/٢٦٧).

وأهل الجنة لا يأكلون الفاكهة عن جوع، فلا جوع في الجنة، إنما يأكلونها زيادة في التمتع والتلذذ، فهي تقدم لهم قبل سائر الأطعمة.

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

ونلاحظ هنا أنه قد ورد ذكر اللحم وفيما يشتهى منه في هذه الآية الكريمة بعد ذكر الفاكهة وفيما يتخير منها، إشارة لما قد سبق وذكر من أنه لا جوع في الجنة، وأن طعام أهل الجنة يراد منه زيادة في متعتعهم وتلذذهم في الجنة، بالإضافة إلى ما يظهر من لفظ التخيير والاشتهاء ما يطابق هذا المعنى.

وقد أشار الفخر الرازي إلى ذلك في الجزء ٢٩، في الصفحة ١٥٣ من التفسير الكبير، مبينا ما يخرج عن هذين اللفظين: (.... انه تعالى لما بين أن الفاكهة دائمة الحضور والوجود.. واللحم يشتهى ويحضر عند الاشتهاء دل هذا على عدم الجوع، لأن الجائع حاجته إلى اللحم أكثر من اختياره اللحم، فقال: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ ﴾ لأن الحال في الجنة يشبه حال الشبعان في الدنيا، فيميل إلى الفاكهة أكثر، فقدمها)، انتهى.

كما أن تنعم وتلذذ أهل الجنة بالفاكهة واللحم مع وفرتهما وفي أي وقت، يعني أنهم يتنعمون ويتلذذون بغيرها من أنواع الأطعمة، وكما هو حال المتنعمين بهما في الدنيا، مع حفظ الفارق فيما بينهما.

وقد خصت الآية الكريمة ذكر لحم الطير عن سائر أنواع اللحوم، لحقيقة كونه أنعم أكُلاً وأطيب مذاقاً وأسرع هضماً، وتهفو إليه النفس فتشتهيه، لذا فهو موجود في الجنة وكما تشتهيه الأنفس.

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: "إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة فقال أبو بكر إن هذه لطير ناعمة فقال آكلها أنعم منها قالها ثلاثا وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها". (تفسير ابن كثير: ٤/٢٨٨).

وأخرج البزار، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: **"انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه، فيخر بين يديك مشويا"**. (مسند البزار: ح٢٠٣٢/ج٥/٤٠١).

ثم إن طيور الجنة إذا ما أكُلت، عادت كما كانت لتطير من جديد:

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: "إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير". (الدر المنثور: ج٧/ص٣٩١).

وبعد هذا النعيم يأتي نعيم آخر لهؤلاء المقربين:

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾

والحور العين هن من نساء الجنة اللواتي أكرم الله تعالى بهن عباده المقربين، إكرام حس وروح لما فيهن من سكن وأمن، وهن واسعات الأعين وفي غاية الحسن والصفاء والجمال، وصفاؤهن شبيه بصفاء ونقاء اللؤلؤ المكنون الذي لم يتعرض للمس أو حتى للنظر، فهو مستور ومصون عن الأعين، ولا يرى هذا الحسن والجمال إلا أزواجهن.

قال سيد قطب: واللؤلؤ المكنون هو اللؤلؤ المصون، الذي لم يتعرض للمس والنظر، فلم تثقبه يد ولم تخدشه عين! (ظلال القرآن: ٦/٣٤٦٤).

وكل هذا النعيم والتكريم هو:

﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾.

وما جزاء الإحسان عند الله إلا الإحسان، فهذه هي المكافأة لهم على أعمالهم التي عملوها في دار العمل، وهي مكافأة لا تعدلها مكافأة، إكراماً وإحساناً من الله تعالى لهم.

ومع نعيم حور العين وما فيهن من هدوء وسكون، فإنهم يُحيّون بطيب الكلام الذي يخلو من اللغو والآثام:

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴾

وهذا هو نعيم آخر من النعيم الروحي لهؤلاء المقربين ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾.

قال القرطبي عن عباس: لا يسمعون باطلاً ولا كذباً. (تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٠٦).

فهم لا يجدون في الجنة ما يعكر عليهم هدوءهم وسكنهم من لغو الكلام الذي قد يقلل من استمتاعهم بنعيم الجنة.

لذا فهم لا يسمعون فيها من قبح وفحش الكلام أو كثرته التي لا تفيد ولا تضر، أو من بعض ألفاظه الساقطة التي قد تلحق عليهم الإثم وانتشار العداوة فيما بينهم، والجنة تخلو من كل لغو وكل إثم، ثم أنهم في الدنيا قد نهوا عن هذا اللغو، وأعرضوا عنه ولم يقتربوا منه، فكان إعراضهم هذا من إحدى صفاتهم التي أثنى الله تعالى عليها، فنعتهم ومدحهم بها، واعتبرها من أسباب فلاحهم ووراثتهم لهذه الجنة، جنة الفردوس.

قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ

مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝﴾ سورة المؤمنون: الآيات: ١ - ١١.

فاللغو لا يمكن أن يجتمع مع هذه الصفات الطيبة، لذا فلا وجود له في قاموس كلام أهل الجنة، فلا يلحقهم من بعده إثم ولا آثام. فهم في دار السلام... دار خير الكلام والأقوال:

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾

والسلام موات لما هم فيه من هدوء وسكون، لذا فهم يحيّون بتحيته، وينعمون بنعمته. فهو في كل مكان منهم، وقريب منهم، يتنزل عليهم من الله السلام، ومن ملائكته، ويتقاولونه فيما بينهم، وحياتهم كلها سلام بسلام.

جاء في البحر: والظاهر أنه استثناء منقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم. (البحر المحيط: ٢٠٦/٨).

ويستمر طيب السلام والكلام ليشمل بنعيمه الفريق الآخر الذي يلي فريق المقربين: فريق أصحاب اليمين:

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾

قال ميمون بن مهران: أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين. (تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٤).

وقد أسماهم الله تعالى أيضاً بأصحاب الميمنة في الآية الثامنة من هذه السورة، أي أصحاب اليُمن والبركة (انظر الجلالين الميسر: ص٥٣٥)، وهم من الذين يؤتون كتبهم بأياديهم اليمنى.

وفريق أصحاب اليمين هم دون فريق المقربين، وجميعهم من السابقين، إلا أن لكل فريق منهم نعيماً.

وبعد أن كشف الستار عن نعيم المقربين، يأتي الذكر على نعيم أصحاب

اليمين، فإذا هم:

﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾

السدر: هو شجر النبق.

مخضود: أي لا شوك فيه. (كلمات القرآن تفسير وبيان: ص٣٠٩).

والسدر يعرف بثماره الطيبة المذاق، وأشواكه اللاذعة المؤذية، التي قد لا تسلم منها يد كل من حاول أن يجنيها.

لكنه هنا لأصحاب اليمين قد جاء مختلفاً عنه في الدنيا، فهو سدر مخضود، قد خضد شوكه، وجعل مكان كل شوكه ثمرة أعظم من القلال، وجعل فيه من الثمر الكثير.

روى الحافظ أبو بكر النجار، **عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم قال أقبل أعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ وما هي قال السدر فإن له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ أليس الله تعالى يقول:** ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨ ﴾ **خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها لتنبت تمرا ففتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر طريق آخر.** (تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٤، وجاء نحوه في روح المعاني: ١٤٠/٢٧).

﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾

قال المفسرون:

الطلح: هو شجر عظيم من شجر الحجاز وهو من نوع العضاة وفيه شوك كثير.

وقيل: هو الموز الذي نضدت ثماره فوق بعضها البعض من أول الشجرة إلى آخرها حتى لا يرى ساقها من كثرتها.

ومنضود: أي متراكم الثمر.

قال مجاهد: (منضود): أي متراكم الثمر، يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعضون منه وضلاله من طلح وسدرة.

وقال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل.

وقال ابن أبي حاتم عن أبي سعيد ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ قال: الموز.

وقال مجاهد وقتادة: ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب. (انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٨٩، تفسير القرطبي: ٢٠٨/١٧، روح المعاني: ١٤٠/٢٧).

ومهما تقاربت أو تباعدت الآراء والأقاويل عنه، فإنه يبقى من أشجار الجنة التي لا يجد فيها أهل الجنة إلا النعيم والاستمتاع العظيم.

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾

الظل الممدود: أي الدائم الذي لا تنسخه الشمس، فهو ظل باق لا يزول، والعرب تقول عن كل شيء طويل أنه ممدود. (انظر: تفسير البغوي: ٢٨٢/٤. الكشاف: ٥٨/٤. البحر المحيط: ٢٠٦/٨. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص٣٢١).

وديمومة الظل هي نتيجة كثافة أشجار الجنة وضخامتها وكبر حجمها، وظل الجنة ليس كظل الدنيا، إنما هو ظل ظليل، لا حر معه ولا برد، ولا يمل ولا يكل منه.

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾ النساء الآية ٥٧.

أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عامة لا يقطعها وذلك الظل الممدود. (روح المعاني: ١٤٠/٢٧).

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام يخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم

ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله تعالى ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا. (روح المعاني: ٢٧/١٤٠).

قال مجاهد: هذا الظل من سدرها وظلها. (البحر المحيط: ٨/٢٠٧).

وهذا القول يوافق ويتماشى مع كثافة شجر السدر في الجنة.

وقال الضحاك والسدي، في قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ : لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٩١).

ومما جاء، فإن ذلك يدل على أن هذا الظل هو ظل ممتد ومنبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وهو من ظلال الأشجار التي لا تنسخها الشمس. وقد وصف الله تعالى حال هذه الظلال بأنها تدنو من أهل الجنة، بقوله تعالى:

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ سورة الإنسان: الآية: ١٤.

وتلك الأشجار والظلال يرويها الماء المسكوب من حولها، والذي هو من جُل نعيم أصحاب اليمين:

﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾

والماء المسكوب: هو الماء الجاري بدون أخدود، وجريانه دائم دون انقطاع أو فتور. (انظر: صفوة التفاسير: ٣/٢٩١).

أما كونه ماء مسكوباً، وبدون أخدود، فهذا يعني أنه يشبه الماء الذي يُهرق على سطح مستوٍ، دون أن يكون هناك حائل يمنعه من الوصول إلى أي مكان، وحسب كميته.

أما في الجنة فهو ماء منتشر في كل مكان، سائح على وجه أرضها، دون أي ضرر، فهو ليس كماء الدنيا الذي قد يتسبب بحدوث الأضرار والدمار حال فيضانه، فتنقلب نعمته إلى نقمة. ووجود هذا الماء على هذا الشكل، يعطي صورة جمالية رائعة، يتنعم بها أصحاب اليمين من خلال رؤيته وهو ينساب من بين أشجار الجنة ومساكنها من غرف وقصور وخيام، بالإضافة إلى لذة طعمه ومذاقه، وصفاء لونه

ونقائه الذي لا يتغير ولا يتبدل سواء من طول فترة بقائه أم من الأشياء التي تخالطه خلال انسيابه وجريانه، لأنه ماء غير آسن، وكما في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ...﴾ سورة محمد: الآية: ١٥.

ولأشجار الفاكهة أيضاً من الماء المسكوب نصيب:

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾

قال المفسرون: "لا مقطوعة" في زمن "ولا ممنوعة" بثمن. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٥).

وكثرة فاكهة الجنة دليل على تواجدها في كل مكان من **الجنة** وحيثما وجد وتواجد أهلها، مع تعددها واختلاف ألوانها وأصنافها ومذاقها، ومنها ما هو معروف لأصحاب اليمين من خلال معرفتهم له في الدنيا، أو أنه مما عرفوه في **الجنة**، وهو مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال الحافظ أبو يعلى عن جابر، قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما رأيناك كنت تصنعه فقال: إني عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه. (تفسير ابن كثير: ج٢/ص٥١٨).

وكون هذه الفاكهة كثيرة لا يحدها مكان، فإنها أيضاً لا يحدها زمان، فهي لا تنقطع بوقت من الأوقات كفواكه الدنيا، بل إنها متوفرة وحصادها دائم لا ينقطع، وهي أيضاً **لا** يحد ولا يحظر عليها، حال فواكه الدنيا، والتي تقام على بساتينها الأسلاك الشائكة والأسوار التي تحد وتمنع غير أصحابها من تناولها والتصرف بها.

وهي أيضاً ليست ممنوعة على أحد سواء بسبب بُعد بعض أغصانها عنهم بحيث لا يمكنهم الوصول إليها، أم بسبب أنها تباع وتشترى فلا يقدر بعضهم على ثمنها، أو بسبب مرض من الأمراض، التي قد يؤدي تناولها إلى إحداث مضاعفات

وخيمة لا تحمد معها العاقبة، حيث إن بعض أنواع الفاكهة يقوم الأطباء بحظره عن بعض مرضاهم، كنوع من العلاج الوقائي، وهذا ما يعرف بالحمية الغذائية، والجنة خاليه من كل الأمراض والعلل، وكلها نعيم، لذا فهي فاكهه ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾.

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾

"فرش ": جمع فراش، وهو ما يفترش سواء للجلوس عليه أو للنوم.

"مرفوعة ": أي أنها مرتفعة عن الأرض، وعالية وطيئة ناعمة، أو مرفوعة على السرر. (صفوة التفاسير: ٢٩١/٣. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٥).

وهذه الفرش هي فرش وثيرة وفاخرة يرتفق ويتنعم بها أصحاب اليمين، فينظرون وهم يجلسون عليها إلى ما أولاهم ربهم من ملكهم ونعيمهم، وكأنهم يشاهدون هذا الملك من خلال شاشات العرض التلفزيونية المكبرة من أمامهم، فهي فرش مرفوعة على سرر مرفوعة كما وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ سورة الغاشية: الآية: ١٣.

وفي ارتفاع هذه الفرش ما يلقي في نفوسهم الكثير من المتع الحسية والروحية، من خلال مشاهدتهم الواسعة لمناظر الجنة البهية التي تزداد معها متعتهم الحسية، لما يجدون في نفوسهم من معاني الارتفاع من رفعة وعلو ومنزلة كريمة. تزداد معها متعتهم الروحية.

وارتفاع هذه الفرش فيما بينها قد لا نأتي على تصوره أو إدراكه إلا من خلال ما بينته الأحاديث النبوية الشريفة:

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾. قال: "ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض".

وبلفظ الترمذي قال: "ارتفاعها، لكما بين السماء والأرض، مسيرة خمسمائة سنه". (إحياء علوم الدين: ٥٣٩/٤).

قال الآلوسي: ولا تستبعد هذا من حيث العروج والنزول، فالعالم عالم آخر فوق طور عقلك، تنخفض للمؤمن إذا أراد الجلوس عليها ثم ترتفع به، والله على كل شيء قدير. (روح المعاني: ١٤١/٢٧).

ومتعه أصحاب اليمين الحسية والروحية تكتمل بوجود من قال الله تعالى فيهن:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٨٧.

اللاتي جعل الله تعالى فيما بينهن وبينهم مودة ورحمة، مع اختلاف نشأتهن عن نشأة الحياة الدنيا:

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾

والضمير،"هن" في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ ﴾ لا يعود على متعين من نساء الجنة، إنما أُريد به التعميم ليشمل، الحور العين، ونساء الدنيا.

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾: أي: الحور العين خلقهن الله تعالى من غير ولادة، وهذا بالنسبة إلى الحور العين، أما خلق نساء الدنيا فسيأتي الحديث عنه لاحقا.

عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ خلق الحور العين من الزعفران. (تفسير أبي حاتم: ح١٨٥٥٩/ج٣٢٩٠/١٠)

وأخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال: إن الله لم يخلق الحور العين من تراب، إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران. (الدر المنثور: ٤٢١/٧).

وإنشاء الله تعالى لنساء الجنة يشمل أيضاً نساء الدنيا الصالحات، فيعيد الله تعالى خلقهن من جديد، فالصبية، والعجوز والعمشاء والرمضاء...... الخ. يجعلهن الله تعالى أترابا على سن واحد وبنات ثلاثة وثلاثين، ويعدن أبكاراً عذارى.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصار فقالت يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: إن الجنة لا يدخلها عجوز

فذهب يصلي ثم رجع فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة فقال إن ذلك كذلك إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا. (الدر المنثور: ١٦/٨).

كما أخرج ابن المبارك عن الحسين قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: "يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز" قال: فولت تبكي، فقال: "أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴾". (مرآة الجنان، السنة الحادية عشرة: ج١/ص٥٣).

﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴾

أبكارا: أي عذارى.

ونساء الجنة كافة هن عذارى. أبكاراً، لم يمسسهن أحد قبل أزواجهن.

قال تعالى: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ سورة الرحمن: الآية: ٧٤.

أخرج البزار والطبراني في الصغير وأبو الشيخ في العظمة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا". (الدر المنثور: ١٠١/١).

وأخرج البزار والطبراني والخطيب والبغدادي في تاريخه عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة فقال: "إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء". (الدر المنثور: ١٠٠/١).

أما عن قدره المؤمن التي يصل معها إلى هذا العدد من العذارى، فقد **أخرج الترمذي في السنن عن أَنَسٍ عن النبي ﷺ قال يُعْطَى الْمُؤْمِنُ في الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا من الْجِمَاعِ قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ أويطيق ذلك قال: "يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ"**. (سنن الترمذي: ح ٢٥٣٦/ج٤/ص٦٧٧).

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾

عرباً: بضم الراء وسكونها جمع عروب، وهي المتحببة إلى زوجها عشقاً له.

أتراباً: جمع ترب، أي مستويات في السن. (انظر: روح المعاني: ١٤٣/٢٧).

ونساء الجنة محبات لأزواجهن وفخورات بهم، ولا يعشقن غيرهم، ويحمدن الله تعالى على أن جعلهن من أزواجهم.

روى الصحابي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال عن هؤلاء النساء: "أنها تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله، الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي". (زاد المسير: ٥٨/٧).

وروى الترمذي، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن اصواتاً لم يسمع الخلائق مثلها". قال: يقلن: "نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كان لنا وكنا له". (سنن الترمذي: ٦٩٦/٤).

وقد روى الطبراني حواراً لطيفاً عن نساء الجنة، دار بين إحدى زوجات النبي ﷺ، أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها، وبين زوجها رسول الله ﷺ:

قالت أم سلمة: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل:

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ ﴾ سورة الرحمن: الآية: ٧٠.

قال النبي - ﷺ -: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه "

سألته: فاخبرني عن معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ سورة الصافات: الآيتان: ٤٨- ٤٩.

قال: "رقتهن كرقة الجلد الذي في داخل البيضة مما يلي القشر".

قالت: يا رسول الله.... أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟

قال: "نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة".

قالت: يا رسول الله!..... وبم هذا؟

قال: "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل، ألبس الله سبحانه وتعالى

وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، وهن يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن:

" ألا ونحن الخالدات فلا نموت.....

ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً.....

ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا.....

ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً.....

طوبى لمن كنا له وكان لنا..... ""

قالت: المرأة قد تتزوج أكثر من رجل واحد في الدنيا، ثم تموت وتدخل الجنة، فمن يكون زوجها في الجنة ممن تزوجتهم في الدنيا؟

قال: "يا أم سلمة.... إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: أي ربي إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه... يا أم سلمة، لقد ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة". (المعجم الأوسط، للطبراني: ج٣/ص٢٧٩).

وهكذا فإن رسول الله ﷺ يكون قد أجاب عما يدور في خلد المؤمنات من تساؤلات.

وما مضى من النعيم فهو قد خصص وأعد ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾، وهم ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ وهم أكثر عدداً من السابقين المقربين.

أخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ قال الثلتان جميعا من هذه الأمة. (الدر المنثور: ج٨/ص١٩).

ب. قال تعالى:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الواقعة: الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

تصور هاتان الآيتان الكريمتان مصير العباد بعد أن بلغت أرواحهم الحلقوم - فيما سبق من آيات - واستدارت بها الحياة الزائلة، لتستقبل الحياة الأبدية الخالدة:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾

قال القرطبي: والمراد بالمقربين السابقون المذكورين في أول السورة. (تفسير القرطبي: ١٧/٢٣٢).

فأما إن كان هذا العبد من عباد الله المحسنين السابقين، المقربين، الذين قربهم الله تعالى منه، وخصهم بما مضى من النعيم، فإن له عند ربه: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾، أي استراحة ورزق حسن وجنة واسعة يتنعم بنعيمها، وكما بينته الآيات السابقة، من حيث أن حياة عباد الله المقربين من أهل الجنة هي حياة كلها نعيم وفرح ومسرة وراحة، لما هم فيه من الأجواء الناعمة والهادئة والخضراء التي تعبق برائحة لذيذ شرابها وفاكهتها الكثيرة، ونباتاتها الريحانية التي تنشر بعبق رائحتها الطيبة العطرة أجواء الجنة، فتحرك في نفوسهم وأرواحهم لذة الاستمتاع الحسي والروحي.

٤٩- الجنـة في سورة الحديد

ورد ذكر الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ سورة الحديد: الآية: ١٢.

إن الإيمان اليقين نور مشرق، يستمد أطيافه وهداه من دين الحق الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور. وإذا ما أشرق نور الحق في كيان المؤمن واستقر في قلبه وضميره، فإن روحه تسطع وتشع بهذا النور الذي يقشع من حولها ظلمات الجهل، والخرافات، والتخيلات التي تتغير وتتبدل معها المبادئ والقيم، لتسير من بعدها وراء الملذات والشهوات، فتستبيح كل ما هو رديء وقبيح.

لكنها مع هذا النور تتكشف لها حقائق القيم، وحقائق الأشياء، وحقائق التصورات، فتراها من أمامها واضحة وجلية، دون غش ودون غبش، فلا تخفى عليها خافية حقها وبطلانها، فتسير في طريق الحق دون أرجحة، فالطريق واحد وواضح وصريح، مستنير من أمامها بما تحمله من زاد الإيمان وفضائل الأعمال، وكلما زاد إيمانها زادت أعمالها فزاد هدي نور دربها، الذي يستمر هديه وهداه ونوره إلى يوم القيامة....

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴾

فيرى هذا النور وهو يشع من بين أيدي المؤمنين والمؤمنات وبأيمانهم، فيشع ويتلألأ ليضيء لهم الطريق وهم يجتازون الصراط، حتى إذا ما اجتازوه، سار معهم إلى حيث جنتهم.

بين الزمخشري المراد بقوله تعالى "بين أيديهم وبأيمانهم": لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم. (الكشاف: ٣٤٢/٤).

وكما أن للإيمان والأعمال درجات، فإن لهذا النور أيضاً درجات، تتفاوت مع تفاوت درجات إيمان وأعمال المؤمن.

عن أبي المتوكل الناجي قال قال رسول الله ﷺ إن الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ما هذا فيقال له هذا نور أخيك فلان فيقول أخي فلان كنا نعمل في الدنيا جميعا وقد فضل عليّ هكذا قال فيقال له إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى. (الزهد لابن المبارك: ح١٠٠/ج١/ص٣٣).

ومن المؤمنين من نوره لا يتجاوز قدمه، ومنهم من يضيء نوره مرة ويطفأ مرة، ومنهم من يمتد أمامه قدر بصره.

روى ابن أبي حاتم، وابن جرير، عن عبد الله بن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط... منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة. (تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٤).

قال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فقالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا .. ﴾ سورة التحريم: الآية: ٨. (تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٤).

وهكذا فإن نور المنافقين لا يلبث أن يطفئ، ولا يستمر معهم طويلاً، كما هو حال نفاقهم وأعمالهم في الدنيا التي وصفهم الله تعالى بها بقوله:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٧.

ونور المؤمنين من هذه الأمة هو من إحدى السمات المميزة لهم يوم القيامة عن سائر الأمم، وبه يميزهم ويعرفهم رسول الله ﷺ عن غيرهم من الأمم:

أخرج الإمام أحمد بن حنبل عن أبي الدَّرْدَاءِ قال: قال رسول اللهِ ﷺ أنا أَوَّلُ من يُؤْذَنُ له بِالسُّجُودِ يوم الْقِيَامَةِ وأنا أَوَّلُ من يُؤْذَنُ له أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ فَأَنْظُرَ إلى بَيْنِ يدي فَأَعْرِفَ أمتي من بَيْنِ الأُمَمِ وَمِنْ خلفي مِثْلُ ذلك وَعَنْ يميني مِثْلُ ذلك وَعَنْ شمالي مِثْلُ ذلك فقال له رَجُلٌ يا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ من بَيْنِ الأُمَمِ فِيمَا بين نُوحٍ إلى أُمَّتِكَ قال هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من أَثَرِ الْوُضُوءِ ليس أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ وَأَعْرِفُهُمْ إنهم يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى نورهم بين أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ. (مسند أحمد بن حنبل: ح٢١٧٨٥/ج٥/ص١٩٩).

وكما هو نورهم بين أيديهم وبإيمانهم، فإنهم يؤتون كتبهم بإيمانهم، وتنادي عليهم الملائكة نداء تعلوه روح البشارة:

﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

ورد في الجلالين أن الملائكة تقول لهم بشارة دخول الجنة. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٣٩.

فيشعر هؤلاء المؤمنون من خلال هذه البشارة بلطف الله تعالى ورحمته بهم التي شملهم بها، فآمنوا وصدقوا بهذا اليوم.. يوم الفزع الأكبر، وفازوا بنعيم جنته، وبنعيم خلودهم فيها، فوزاً طيباً ليس قبله ولا بعده فوز، و: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

ب. قال تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ سورة الحديد: الآية: ٢١.

قال المفسرون: أي تسابقوا أيها الناس وسارعوا بالأعمال الصالحة التي

توجب المغفرة لكم من ربكم، قال أبو حيان: وجاء التعبير بلفظ "سابقوا" كأنهم في ميدان سباق يجرون إلى غاية مسابقين إليها، والمعنى سابقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان، وعمل الطاعات. (صفوة التفاسير: ٣/٣٠٩ - ٣١٠. وانظر: البحر المحيط: ٨/٢٢٥).

إن مغفرة الله سبحانه وتعالى هي سبب الفلاح والنجاح في الدنيا ولآخرة، وهذه المغفرة لا تأتي إلا من خلال معرفة منابع الإيمان السوي، الذي يوجه ويقود إلى خيرات الأعمال وصالحها.

ولما كان الإنسان بطبعه وفطرته الخطأ والنسيان، فإن فضائل ما يقوم بها من الأعمال تحط وتذهب عنه بعض سيئات أعماله التي ألمت به نتيجة خطئه ونسيانه.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ سورة هود: الآية: ١١٤.

ثم جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان باباً مفتوحاً على مصراعيه هو باب التوبة والاستغفار، يدخله في أي وقت شاء، ليمحو ويكفر عما شاء الله له من ما تبقى من ذنوبه وآثامه.

وبالاستغفار والمغفرة... تأتي وتقبل النعم وتدوم إلى ما شاء الله تعالى لها وقدر. وبالاستغفار... ينهمر المطر، فيخضر الشجر...

وبالاستغفار... ينمو المال ويزداد ويكثر...

وبالاستغفار... يدفع العقم ويبشر بالأنثى قبل الذكر...

وبالاستغفار... تثمر الجنات وتزدهر...

وبالاستغفار... يجري الماء ويتشكل النهر...

قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ سورة نوح: الآيات: ١٠ - ١٢.

وهذا ما تأتي عليه ثمرة الاستغفار والمغفرة في الدنيا، وأما في الآخرة فإن

ثمرة مغفرة الله تعالى هي أجلَ وأكبر، لا تأتي ولا تخطر على قلب بشر... أنها جنة: ﴿ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أعدت للذين تزودوا بزاد الإيمان والتقوى، فسارعوا إلى ميادين العمل والاستغفار وطلب المغفرة من ربهم.

قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة ال عمران: الآية: ١٣٣.

وما دام أن الله تعالى هو من أعد هذه الجنة وهيأها لعباده المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ فإن هذه الجنة لا شك عظيمة بعظمته، كريمة بكرمه، يملؤها جوده وفضله.. فضله الذي يتفضل به على من يشاء من عباده: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾.

وهذا هو فضل الله تعالى وعطاؤه الواسع الجليل على عباده المؤمنين، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾، الذي لا يوازي فضله ولا يجاريه فضل وإحسان.

قال المفسرون: أي ذو العطاء الواسع والإحسان الجليل. (صفوة التفاسير: ٣/ ٣١٠).

٥٠- الجنة في سورة المجادلة

قال تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة المجادلة: الآية: ٢٢.

قال الرازي: المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه، لأنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب مودة أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان. (التفسير الكبير: ٢٧٦/٢٩. وانظر: صفوة التفاسير: ٣٢٤/٣).

لقد جاء هذا الدين الحنيف برسالته السمحة بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقى مبادئ وأصول التربية الإسلامية التي شهد لها القاصي والداني، فغرس ووطد في نفوس وقلوب المؤمنين براعم المحبة والإخوة، هذه المحبة المستمدة من تعاليم ومبادئ هذا الدين الحنيف، فكان أن آخى بين المهاجرين والأنصار، ورسم أُطر العلاقة التي تجتمع عندها الأسرة، ونمى عناصر المحبة والألفة فيما بين الناس، فأمرهم أن يتحابوا في الله، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وحررهم من قيود التبعية الجاهلية وعصبيتها القبلية، وجعل من الرابط الإيماني الأساس الذي تقوم عليه أواصر القربى والمحبة، حتى أحب المؤمن لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه.

وهكذا سار المؤمنون في مجتمعهم ومنذ بداياته الأولى على أساس هذا الرابط الإيماني، حتى إذا ما تقابلوا مع رابطهم مع أواصر قربى الجاهلية، وجاءت

تلك المفاضلة بين حزبهم حزب الله، وبين حزب الشيطان، ظهر ذلك الرابط في قلوبهم بقوة، ليجذبهم إليه ويجردهم من تلك القربى التي حَادَّ أصحابُها الله ورسوله، فكانوا في حزب الشيطان.

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

فمع هذا الرابط الإيماني لا يمكن أن نجد أو نرى من تبعه وآمن بالله واليوم الآخر يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، فمحبة الله تعالى ورسوله الكريم لا تجتمع مع محبة أعدائهم الكافرين في قلب واحد، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولا محبة مع الإيمان لهؤلاء الكافرين حتى، ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾. فهم كافرون، يحادون الله ورسوله، ولا يلتقي حبهم مع الإيمان حتى وإن التقى هؤلاء الكافرون مع المؤمنين في أواصر القربى وأقربها إليهم، كآبائهم، وطاعة الآباء واجبة ما دامت في غير معصية الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا محبة لمن تعلقت بهم القلوب من الأبناء، ولا للإخوة وإن جاءت معهم القوة والعزة، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا محبة لمن ضمتهم قربى ورابط القبلية والعشيرة. فكل رابط من روابط الدم والقرابة يلغى ويتقطع إذا ما سرى عليه حد الإيمان.

قال ابن كثير: نزلت: ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ في (أبي عبيدة) قتل أباه الجراح يوم بدر. ﴿ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ في الصديق همّ بقتل ابنه (عبد الرحمن بن أبي بكر)، ﴿ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ ﴾ في (مصعب بن عُمير) قتل أخاه عبيد بن عُمير يومئذ. ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ في حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة يوم بدر. (مختصر تفسير ابن كثير، ٣ / ٤٦٧).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾

فهؤلاء الطائفة من العباد قد ثبت الله تعالى الإيمان في قلوبهم، وكتبه، ليبقى المحرك والمسيّر لهم بلا زوال ولا اندثار.

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ ﴾

فوافاهم بنصره وتأييده، ومع روح الله تشرق القلوب، وتسعد بنورها، وتحيى بعزة وقوة شروقها.

قال ابن عباس: نصرهم على عدوهم، وسمى ذلك النصر روحاً لأن به يحيا أمرهم. (التفسير الكبير، ٢٩ / ٢٧٧).

﴿ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

وما جزاء حب الله تعالى وحب رسوله الكريم، إلا الخلود الأبدي في جنات البساتين الفسيحة التي تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهارها الجارية، والخلود في كل نعيم من نعيم هذه الجنات التي أعدها الله تعالى ثواباً وجزاء منه لمن أحبه من عباده وأحل عليه رضاه ورضوانه:

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾

ومن هنا يظهر أجمل معنى من معاني التكريم، فالمؤمنون اليوم في مقام عال ورفيع، وفي جو راض وديع، يشعرون بنعيم الرضا الذي أحله الله تعالى عليهم، بعد أن تقبل منهم أعمالهم ورضي عنها وعنهم. فرضوا برضاه، وتقبلوا ما أعد لهم في جنته وهم في غاية الرضا والأنس والطمأنينة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِ ﴾

فهم جماعته المجتمعة تحت لواء رحمته.

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

فما داموا في حزبه وجماعته، فإنهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

٥١- الجنـة في سورة الحشر

قال تعالى:

﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾

سورة الحشر: الآية: ٢٠.

قال المفسرون: أي لا يتساوى يوم القيامة الأشقياء والسعداء. أهل النار وأهل الجنة في الفضل والرتبة. (صفوة التفاسير: ٣/٣٣٦).

لا يستويان طبيعةً وحالاً، ولا عملاً ولا سلوكاً، ولا نهجاً ولا منهجاً، وهل يستوي الظل والحرور، أو الظلمات والنور؟... لايستويان ولا يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان.

فلكل منهما وجهة ونهج وطريق، ومصير الكافرين لا يلتقي مع مصير المؤمنين في طريق، فهل يستوي النعيم مع الحريق..؟

والمؤمنون طيبون.. أعمالهم طيبة وتخرج عن طيب إيمانهم وتقوى نفوسهم. والكافرون نفوسهم نجسة.. أعمالهم خبيثة ولا تخرج عن كونها سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فهل يستوي الطيّب مع الخبيث..؟

والعمل الطيب طريقه إلى جنة ونعيم.. والخبيث مصيره إلى نار وجحيم، فهل يستوي الطيب مع الخبيث..؟

لا يستويان، ولا يلتقيان... ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾.

يقول ابن القيم في كتاب (زاد المعاد) ما مختصره:

إن.. الله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة. وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدور ثلاثة: دار أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين، وقد جمعت كل طيب، وهي الجنة، ودار أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النار، ودار امتزج فيها الطيب والخبيث، وخلط بينهما، وهي هذه الدار، ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك

بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة، ميز الله تعالى الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في دار على حده، لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار على حده، لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنة، وهي دار الطيبين، والنار، وهي دار الخبيثين، وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم...

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى جعل للسعادة والشقاوة عنواناً يعرفان به، فالسعيد الطيب لا يليق به إلا الطيب، ولا يأتي إلا طيباً ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يلابس إلا طيباً، والشقي الخبيث، لا يليق به إلا الخبيث، ولا يأتي إلا خبثاً، ولا يصدر منه إلا الخبيث، فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه، والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه، وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله تعالى به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة مطهراً... فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة، ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكاً، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث، صلح حينئذ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً، وأبطؤهم خروجاً، جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة.

ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرئاً من الخبائث، كانت النار حراماً عليه، إذ ليس فيه ما يقضي تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فطرة عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، ورب العالمين، لا اله إلا هو. انتهى. (زاد المعاد: ١/٦٧ - ٦٨).

٥٢- الجنة في سورة الصف

قال سبحانه وتعالى:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ سورة الصف: الآية: ١٢.

بين المفسرون أن من يؤمن بالله ورسوله ويجاهد في سبيله فإن الله تعالى يستر ويمحو ذنوبه ويدخله الجنة، ويسكنه في قصور رفيعة في جنات الإقامة الدائمة. (انظر: الجلالين الميسر: ص٥٥٢. صفوة التفاسير: ٣/٣٥٣).

أعد الله سبحانه وتعالى جنته وطهرها من كل رجس ودنس، لتكون لعباده الصالحين خير مستقر وأحسن مقيلا.

ولما كانت هذه الجنة طيبة وكل ما فيها طيب، فإن مشيئة الله تعالى وحكمته اقتضت على أن لا يجاوره فيها ولا يدخلها إلا من كان طيباً ويخلو من الذنوب والآثام، ومن كل دنس ومن كل آفة صغرت أم كبرت.

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال قال رسول الله ﷺ: "خلق الله جنة عدن بيده وذلل فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال لها تكلمي فقالت** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾ (المؤمنون الآية ١) **فقال وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل"**. (الدر المنثور: ج١/ص٩٣).

ثم جعل الله تعالى من رحمته بعباده سُبلاً تنقيهم وتطهرهم من ذنوبهم وآثامهم، فمن آمن منهم بالله ورسوله، وجاهد في سبيله حق جهاده بماله ونفسه، غفر الله له ما شاء من ذنوبه، وحتى إذا ما جاء يوم القيامة ورجحت كفة حسناته على سيئاته، لم يدخل الجنة حتى ينقى من ما تبقى من سيئاته ومظالمه.

جاء في الصحيح، **عن أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال قال رسول اللهِ ﷺ: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ من النَّارِ فَيُحْبَسُونَ على قَنْطَرَةٍ بين الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فيقتص لِبَعْضِهِمْ من بَعْضٍ مَظَالِمُ كانت بَيْنَهُمْ في الدُّنْيَا حتى إذا هُذِّبُوا**

وَنُقُّوا أُذِنَ لهم في دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ في الْجَنَّةِ منه بِمَنْزِلِهِ كان في الدُّنْيَا". صحيح البخاري: ح٦١٧٠/ج٥/٢٣٩).

وإذا ما دخل المؤمنون الجنة، والجنة كلها درجات ومنازل، نزع الله تعالى من صدورهم غل الحسد والتحاسد، والكره والتباغض، ليكونوا من بعده إخواناً على سرر متقابلين.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ سورة الحجر: الآية: ٤٧.

وبذلك يلتقي طيب المؤمنين مع طيب الجنة، وتتم مشيئة الله تعالى وحكمته.

﴿ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾

وهي مساكن كريمة وطيبة بطيب الكريم الذي أعدها وهيأها لعباده المتقين، فالله سبحانه وتعالى عظيم وجنته عظيمة.

أخرج ابن المبارك، والطبراني، وأبو الشيخ، والبيهقي، **عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا "سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية** ﴿ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ﴾ **قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع**". (تفسير القرطبي: ١٠/ص١٧٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة وسطها شجرة تنبت الحلل، ويأخذ بأصبعه أو قال بأصبعيه سبعين حلة منظمة بالدر والمرجان. (تفسير القرطبي: ١٠/٣٩٧).

أخرج ابن أبي شيبة وهناد عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. (الدر المنثور: ج٧/ص٧١٩).

والمساكن الطيبة تكون طاهرة وزكية ومستلذة بلذيذ وبهاء ما حولها من نعيم:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ: أَلا هَلْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ. (صحيح ابن حبان، باب وصف الجنة وأهلها: ح ٧٣٨١/ ج ١٦/ص ٣٨٩).

أخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجة، وغيرهم عن أبي هريرة، قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال ﷺ لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولايفنى شبابه. (تفسير ابن كثير: ج٤/ص٥٠).

٥٣- الجنة في سورة التغابن

قال عز وجل:

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ سورة التغابن: الآية: ٩.

تصور الآية الكريمة مشهداً من مشاهد يوم الحساب، هذا اليوم الرهيب الذي يجمع الله تعالى فيه الخلائق كلها على مختلف الأزمان والعصور ومنذ أن خلقها، في صعيد واحد ليحاسب ويوفي كل نفس جزاءها على ما قدمت وأخرت من أعمال ليوم جمعها هذا.

قال ابن كثير: سمي " يوم الجمع " لأن الله تعالى يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ سورة هود: الآية ١٠٣. (تفسير مختصر ابن كثير - ٣ / ٥٠٩).

وهذا اليوم العظيم تشهده وتحضره الملائكة كافة وبأعدادها الهائلة، التي لا يمكن تصورها إلا من خلال ما تكشفه لنا الأحاديث النبوية الشريفة وبما يتقارب من إدراكنا:

أخرج الترمذي عن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله عليه وسلم: **"إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى"** (صحيح الجامع: ح ٢٤٤٩، وصحيح ابن ماجة: ح ٣٣٧٨).

فكم يكون عدد هذه الملائكة التي هي حاضرة مع الخلائق في يوم الجمع هذا مع اتساع السموات كافة والتي تظهر فيها شمسنا مع عظم حجمها وكأنها هباءة طائرة، ومع هذا فليس هناك موضع من أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد!!

﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾

التغابن: أصله من الغبن، وهو أخذ الشيء بدون قيمته، والمغبون: من غبن أهله ومنازله في الجنة. (انظر: تفسير الخازن: ٤/١٠٤).

وفي هذا اليوم يغبن أهل الجمع بعضهم بعضاً، فيغبن أهل الحق أهل الباطل، وهل هناك من غبن أعظم من غبن أهل الجنة لأهل النار؟.. وكأن أهل النار يستبدلون الخير بالشر، والجيد بالرديء، والنعيم بالجحيم، فيأخذ منهم أهل الجنة ما كان لهم من خير في الجنة من الأهل والمنازل، وذلك لأن لكل كافر أهلاً ومنزلاً في الجنة فيما لو أسلم، وكذلك المؤمن فإن له منزلاً في النار يستبدله مع الكافر، فيأخذ المؤمن منزل الكافر الذي في الجنة، ويأخذ الكافر منزل المؤمن الذي في النار.

أخرج سعيد بن منصور وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر بن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله". (الدر المنثور: ج٦/ص٩٠).

وقال مجاهد: ما من عبد إلا وله منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار لأنهم أطاعوا ربهم عز وجل. (تفسير ابن كثير: ٣/٢٤٠).

كما ثبت أيضاً في صحيح مسلم (ح ٢٧٦٧)، عن النبي ﷺ، قال: "**إذا كان يوم القيامة، دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقال: هذا فكاكك من النار**" فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ بذلك، قيل: فحلف له.

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾

فالإيمان الصادق بالله تعالى وما يتبعه من الأعمال الصالحة، يأتي بالنتيجة الطيبة التي تكفر وتزال معها السيئات، فمن وقع منه التصديق مع العمل الصالح أستحق تلك النتيجة.

﴿ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

وهذا هو أثر الإيمان الصادق والعمل الصالح بعد تكفير السيئات.. جنات الخضرة، والبساتين التي تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار المختلفة ألوانها.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ﴾

ومع نعيم البساتين، أيضاً نعيم الخلود والبقاء الأبدي الذي لا يأتي عليه وقت أو زمان ينقص منه أو يحدد بقاءه وزواله.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

وذلك هو الفوز الذي لا فوز قبله، والسعادة التي لا سعادة تطولها وتوازيها.

٥٤- الجنة في سورة الطلاق

قال جل جلاله:

﴿ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ سورة الطلاق: الآية: ١١.

جاء في البحر: أن الذكر هو القرآن، والرسول هو محمد ﷺ. (البحر المحيط: ٨/٢٨٦).

﴿ رَّسُولا ﴾

وهذا الرسول هو النبي الأمي محمد ﷺ، الذي اصطفاه الله تعالى واختاره من بين سائر خلقه بهذه الرسالة، فأنزل عليه ذكره، فتعلمه وتدبره وطبقه في حياته، في ذاته وكيانه وخاطره، وأصبح هذا القرآن خلقه الذي لا يفارقه ولا يبارحه إضافة إلى ما كان عليه من طيب الخلق، وهكذا وصفته زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة، رضي الله عنها، بقولها: كان خلقه القرآن.

ومن كان خُلُقُه القرآن فهو حريٌّ بأن يكون على خلق عظيم، وبشهادة ربه، رب العالمين، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ سورة القلم: الآية: ٤.

هذا الخلق الذي لا يدرك مداه عند الله أحد من العالمين.

والناظر في سيرة الرسول الكريم، كالناظر في هذه العقيدة، فيجد العنصر الأخلاقي بارزاً وأصيلاً فيه، ومثالاً حياً لمبادئها التشريعية وأصولها التهذيبية، من عدل ورحمة، وطهارة ونظافة، وأمانة وصدق، وبر وحفظ عهد، وأمر بمعروف ونهي عن منكر... الخ.

والله أعلم حيث يجعل رسالته.

يقول سيد قطب في ظلال القرآن، ج ٦ / ٣٦٥٦:

«إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء. فتطيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء، في تماسك وفي توازن، وفي طمأنينة، طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم، ثم يتلقى - بعد ذلك - عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة، ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئاً ولا تلك.. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم، والعبد الطائع، والمبلغ الأمين.

إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة، وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه البشر، وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها، وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار!» انتهى.

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ ﴾

وكذلك كان رسول الله ﷺ حفيًا بحمل هذه الرسالة، وحفيًا بأن يتلو ويقرأ على المؤمنين ما جاءه من بينات الذكر الحكيم، فيبين لهم ما يحتاجون إليه من أحكام الحلال والحرام في حياتهم الدنيا، وما ينفعهم بها في الآخرة. (انظر: صفوة التفاسير: ٣/٣٧٩).

﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾

وإذا ما تعلم المؤمنون هدي هذه الآيات، فإن سنة الله تعالى ومشيئته تحقان عليهم فيخرجهم بهدي بيناته من ظلمات الضلالة إلى نور الهدي والهداية، ومن ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم. وهذه هي مبادئ الدعوة التي جاء بها رسول الله ﷺ، والتي لم يسألهم عليها أجراً، ولم يرض بغيرها بديلاً. وهذا هو هدي هذا الدين الذي لخصه الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب، وشهد على

صدقه النجاشي ملك الحبشة، يوم هجرة الحبشة، فأمنهم في أرضه هو وإخوانه المهاجرين، ورد كيد الكافرين:

«قال جعفر، رضي الله عنه:

أَيُّهَا الْمَلِكُ كنا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ونأتي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ ونسيي الْجِوَارَ يَأْكُلُ القوي مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا على ذلك حتى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلى اللهِ تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ ما كنا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا من دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ وَأَمَرَ بِصِدْقِ الحديث وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ قال فَعَدَّدَ عليه أُمُورَ الإِسْلَامِ فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ على ما جاء بِهِ فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فلم نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَحَرَّمْنَا ما حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا ما أَحَلَّ لنا فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا فَفَتَنُونَا عن دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إلى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ من عِبَادَةِ اللهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ ما كنا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ وَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إلى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ على من سِوَاكَ وَرَغِبْنَا في جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ قالت فقال له النجاشي هل مَعَكَ مِمَّا جاء بِهِ عَنِ اللهِ من شيء قالت فقال له جَعْفَرٌ نعم فقال له النجاشي فَاقْرَأْهُ علي فَقَرَأَ عليه صَدْراً من كهيعص قالت فَبَكَى والله النجاشي حتى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حتى اخضلوا مَصَاحِفَهُمْ حين سَمِعُوا ما تَلَا عليهم ثُمَّ قال النجاشي إِنَّ هذا والذي جاء بِهِ عيسى لَيَخْرُجُ من مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَداً وَلَا أَكَادُ». (مسند أحمد بن حنبل: ٥/٢٩١).

ونور الهدى الذي أتى به عيسى عليه السلام هو نور الهدى الذي أرسل به رسول الله تعالى محمد ﷺ، وهو النور الذي استنار به النجاشي ليحكم على هؤلاء المؤمنين ويشهد لهم على صدق نبيهم، ويرد على قريش هداياها التي جمعتها وأرسلتها مع عمرو بن العاص، كي يسلمهم المهاجرين إليه من أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

قال علماء السلف: إن العمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى يعتبر شرطاً في كمال الإيمان. (تفسير الجلالين الميسر: ص ٥).

وهذه هي القاعدة الثابتة التي لا تتحول ولا تتبدل للوصول إلى رحمة الله تعالى ودخول جنته.

فالعمل الصالح لا يكفي لدخول الجنة دون أن يكون مقروناً بالإيمان وهذا ما يتميز به المؤمنون عن الكافرين، فالكافرون وإن اشتد كفرهم فإن لهم أعمالاً صالحة يقومون بها نابعة من بذور الخير التي زرعها الله تعالى في الفطرة الإنسانية، وهذه الأعمال يوافيهم الله تعالى ثوابها في الدنيا، ويحرمهم من خيرها يوم الآخرة، بينما أعمال المؤمنين فإن خيرها يشملهم في الدنيا، فيوسع الله تعالى عليهم في رزقهم ويبارك لهم فيه، ويدفع عنهم شر ما قدر لهم، وهذا لا يعني أن لا يشملهم الله تعالى ببعض من الابتلاء وشيء من الخوف، تمييزاً لهم، وتطهيراً يقودهم إلى أصل رحمته وخيره الذي يدفع به خطاياهم ويكفر عنهم سيئاتهم، وأما في الآخرة فإن لهم نعيم الخلود في نعيم الجنات التي تجري فيها سائر الأنهار، ما علمنا منها وما لم نعلم.

﴿ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾

والله تعالى هو الرزاق في الدنيا والآخرة، فبعد نعمة الذكر والهدى والنور والصلاح ونعيم الرزق والخلود في الجنات، يأتي التذكير بأن هذا الرزق هو أحسن الرزق، ولا يعادله رزق الدنيا، فهو هنا في الجنة رزق دائم غير مقطوع، وغير ممنوع، وكما تشتهيه الأنفس وتتلذذ به الأعين. (انظر: في ظلال القرآن: ٦/٣٦٠٦).

٥٥- الجنة في سورة التحريم

أ. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ سورة التحريم: الآية: ٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾

أي توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة صادقة خالصة، بالغة في النصح الغاية القصوى. (صفوة التفاسير: ٣/٣٨٦).

هذا هو النداء الإلهي الرفيق الوثيق والرحيم لهذه الأمة من الله تعالى خالقها، يوجهها إلى ما فيه فلاحها وصلاحها، فيدعوها إلى الإقبال على باب الخير والرحمة، والمنفعة في الدنيا والآخرة، باب التوبة النصوح.. التوبة التي تجلي القلب من كل ذنب، وتصفي النفس من كل رجس ودنس، فيتجدد إيمانها ويرسخ في كيانها، فتبادر إلى أداء الطاعات وعمل الخيرات.

فالتوبة واجبة من كل ذنب، ومن كل أثم ومعصية، ومن تاب قبل يوم المآب فقد عصم نفسه من عذاب يوم الآخرة، ونال من الله تعالى الخير والفلاح.

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ سورة النور: الآية: ٣١.

والمؤمن الكيّس الفطن هو من يتألم ويشعر بالندم إذا ما بدر منه ذنب أو إثم، فيبادر إلى تطهير نفسه من لوثه ودنسه ولو كان في ذلك حتفه وهلاكه، ليلقى الله تعالى وهو مطهر ومنقى من الذنوب والآثام، فيفوز برحمته ورضاه، وهذه هي التوبة النصوح التي يقلع فيها المؤمن عن الذنب، ويندم عليه، فلا يعود إليه مرة أخرى.

وقد حث النبي ﷺ أمته على الإكثار من التوبة والاستغفار، لما في التوبة من محبة وفرح وسرور، وفي والاستغفار من صفح وعفو وستر.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٢٢٢.

روى الإمام مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ، قال: "**لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حين يَتُوبُ إليه من أَحَدِكُمْ كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ منها فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا قد أَيِسَ من رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هو كَذَلِكَ إذا هو بها قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قال من شِدَّةِ الْفَرَحِ اللهم أنت عَبْدِي وأنا رَبُّكَ أَخْطَأَ من شِدَّةِ الْفَرَحِ**". (صحيح مسلم: ح ٢٧٤٧/ج٤/ص٢١٠٤).

وروى أيضاً، عن الأغر بن يسار المزني، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة**".

والاستمرار في التوبة والاستغفار من شأنه محو الذنوب والآثام وتكفير السيئات، وبالتالي الفوز برحمة الله تعالى ودخول جناته التي تجري من تحتها الأنهار:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

﴿ عَسَىٰ ﴾ من الله تعالى واقعة ومحققة وواجبة، وهي ترغيب منه تعالى لعباده في قبول توبتهم، وتكريم وتفضل منه عليهم، لأن الكريم العظيم إذا وعد أوفى، والله لا يخلف وعده. (انظر: صفوة التفاسير: ٣٨٧/٣. تفسير أبي السعود: ١٧٥/٥).

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾

وهذا تكريم آخر من الله تعالى يتفضل به على عباده المؤمنين في هذا اليوم الذي تتكشف فيه خفايا الستر، وفضائح الذنوب، والمعاصي والآثام، لكن صنائع

المعروف تقي مصارع السوء، وخديجة رضي الله عنها، تقول لرسول الله ﷺ: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. (عمدة القاري/١/٤٦).

قال أبو السعود: وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق. (تفسير أبي السعود: ٥/١٧٥).

وحسن الأفعال يدل على حسن العواقب، فمن كانت بدايته الأولى كريمة، جاءت نهايته الآخرة جليلة، لذا فإن الله تعالى يجمع عباده المؤمنين إلى جانب الرسول العظيم بالكرامة والتكريم بعد أن كفر عنهم سيئاتهم وتجاوز عنها، نتيجة توبتهم وكثرة استغفارهم له، فتاب عليهم وستر زلاتهم وعوراتهم، وكشف لهم بنور هداه طريقهم في الدنيا، وطريقهم في الآخرة على الصراط، فجعلهم يهتدون بهذا النور من أمامهم وعن أيمانهم، ثم إذا ما رأوا نور الكافرين يمحق ويطفئ، ألهمهم الله تعالى برحمته من الدعاء ما يتمم عليهم نورهم وهديهم، وبما يتمه عليهم من المغفرة، وهذا هو إلهامهم ودعاؤهم:

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وهذا الإلهام في هذا اليوم الذي يفر فيه المرء من أخيه، وتلجم فيه النفوس والألسنة، هو دلالة على الاستجابة والعناية والتكريم الإلهي لهؤلاء المؤمنين. والله على كل شي قدير، فهو القادر الذي يملك بيده المغفرة والعقاب، والرحمة والعذاب.

ب. قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة التحريم: الآية: ١١.

إن الأمثال في القرآن الكريم ما هي إلا للتفكر والتدبر والعظة، والله سبحانه وتعالى يضرب الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ويتعظون منها، فالذين كفروا ﴿ خَتَمَ

ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ ﴾، ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاًۘ ﴾. لذا فإنهم لا يدركون مغزى هذه الأمثال، ولا ينفذون إلى معناها. وأما الذين آمنوا فتجدهم عكس هؤلاء الكافرين، فهم يعرفون أنه الحق من ربهم، فتراهم متدبرين ومتفكرين في هذه الأمثال ومتعظين منها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاًۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٢٦.

والمثل هاهنا في هذه الآية الكريمة يضربه الله تعالى لعباده المؤمنين، لمن شاء منهم العزة والعلو والاستعلاء.. استعلاء عن جور وفتنة متاع الدنيا المتمثل بأبهى صوره إلى الاستعلاء والعلو والعزة في الآخرة، وفي النعيم الذي لا يفنى ولا يبيد ولا يزول في جنات النعيم.

فها هي امرأة فرعون، أعظم ملوك الأرض كفراً وظلماً في ذاك العصر، تتوجه بالدعاء والتوسل إلى ربها وخالقها، وهي معرضة عن عرض نعيم وشهوات القصور الملطخة بالكفر والظلم والطغيان، تدعوه وهي موقنة ومسلمة ومتجردة من ذنوب أربابها، ومتقربة من جلال ربها، فتطلب منه الأمن والجوار.. الجوار الذي لا يجد فيه صاحب البيت من جاره غير المحبة والرضا، والرحمة والهناء.. والأمن الذي ينجي من طوفان الظلم والجور والعصيان، لتكون من بعد هذا المثل الأنموذج الذي يضربه الله تعالى ليبقى يتردد في أرجاء الكون وعلى لسان كل من تعلقت بقلبه نفحات الإيمان.

جاء في تفسير أبي السعود، ٥ / ١٧٦:

" أي جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم، حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله " فرعون " وهي في أعلى غرف الجنة".

وقال المفسرون: إن اسمها " آسية بنت مزاحم " آمنت بموسى عليه السلام

لما غلب السحرة، وتبين لها أنه على حق، ولم تضرها الوصلة بالكافر، وهي الزوجة التي هي من أعظم الوصل، ولا ينفعه إيمانها " كل امرئ بما كسب رهين " وأبدلها الله عن هذه الزوجية أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد ﷺ.

وقد عذبها فرعون لما علم بإيمانها بموسى عليه السلام، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها، ظللتها الملائكة ﴿ إِذْ قَالَتْ ﴾ وهي في حال العذاب والتعذيب: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾. (أنظر: مسند أبي يعلى: ١١/٣١٦، تفسير الجلالين: ١/٧٥٣).

... وفي هذا الدعاء ما تأتي عليه المقولة التي تدعو إلى اختيار الجار قبل الدار. وبعد هذا الدعاء كشف الله تعالى لها عن هذا القصر، فرأته، فسهل عليها التعذيب.

﴿ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

ولما طلبت من الله تعالى النجاة من كفر فرعون وطغيانه، ومن جور وظلم وطغيان أتباعه وأهل دينه، استجاب الله تعالى لدعائها، فقبض روحها.

جاء في البحر المحيط ٨ / ٢٩٥، أن الحسن قال: لما دعت بالنجاة نجاها الله تعالى أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم.

وقد أيد هذا القول ابن كيسان بقوله: رفعت إلى الجنة حيَّة، فهي تأكل وتشرب.

بينما عارض هذا القول الآلوسي في " روح المعاني " ٢٨ / ١٦٤. بقوله: هذا الخبر لا يصح.

والله سبحانه وتعالى أعلم منا بحالها وقرارها.

٥٦- الجنة في سورة القلم

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ سورة القلم: الآية: ٣٤.

التقوى: في اللغة: الوقاية، وهي ما يحمي الإنسان به نفسه.

شرعاً: أن تجعل بينك وبين ما يغضب الله تعالى وقاية، ولا يكون ذلك إلا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وأن يراك الله تعالى حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك. لذا أطلق على من هم على ذلك " المتقين". (انظر: المعجم الوسيط: ١ - ٢ /ص١٠٩٦).

روى ابن ماجة في السنن عن عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ وكان من أَصْحَابِ النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ من الْمُتَّقِينَ حتى يَدَعَ ما لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ. (سنن ابن ماجة: ح٤٢١٦/ج٢/ص١٤٠٩).

وقال ابن مسعود، رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ سورة ال عمران: الآية: ١٠٢. قال: يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

والإنسان يكرم ويشرف بتقوى الله عز وجل، فمن كان تقياً، كان كثير الخير في الدنيا، رفيع الدرجة في الآخرة.

والمتقون هم عباد الله المؤمنون الذين تميزوا عن غيرهم من العباد بتقواهم وحسن إيمانهم وصلاح أعمالهم، وقد ذكرهم الله تعالى في محكم آيات كتابه مرات عديدة، وجاء ذكرهم مقروناً بوعده الذي لا يخلفه من دخولهم جناته جنات النعيم:

قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ سورة ال عمران: الآية: ١٩٨.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ سورة الفرقان: الآية: ١٥.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ سورة الذاريات: ١٥.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ سورة القمر: الآية: ٥٤.

ولما كانت التقوى على هذه الأهمية البالغة التي يصل معها المؤمن إلى نعيم جنات رب العالمين، وتجنبه عذاب الجحيم، فقد حث الله سبحانه وتعالى عباده عليها كي يدركوا ما فيها من بوادر الخير في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ سورة الأحزاب: الآية: ٧٠.

وقال تعالى:

﴿ ... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ سورة الطلاق: الآيتان: ٢-٣.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يسأل الله تعالى لنفسه التقى، فقد روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يقول: "**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**". (صحيح مسلم: ح ٢٧٢١).

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: "**ما منكم من أحد إلَّا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا الله ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة**". (صحيح مسلم: ح ١٠١٦).

ومن أتقى النار فإنه يكون مع المتقين في جنات النعيم عند رب العالمين:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

وهؤلاء المتقون لهم عند ربهم في الآخرة حدائق وبساتين ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا منغص، وعلى عكس حال بساتين وحدائق الدنيا التي لا تخلو من قلة نعيمها واقتصارها على مواسم معينة ومحدودة.

٥٧- الجنة في سورة الحاقة

قال تعالى:

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ سورة الحاقة: الآيات: ٢١-٢٤.

تكشف الآيات الكريمة عن المآل الذي يصل اليه المؤمن السعيد الذي يؤتى كتابه بيمينه يوم القيامة، وما يجده من تكريم حسي وروحي في جنات النعيم.

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾.

قال المفسرون: أي فهو في عيشة هنيئة مرضية، يرضى بها صاحبها. (صفوة التفاسير: ٤١٣/٣).

والعيش الرضي لون من ألوان النعيم، الذي يرضى به صاحبه، ولا يعني هذا أن في الجنة عيشاً قليلاً ومحدوداً كما هو حال المؤمن في الدنيا يرضى بحدود ما يكتبه **الله** تعالى له، إنما هو جم وكثير وبلا حدود، وفيما تشتهيه نفس المؤمن، فهو في عيشة هنيئة مرضية يرضى بها، وخالدة أبدية لا ملل ولا ضجر فيها.

ورد في الصحيح أنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بؤسا أبداً.

وذكر أبو هريرة رضي **الله** عنه أن رسول **الله** ﷺ قال: "**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**".

ومعنى "لا يبأس" إن المؤمن المقيم في الجنة لا يعرف الفقر أو أي لون من ألوان الأحزان التي تذهب بالعيش الرضي.

والعيش الرضي للمؤمن في الجنة هو من رضا **الله** سبحانه وتعالى عليه والذي يقابله المؤمن بالرضا فيما خصه **الله** به من العيشة الراضية:

قال تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ سورة البينة: الآية: ٨.

ثم تبين الآيات الكريمة وتفصل مكان هذه العيشة الراضية وما فيها من نعيم الرضى:

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾

قال المفسرون: أي في جنة رفيعة القدر، وقصور عالية شاهقة. (صفوة التفاسير: ٤١٣/٣).

ولما كانت منزلة المؤمن عند الله تعالى عالية ورفيعة لما كان عليه من طاعة في الدنيا فإن الله تعالى جعل مقامه ومنزلته في الجنة عالية ورفيعة، فهو في جنة رفيعة القدر، وقصور عالية شاهقة، وكلما زادت درجة إيمان المؤمن، زادت جنته ودرجته علوا في جنات النعيم.

عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله ﷺ هل يتزاور أهل الجنة قال: نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم. (تفسير ابن كثير: ٤١٦/٤).

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾

القطوف: جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود.

وهذه سمة أخرى تضاف إلى العيشة الراضية الهانئة، فثمار الجنة دانية وقريبة من المؤمن لا يحتاج إلى جهد أو مشقة في جنيها وتناولها، فهي تدنو اليه ومنه وفي أي حال كان سواء واقفا أم جالسا أم متكئا على سريره.

قال المفسرون: ودنوها أي قربها من مريدها بحيث لا يمنعه من تناولها مانع. (الكشاف: ١٣٥/٤. وانظر: التفسير الكبير: ١١٢/٣٠).

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾

قال المفسرون: إن المقصود بالأيام الخالية، أيام الدنيا بما فيها من أعمال

صالحة، وإن خصها بعضهم بأيام الصيام، لتكون متعة الطعام والشراب في الآخرة مثوبة لمن تمسك وحرمها من الطعام والشراب في الدنيا. (انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢١٧/٥. تفسير البغوي: ٣٨٨/٤. الكشاف: ١٣٥/٤).

وهذا لون من ألوان النعيم الروحي المتمثل بهذا الخطاب اللطيف الرحيم الهانئ لهؤلاء المؤمنين والذي يجدون فيه ما تسمو به مشاعرهم فترى في القرب من الله تعالى ما هو أجل رضى، وهناء يفوق كل متعة ولذة وكل نعيم.

وكل هذا الهناء.. بسبب ما قدمتم أيها المؤمنون من الأعمال الصالحة في الأيام الماضية... أيام الدنيا....

٥٨- الجنة في سورة المعارج

أ. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ سورة المعارج: الآيتان: ٣٤-٣٥.

الصلاة، هي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة بعد شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فرضها الله تعالى في الملأ الأعلى على رسوله الكريم وعلى أمته ليلة الإسراء والمعراج وبعد أن عرج به إلى السموات العلى، تتجلى فيها صفة العبودية الخالصة مع مقام الربوبية الواحدة في خمس أوقات في اليوم والليلة دون حائل أو وساطة بين العبد المتعبد وبين الرب المتقبل، يغسل فيها العبد ذنوبه وخطاياه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»

قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» (صحيح البخاري: ح ٥٢٨. وصحيح مسلم: ٦٦٧).

وفي هذا بيان لفضل أداء الصلوات الخمس، من أن الله سبحانه وتعالى يغفر ذنوب من يحافظ عليها ويؤديها كاملة بشروطها وأركانها وآدابها، فهي أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده لأنها العلاج العظيم للهموم والمآسي، ودواء ناجع يخشع فيه القلب ويطمئن، ومنها تمتلئ الجوانح بالرضا والسعادة والسرور.

والصلاة حق من حقوق الله تعالى على عباده، وهي أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت، فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد

خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئا، قال الرب جل وعلا: انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل منها ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر أعماله على هذا» (صحيح الترمذي. للألباني: ح ٣٣٧).

والصلاة أيضاً تعتبر الدليل والعلامة التي يستدل بها ظاهراً على إسلام الرجل، وتركها علامة كفره وخروجه عن النهج.

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" (صحيح مسلم: ح ٨٢).

ولما كانت الصلاة على هذه الغاية من الأهمية، فإن المؤمنين أصبحوا دائمين ومحافظين عليها، حتى صارت السمة المميزة لهم عند الله عن غيرهم من العباد، ووصفهم بها بقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ سورة المعارج: الآية: ٢٣.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ سورة المعارج: الآية: ٣٤.

فهي عندهم صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل، ولا يشغلهم عنها شاغل، كما أنها عليهم كتاب موقوت فهم محافظون على أدائها بأوقاتها كما هو حال محافظتهم على فرائضها وسننها وروحها التي تؤدى فيها.

جاء في تفسير القرطبي (١٨/٢٩٢) قوله:

(والدوام غير المحافظة، فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها، ولا يخلوا بها ولا يشتغلوا عنها بشيء من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها، ومواقيتها، ويقيموا أركانها، ويكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظة ترجع إلى أحوالها)، انتهى.

والمحافظة على الصلاة هي سبب من أسباب فلاح المؤمنين عند الله تعالى، حيث ذكرهم الله تعالى بهذه الصفة ونسبها إلى الفلاح بقوله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾... ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

سورة المؤمنون: الآيتان: ١، ٩.

وهذا الفلاح من هذه المحافظة جاء استجابة لما أمرهم به الله تعالى بقوله:

﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ٢٣٨.

وفلاح المؤمنين عند الله تعالى يعني فلاحاً في المآل وحسن العاقبة، فقال عنهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾.

وهنا يجمع الله تعالى لهؤلاء المؤمنين لذة التكريم مع لذة النعيم، فدخولهم جناته وما يلقونه فيها من كرامات هو نعيم جليل يعلوه تكريم أجل. فكرامة البداية تستحق جلال النهاية عند الله تعالى.

ب. قال عز وجل:

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ سورة المعارج: الآية: ٣٨.

وهنا يرد في الآية الكريمة استفهام إنكاري مع التقريع والتوبيخ أي أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار، أن يدخله الله جنات النعيم، وقد كذب خاتم المرسلين؟ (انظر: صفوة التفاسير: ٣/٤٢٢ - ٤٢٣).

وهذا الخطاب المُزَمَّل والمُحَمَّل بالتقريع والتوبيخ موجه إلى أولئك الكافرين الذين يتهكمون ويسخرون من النبي الكريم ويصدون عن سبيل الحق، والى كل من سار على خطاهم ولم يؤمن بالله تعالى وبرسوله، ولم يعمل من الأعمال الصالحة التي تقربه من الجنة، بل إن أعماله هذه يزداد فيها بعداً عنها ويسلك فيها طريقاً معاكساً يخرجه عن سواء السبيل وطريق جنات النعيم ليحطه على صراط عذاب الجحيم.

قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ حلقاً حلقاً، يسمعون كلامه ويستهزئون به وبأصحابه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة - كما يقول محمد - فلندخلنها قبلهم. (انظر: تفسير أبي السعود: ٥/١٩٥. تفسير الخازن: ٤/١٥٢. صفوة التفاسير: ٣/٤٢٢).

ثم إن أعمال الكافر يوم القيامة مع كفره وعصيانه وإن ران عليها وغطّاها بعض الصلاح ما هي إلا حسرة وندامة عليه، ولا يزداد منها إلا رهقا، فهي كذلك الرماد المتناثر في العنان في اليوم العاصف الذي اشتدت فيه الرياح فكانت هباءً منبثاً.

فالأعمال لا بد لها من ميزان يبين خيرها وصلاحها ونجاحها في الدنيا والآخرة، وهذا الميزان هو ميزان الإيمان، ومتى صلح الإيمان ورسخت بذوره في قلب الإنسان، نمت منه بوادر الخير من خيرة الأفعال والأقوال، وإذا ما جاء على هذا القدر وبما يكفي من استجاشته للوجدان واستحياءً يخشع معه القلب فيحنو ويرق، عندها تتحرك الروح وتتوجه نحو خالقها خوفا وطمعاً بما عنده، وأعده لها من جنة النعيم.

وأما إن كان هذا الإنسان من أولئك المكذبين المتكبرين المتجبرين في الأرض، فإنه عن الجنة مبعد، ولا طمع له فيها أبداً، وهو بما كسب من فحش عمله للجحيم أقرب.

فمن أراد الجنة، سعى سعيها، وعمل بعمل أهلها، قد حفه الله تعالى بالمكاره، فإن عمل واحتسب وصبر واصطبر، فاز بها فوزا عظيماً، وإن ضاق صدره، وقل إدراكه وفهمه، وسعى خلف شهواته ونزواته من الأفعال والأقوال التي حفت بها النار، سار إليها دون أن يكون له أي خيار أو مطمع غير تلك النار. فلا يتحول عنها ولا يتبدل إلى ما شاء الله تعالى له وقدر.

ومع هذا وذاك، فإنه ليس كل أنواع الصخر تحت دواليب القطر تتفتت وتتفجر، والعبرة، عبرة النهاية وحسن الخاتمة، فكلمة واحدة، سواء أكانت طيبة أم قاسية، قد تنقلب معها الموازين، فيتغير الحال، ويتبدل المصير والمآل، فيمحق طمع ويولد طمع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم" (صحيح البخاري: ح ٦٤٧٨).

٥٩- الجنة في سورة المدثر

قال تعالى:

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ سورة المدثر: الآيات: ٣٩-٤١.

﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾.

قال المفسرون: هم الذين ينالون صحف أعمالهم يوم القيامة بأيديهم اليمنى. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٧٦).

تبدأ الآية الكريمة مستخدمة أسلوب الاستثناء لتستثني طائفة أصحاب اليمين عن طوائف تلك النفوس الرهينة المقيدة بما كسبت من عملها ووزرها، فيما سبق هذه الآية الكريمة وكما جاء بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ المدثر: الآية: ٣٨. وذلك من خلال بيان أن النفس البشرية مأخوذة بما كسبت باختيارها، ومرهونة بأعمالها وأوزارها.

وأصحاب اليمين هم من جمهور أهل الجنة، يحاسبهم الله تعالى حساباً يسيراً، وقد أسماهم الله تعالى بهذا الاسم، لأنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴾ سورة الانشقاق: الآيتان: ٧- ٨.

وهؤلاء القوم يقفون عن يمين العرش يوم القيامة، حيث يقسم الله تعالى عباده إلى ثلاثة أقسام وحسب درجة إيمانهم.

قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ سورة الواقعة: الآيات: ٧- ١١.

وبما أن نفوس أصحاب اليمين مطلقة ومستثنية من قيود الإثم والوزر، فإن حال أصحابها طيب وكريم عند الله تعالى، فهم:

﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾

وهنا نلاحظ أن لفظ الجنة جاء منكرا بصيغة جمع المؤنث السالم مع التنوين دون وصف أو تعريف لها.

وفي هذا الأسلوب نكته بلاغية ينطلق معها الخيال بصورة أوسع في تخيل مدى سعة هذه الجنات وعظيم نعيمها، وأشمل منه تصوراً فيما لو جاء اللفظ بصيغة التعريف.

أشارت الدكتورة (شادية حسن عبد الرحمن زيني في كتابها: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، ص. ٨٢) إلى هذا المعنى بقولها (والإبهام مع التنوين هنا يعطي الخيال مجالاً أرحب في تصوير هذه الجنات وتخيلها، فهي جنات لا يصل إلى وصفها أسلوب ولا يتخيلها في كمالها عقل.... فالتنكير والتنوين هنا فائدة أعظم من التعريف، فهو يعطينا صورة أوسع وأشمل لهذه الجنات، فهي جنات عظيمة ذات صفات تكد الذهن في تأمل حقيقتها وتخيل صورتها)، انتهى.

ثم إن أصحاب اليمين وهم في سعة هذه الجنات وخضم نعيمها العظيم، يتحاورون مع بعضهم البعض، ويتذاكرون أحوالهم التي كانوا عليها في الحياة الدنيا، فيأخذهم الحديث إلى تذكر أناس عرفوهم بتكذيبهم وكفرهم ممن أجرموا بحق أنفسهم وأنفس من تبعهم في ضلالتهم، فهم يتساءلون عنهم، حتى إذا ما اطلعوا عليهم وهم في عذاب سقر، سألوهم عن سبب مآلهم إلى هذا المصير المخزي الذي آلوا اليه، وذلك تبكيتاً وسخرية منهم لما كانوا عليه من تكذيب في هذا اليوم وبهذا المصير.

وهذا مما يزيد في نفوس هؤلاء المجرمين من الحسرة والندامة والألم الكثير زيادة على ما هم عليه من عذاب النار الأليم.

والله سبحانه وتعالى هو من أعطى وخول أصحاب اليمين حق السؤال عن المجرمين، لبيان فضل الله تعالى عليهم ورحمته بنفوسهم الطيبة، بأن جعلهم في هذا المقام الرفيع الكريم، وجعل أعداءهم المجرمين المستكبرين في ذلك المقام الشنيع المهين، وشتان ما بين مقام النعيم ومقام الجحيم.

٦٠- الجنة في سورة القيامة

قال الله تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ سورة القيامة: الآيتان: ٢٢-٢٣.

ناضرة: من النضرة وهي في اللغة: النعمة والعيش والغنى، والحسن والرونق. قال بعض المفسرين: أي حسنة مضيئة ومشرقة. أو مشرقة بالنعيم، أو حسنة جميلة من النعيم، أو نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها، أو مسرورة، أو ناعمة. (انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: ص٥١٦، مادة نضر. لسان العرب: ٢١٢/٥. وانظر: معاني القرآن، للفراء: ٢١٢/٣. الكشاف: ١٦٥/٤. التفسير الكبير: ٢٢٦/٣٠. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٣٩١).

ناظرة: أي تنظر إلى جلال ربها. (انظر: تفسير الجلالين الميسر: ص٥٧٨. صفوة التفاسير: ٤٦٢/٣).

إن وجه الإنسان هو المرآة التي تنعكس عليها تلك التفاعلات النفسية الخفية التي تدور في خلده وكيانه، فكثيراً من الأحيان ما نستطيع أن نستدل ونحكم وبسهوله على الشخص من خلال قسمات وتعابير ولون وجهه إن كان سعيداً، أو حزيناً، راضياً أو ساخطاً...

فالإنسان الذي يشعر بالسعادة والهناء، والسرور والرضا، ورغد العيش، نجد أن آثار تلك السعادة وما يتبعها من المشاعر الطيبة قد انعكست على وجهه فأعطته بريقاً وإشراقاً، ونعومة ونضرة، وبهجة وابتساماً.... وهذه حال وجوه أهل الدنيا وما يقاربه من حال وجوه أهل الجنة.

أما الإنسان الذي ركب الصعب، وثقلت همومه وأحزانه، وكثرت آهاته وويلاته، فهاج قلبه وتلوع، وماج فكره حسرة وجزعاً، فنرى أن آثار لوعته وحسرته قد انعكست وبدت على وجهه اصفراراً وشحوباً، كآبه وتجهماً، وعبوساً وتجعداً،

اسوداداً وكظماً... وهذا الحال ما يقارب حال وجوه أهل النار يوم الآخرة.

ووجوه أهل الجنة لما تجده من كرامة وتكريم ومسرات ونعيم هي:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾.

والوجوه الناضرة هي الوجوه المشرقة المضيئة الناعمة، والجميلة الحسنة بحسن وجمال ما تلقاه من نعيم وتكريم. وإذا ما كانت حال وجوه أهل الجنة بهذا الوصف الكريم فإن سائر حالهم هو حال كريم، لان الوجه هو العنوان الذي يستدل به على سائر أحوال الإنسان.

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ سورة الغاشية: الآيتان: ٨-٩.

وكيف لا تكون وجوه أهل الجنة ذات حسن وبهجة وإضاءة وإشراقٍ ونعومة ونضرة وهي:

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾.

وحال النظر إلى وجه الرحمن لا يمكن وصفه ولا يمكن تخيله أو إدراكه أو الإحاطة به، فكل وصف وكل تخيل مع هذا النعيم العظيم بعيد ومختلف، وكل متعه ولذة أمام متعة ولذة هذا النعيم تذوب وتزول ولا تذكر... فلا لذة بعد هذه اللذة... ولا نعيم أعظم من هذا النعيم.

وما لنا في وصف هذا النعيم الذي يلف وجوه أهل الجنة من نظرهم إلى وجه الله الكريم، إلا الدخول في دائرة الوصف والمقاربة بما نجده من لذة ونعيم عند مشاهدة ورؤية جمال صنع الخالق وإبداعه في خلقه ومخلوقاته، وآياته في هذا الكون.

إن روح الإنسان في هذه الدنيا لتجد من المتعة واللذة التي تغمرها من تلك اللمحة في الصورة البديعة من بديع صنع الخالق، تراها في هذا الكون، وتجدها مع شروق كل صباح، وفي تلك السحب التي تلف خيوط الشمس عند الغروب، وفي نور البدر المتلألئ الذي يخترق ظلمات الليلة الظلماء، وفي الأثير المسطر بألوان طيف قوس قزح، وفي أمواج البحر المتطاولة والمتموجة، وفي صفوف خضرة

الأشجار المرتبة والمبعثرة، أو في قلب الأم النبيل وحنانها الكبير، أو في الصبر الجميل والإيمان اليقين، أو في الكرم الأصيل والإيثار النبيل، فيغمر تلك الروح روح النشوة والمتعة، والسمو والرفعة، والسعادة واللذة التي لا تعدلها لذة، لتنسى معها ولو لفترة من الفترات أو للحظة من اللحظات لسعات الهم والألم، فتسوح في عوالم الحب والنور، وتتفتح لها أبواب الأمل في حجيرات قلبها المتعب والأسير لرتابة الروتين وطول بقاء الأنين.

والماء البارد الزلال مع نسمة الهواء العليل في اليوم الحار الشديد، يفيض على القلب بنسمات السعادة والسرور.

وتلك الزهرة الندية التي أتت عليها النظرة فتبعتها البسمة، فحنّت وتاقت إليها النفس ورقت، وامتدت إليها اليد فقطفتها واشتمت رائحة عبيرها الأخاذ، إنما هي من صنع المبدع الخلاق.

وكيف لو جاءت تلك النظرة لا إلى جمال صنع الخالق ولكن إلى جمال ذات الخالق!!؟

أخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾". (**صحيح مسلم**: ح ١٨١).

وأخرج الآجري، والبيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: يعني حسنها. ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. قال: نظرت إلى الخالق. (الدر المنثور: ٨/٣٤٩).

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك قال مالنا فيها قال لكم فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو

له قسم إلا أعطاه إياه وليس له بقسم إلا وادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ فيها من شر هو مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيه قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قال قلت لم تدعونه يوم المزيد قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه حتى حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي هذا محل كرامتي فسلوني فيسألوه الرضا فيقول الله عز وجل رضائي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي فسلوني فيسألوه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه فيصعد معه الشهداء والصديقون أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا قصم فيها ولا فصم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيد رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار. (مجمع الزوائد: ١٠/٤٢١).

عن علي رضي الله عنه قال إذا سكن أهل الجنة الجنة اتاهم ملك فيقول لهم ان الله تبارك وتعالى يأمركم ان تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد قال زاوية من زواياه اوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجدا فيقال لهم لستم في دار عمل انما انتم في دار جزاء. (حادي الأرواح: ج١/١٨٥).

وأخرج الترمذي عن سَعِيدِ بن الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فقال أبو هُرَيْرَةَ أَسْأَلُ الله أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ في سُوقِ الْجَنَّةِ فقال سَعِيدٌ أَفِيهَا سُوقٌ قال نعم أخبرني رسول اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إذا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فيها بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤْذَنُ في مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ من أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لهم عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لهم في رَوْضَةٍ من رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَتُوضَعُ لهم مَنَابِرُ من نُورٍ وَمَنَابِرُ من ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ من فِضَّةٍ وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ وما فِيهِمْ من دَنِيٍّ على كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وما يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ منهم مَجْلِسًا قال أبو هُرَيْرَةَ قلت يا رَسُولَ اللهِ وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا قال نعم قال هل تَتَمَارَوْنَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قُلْنَا لَا قال كَذَلِكَ لَا تُمَارَوْنَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ ولا يَبْقَى في ذلك الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إلا حاضره الله محاضرة حتى يَقُولَ لِلرَّجُلِ منهم يا فُلَانُ بن فُلَانٍ أَتَذْكُرُ يوم كَذَا وَكَذَا فَيُذَكَّرُ بِبَعْضِ غَدَرَاتِهِ في الدُّنْيَا فيقول يا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لي فيقول بَلَى فَسَعَةُ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ بِكَ مَنْزِلَتَكَ هذه فَبَيْنَمَا هُمْ على ذلك غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ من فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عليهم طِيبًا لم يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شيئا قَطُّ وَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُومُوا إلى ما أَعْدَدْتُ لَكُمْ من الْكَرَامَةِ فَخُذُوا ما اشْتَهَيْتُمْ فَنَأْتِي سُوقًا قد حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فيه ما لم تَنْظُرِ الْعُيُونُ إلى مِثْلِهِ ولم تَسْمَعِ الْآذَانُ ولم يَخْطُرْ على الْقُلُوبِ فَيُحْمَلُ لنا ما اشْتَهَيْنَا ليس يُبَاعُ فيها ولا يُشْتَرَى وفي ذلك السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قال فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى من هو دُونَهُ وما فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيَرُوعُهُ ما يَرَى عليه من اللِّبَاسِ فما يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حتى يَتَخَيَّلَ إليه ما هو أَحْسَنُ منه وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فيها ثُمَّ نَنْصَرِفُ إلى مَنَازِلِنَا فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لقد جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ من الْجَمَالِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عليه فيقول إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وبحقنا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ ما انْقَلَبْنَا. (سنن الترمذي: ح٢٥٤٩/٤/٦٨٥).

وقال هشام بن حسان: إن الله سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة. (حادي الأرواح: ١/٢٣٤).

عن أبي موسى عن أبي يزيد قال إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار

بالخروج من النار. (حلية الأولياء: ١٠/٣٤).

وكشف الحجاب لأهل الجنة نعيم عظيم، وحجبه عن الكافرين عذاب مهين، قال تعلى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ سورة المطففين: الآية: ١٥.

قال الأعمش وسعيد بن جبير: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية. (معارج القبول: ١/٣٣٨).

والنظر إلى نور وجه الله الكريم لا يثبت معه شيء من مخلوقاته، ولا حتى الأنبياء والرسل، فسيدنا موسى عليه السلام مع لطف الله تعالى فيه وقع مغشياً عليه عندما طلب أن ينظر إلى وجهه الكريم، وبعد أن تجلى الله تعالى للجبل، وكما جاء بقوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ سورة الأعراف: الآية: ١٤٣.

أما كيف يثبت أهل الجنة أمام رؤية هذا النعيم العظيم، وهذا الكمال وهذا النور والجمال؟ وبأي جارحة ينظرون، فهذا كله حديث لا يخطر على قلب، ولا يصل إليه فكر.

٦١- الجنة في سورة الإنسان

جاء ذكر الجنة في هذه السورة فيما يلي من الآيات التالية:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ سورة الإنسان: الآيتان: ٥ - ٦.

الأبـــــرار: جمع برّ أو بارّ، وهم المطيعون لله تعالى في حياتهم الدنيا.

كـــأس: إناء شرب الخمرة وهي فيه، أو خمر أو زجاجة فيها خمر.

مزاجه كافورا: ممزوج بالكافور، أو كأس خمر ممزوج ومخلوط بالكافور.

الكافـــور: ماء كالكافور في أحسن أوصافه، أو طيب ومعروف، يستحضر من أشجار شرق آسيا وخاصة بلاد الهند والصين، وهو من أنفس أنواع الطيب الذي عرفه العرب.

عبـــاد الله: أولياؤه، ووصفهم بالعبودية تشريفاً وتكريماً لهم بإضافتهم إلى اسمه تعالى.

يفجرونها تفجيرا: يقودونها حيث شاءوا من منـــازلهم، كما يفعل أهل الدنيا من عمل القنوات المائية لجر مياه الأنهـــار والينابيع إلى بساتينهم وحدائـــق منازلهم. (انظر: كلمات القرآن تفسير وبيان: ص٣٤٨. جامع البيان، للطبري: ٢٨/ ٢٠٦ - ٢٠٧. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢٥٨/٥. تفسير البغوي: ٤٢٧/٤. روح المعاني: ١٥٤/٢٩).

تبين وتصف الآيتان الكريمتان ما أعد الله سبحانه وتعالى من شراب الجنة تكريماً لعباده الأبرار، فيأتي وصف حال الشراب بما هو مألوف ومعروف لهم في حياتهم الدنيا من حيث المسمّى، من شراب الخمر وآنية شربه.

وشراب الخمر قد حرمه الله تعالى على عباده في الدنيا، لما فيه من الإثم الذي يكبر المنفعة، وأحله وأباحه لهم بكثرة وغزارة في الآخرة، لخلوه من الإثم

واللغو والنشوة الزائفة والرائحة النتنة، فرائحته منعشة، ونشوته لا تضاهيها نشوة من نشوات خمر الدنيا، فهو هنا في الجنة وضعه مختلف، فهو طيب ولذيذ، ومما يزيد في طيبه ولذته أنه ممزوج بطيب الكافور ورائحته الزكية ومذاقه اللذيذ.

وهو أيضاً سائح في أرض الجنة، في العيون والأنهار، وفي الكأس، وبين الأشجار، وبين الغرف والقصور، ويسير حيث يشير عباد الله الأبرار، وإلى أي مكان من الجنة، دون بذل أي جهد فيه أو صعوبة أو امتناع، فهو سهل عليهم وهين ويسير.

ورد في حاشية الصاوي: أن الرجل منهم يمشي في بيوته، ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيثما دار في منازله، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره. (حاشية الصاوي - ٤ / ٢٧٤.)

وجاء في التفسير الكبير: أن الكافور اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده ولا يكون فيه طعمه ولا مضرته، فالمعنى أن ذلك الشراب يكون ممزوجاً بماء هذه العين. (التفسير الكبير: ٢١٣/٣٠).

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: "أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ والأخرى الزنجبيل وعينان نضاختان من فوق إحداهما التي ذكر الله سلسبيلا والأخرى التسنيم". (الدر المنثور: ج٨/ص٣٧٥).

ب. قال سبحانه وتعالى:

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ

عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ سورة الإنسان: الآيات: ١١-٢٢.

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾.

قال المفسرون: أي حماهم الله ودفع عنهم شرَّ ذلك اليوم. أي يوم القيامة وما فيه من كرب، وأهوال. وهو يوم قمطرير أي شديد وعصيب. (انظر: تفسير الطبري: ١٣١/٢٩. صفوة التفاسير: ص٤٦٩).

والوقاية من شر وأهوال يوم القيامة، نعيم عظيم، وكيف لا تكون هذه الوقاية نعيماً عظيماً وهذا اليوم هو اليوم الذي تبلغ فيه القلوب لدى الحناجر، ويفر فيه المرء من أخيه، ومن كل صلة وقرابة... من هول ما يشاهد ويرى من الأهوال، ففي هذا اليوم، تتناثر الكواكب، وتتفجر البحار، وتبعثر القبور، وتتطاير الجبال، وتنكدر النجوم، وتصبح القلوب واجفة، والنفوس عابسة، والوجوه كالحة من هول هذا اليوم الشديد العصيب.

إلا الأبرار، فهم في نعيم تلك الوقاية. قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة الأنبياء: الآية: ١٠٣.

والطمأنينة والأمن يلاقيان النضرة والسرور على وجوه الأبرار:

﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾.

وذلك النعيم من تلك الوقاية يضاف ويلقى نعيما آخر، هو نعيم البهجة والمسرة، ونضرة الوجوه الندية الحسنة الرونق، الخالية من العبس والعبوس، والهلع والجزع، وكأنها تعيش في نعمة ورغد العيش، لا أنها في وسط وخضم هول وأهوال هذا اليوم العصيب.

قال المفسرون: أعطاهم حُسناً وإضاءة في وجوههم. (تفسير الجلالين الميسر: ص ٥٧٩).

ونعيم الوقاية ونعيم النضرة والمسرة لهؤلاء الأبرار هما جزاء لهم لما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من طاعة وإطعام الطعام دون أجر أو منّة، ولما كانوا عليه من خوف من هول وشدة هذا اليوم.

ثم إن لهم أيضاً بما عملوا وصبروا جزاءً آخر من الله تعالى:

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾.

وأشواك الصبر وشقوته وخشونة الحياة معه جزاؤه عند الله تعالى: الليونة، والنعومة... ليونة العيش في الجنة، ونعومة الحرير فيها.

فصبر الأبرار من عباد الله الأخيار على الطاعة وما فيها من مرارة العيش، وترك الشهوات واللذات التي هي رجس من عمل الشيطان، والسير والثبات على طرق الخير، وجهاد النفس في الليل والنهار، والإيثار بالمال وعلى حبه وان كان بهم خصاصة، والصبر عند كل أذية وبلية، وتحمل المشقة في أداء العبادات، ونشر الدعوة، ثوابه وجزاؤه عند الله تعالى "جنة" مبهمة وغير معرّفة، ينطلق فيها الخيال والتصور من السعة والعظمة، والكرامة والتكريم، وكثرة ألوان النعيم من أصناف الطعام والشراب، وشتى أنواع الفاكهة والثمار، ونعومة الملبس واللباس.. فلباسهم فيها حرير، وأي حرير هذا؟... حرير نفيس ليس قبله نفيس، قال تعالى:

﴿... وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ سورة الحج: الآية: ٢٣.

أما الصبر، فلقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين فضل الصبر وتحث عليه ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة البقرة: الآية: ١٥٥.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ سورة آل عمران: الآية: ٢٠٠.

وقال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ سورة الزمر: الآية: ١٠.

وقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يبين فضل الصبر، ومنها:

روى مسلم **عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا من الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حتى إذا نَفِدَ ما عِنْدَهُ قال ما يَكُنْ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ الله وما أُعْطِيَ أَحَدٌ من عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ من الصَّبْرِ** (صحيح مسلم: ح١٠٥٣/ج٢/ص٧٢٩).

وروى **عن صُهَيْبٍ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا له وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا له"**. صحيح مسلم: ح٢٩٩٩/ج٥/ص٢٢٩).

ولما كان لباس الحرير يجلب الكبر والخيلاء لصاحبه كونه نفيساً، فإن الله تعالى حرمه على عباده المؤمنين في الدنيا ليجعله لباسهم في الجنة.

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "**قال: النبي ﷺ: من لَبِسَ الْحَرِيرَ في الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ في الْآخِرَةِ**". (صحيح البخاري: ح ٥٤٩٤/ج٥/ص ٢١٩٤).

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾

فترى أهل الجنة متكئين ومضطجعين على سررهم وأرائكهم المزينة والمزركشة وهم يرتدون أنفس وأفخر أنواع الثياب، اتكاء نعيم وتنعم، لأن طبيعة الاتكاء لا تكون ولا تطيب إلا بطيب العيش وصفاء الذهن وخلوه من الهم والحزن، ومع نقاء الجسم من كل مرض ومن كل علة، ودوام الصحة والعافية.

قال المفسرون: وإنما خصَّهم بهذه الحالة لأنها أتم حالات المتنعم. (صفوة التفاسير: ٤٦٩/٣).

ثم إن اتكاء أهل الجنة لا يملونه ولا يكلون منه، ولهم فيه كل ما تشتهيه أنفسهم:

أخرج الحرث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي أن النبي ﷺ سئل عن البضع في الجنة قال: "نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وإن

الرجل ليتكئ فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا يتحول عنه ولا يمله يأتيه فيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه". (الدر المنثور: ج١/ص١٠٠).

واتكاء الأبرار في الجنة لا يقتصر على الاتكاء في البيوت والغرف والقصور كما هو حال أهل الدنيا في معظم الأوقات، بل إنهم متكئون في كل مكان من الجنة، حيثما شاءوا وحيثما أرادوا، لا يمنعهم منه حر شمس ملهب ولا برد شتاء قارس، فالجو في الجنة معتدل وناعم، وهم:

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾

فلا شمس في الجنة ولا زمهرير، إنما هناك نور دائم وربيع لا ينقطع، لذا فإنه لا يوجد في هذه الجنة مكان تنسخه الشمس فتحره، أو تعصف به رياح البرد الشديد فيزمهر يومه.

والزمهرير في اللغة: البرد الشديد. (لسان العرب: ٤/٣٣٠، مادة زمهر).

ولقد كانت العرب تقول: ازمهر اليوم ازمهراراً، إذا ما اشتد برده.

وأما كونها لا شمس فيها، إنما هو نور يتلألأ، فقد أخرج ابن حبانعَنْ **أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ أَلا هَلْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ.** (صحيح ابن حبان، باب وصف الجنة وأهلها: ح ٧٣٨١/ ج ١٦/ص ٣٨٩).

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾

قال المفسرون: أي قريبة منهم ظلال أشجارها، أو تدنو ظلالها في حال تذليل قطوفها. (انظر تفسير البغوي: ٤/٤٢٩. الكشاف: ٤/١٦٩. التفسير الكبير: ٣٠/ ٢٤٨).

ومن خلال أطياف النور تسدل أشجار الجنة بظلالها على أهلها الأبرار، فأشجارها كثيفة.. وظلالها وارفة وقريبة، فهي منهم في كل مكان، وكما هي حال قطوفها المذللة السهلة المنال، فلا يبذل أصحابها جهداً في جني ثمارها، وأغصانها

متدلية عليهم وهم متكئون على أرائكهم وفي متناول أيديهم، وعلى أي حال كانوا عليها، قياماً أو قعوداً.

قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت حتى ينالها، فذلك تذليلها. (الدر المنثور: ٨/٣٧٤).

يقول سيد قطب: وإذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة التامة والاسترواح على ما يمتد إليه الخيال. (في ظلال القرآن: ٦/٣٧٨٢).

ثم إن عباد الله الأبرار وهم في ظلال الأشجار وثمارها المذللة، إذ:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴾

وتقديم الخدمة من خلال الطواف بها على هؤلاء الأبرار، فيه نوع من التكريم، ودلالة على تنعمهم ورغد عيشهم، وكثرة نعيم جنتهم، وفيما تشتهيه أنفسهم. وهذا يشبه أفعال أهل الدنيا وما يظهرونه في أفراحهم ومناسباتهم الخاصة.

وإذا ما أضيف لهم جمال آنية الطعام ونفيس أكواب الشراب التي لم يعهدونها في حياتهم الدنيا إلا من خلال المسمى، فإن نعيمهم يزداد نعيماً، وتكريمهم يزداد تكريماً، فهذه الآنية هي من الفضة، وتناول الطعام والشراب فيها يضفي على نعيمهم جمال المنظر ولذة المقام. وهذا ما يوافق أيضاً عادة أهل الترف والنعيم في الدنيا، إلا أنها هنا في الجنة مباحة وغير محرمة عليهم.

وهذه الأواني هي الصحاف، وبعضها يكون من الفضة وبعضها الآخر من الذهب، وتشمل آنية الشراب وآنية الطعام، وتقدم لهم كيفما شاءوا. (انظر: تفسير النسفي: ٣/٦٢٩. البحر المحيط: ٨/٣٩٧. روح المعاني: ٢٩/١٥٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **"إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها تجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون إخوانا على سرر متقابلين"**. (الترغيب والترهيب: ح٥٦٤٠/ج٤/ص٢٩٧).

﴿ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ﴾

قواريرا: جمع قارورة، وهي إناء رقيق من الزجاج توضع فيه الأشربة.

﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ ﴾

والمراد هنا أن هذه القوارير تجمع ما بين صفاء الزجاج، وجمال وحسن رونق الفضة وبياضها، وهذا الشيء لم يعهده أهل الدنيا بآنية الفضة. (انظر: معاني القرآن، للفراء: ٢١٧/٣. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢٦٠/٥. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٢٤٥ - ٢٤٦).

قال ابن عباس ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة وقال لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفاء القوارير... (تفسير القرطبي: ١٤١/١٩).

وهذا ما يبين قدرة الله تعالى بأن جعل هذه القوارير الفضية شفافة بحيث يرى ما في باطنها من ظاهرها.

﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾

وهذه القوارير مقدرة تقديراً يوافق ما تأتي عليه أنفس أهل الجنة من حيث حجمها وسعتها، ومن حيث جمال شكلها، فإذا ما اشتهى أصحابها الشراب، جاءت بالقدر الذي اشتهوا فيه الشراب، بحيث لا ينقص عليهم منه شيء ولا يزيد. وهذا ما يحقق لهم المتعة والاستمتاع زيادة على ما تحويه هذه القوارير من لذيذ الشراب.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أُتوا بها الحاجة، لا يفضلون شيئاً، ولا يشتهون بعدها شيئاً. وعن مجاهد: تقديرها أنها ليست بالملأى التي تفيض، ولا بالناقصة التي تغيض. (روح المعاني: ١٦٠/٢٩).

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾

يقول الفخر الرازي: العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب، لأنه

يحدث فيه ضرباً من اللذع، فلما كان كذلك وصف الله شراب أهل الجنة بذلك. (التفسير الكبير: ٣٠/٢٥٠).

وهؤلاء الأبرار في نعيم، فمرة يشربون من كأس مزاجها كافورا.. وهو شراب بارد، ومرة أخرى يسقون من كأس مزاجها زنجبيلا.. وهو شراب حار، وهم مخيرون فيها.

قال قتادة: الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة. (البحر المحيط: ٨/٣٩٠).

وهم أيضاً يشربون فيها وتملأ لهم من عين جارية تسمى سلسبيلا، لسهولة مساغها وشدة عذوبتها، بمعنى أن الأبرار يستسيغون مذاق كأس الخمرة الممزوجة بالزنجبيل بحيث لا يجدون في مذاقها أي لذعة وكما هو حال مذاق شراب الزنجبيل في الدنيا. (انظر: الكشاف: ٤/١٧٠. روح المعاني: ٢٩/١٦٠. البحر المحيط: ٨/٣٩٨).

قال مقاتل: عين يتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاءوا.

وقال قتادة: عين تنبع من تحت العرش من جنة عدن تتسلسل إلى الجنان.. (البحر المحيط: ٨/٣٩٠).

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾

وزيادة في المتعة واستمتاع الأبرار فإن الذين يقدمون ويطوفون بالأواني وأكواب الشراب هم غلمان وجوههم نضرة وبهية، لا يتغيرون، ولا يتبدلون، فلا يشيبون ولا يهرمون، ولا يأكل عليهم الدهر ولا يشرب، فهم مخلدون بخلود من يقومون على خدمتهم، وبخلود ما في الجنة من نعيم خالد.

يقول سيد قطب: يقوم على خدمتهم ويطوف بالكأس عليهم غلمان صباح أبرياء، فيهم نظافة، وفيهم صيانة، وفيهم نداوة: "كأنهم لؤلؤ مكنون" مما يضاعف إيناس المجلس اللطيف في الجوارح والقلوب. (في ظلال القرآن: ٦/٣٣٩٧).

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾

قال الرازي: هذا من التشبيه العجيب، لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن

في المنظر، لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع. (التفسير الكبير: ٣٠/ ٢٥١).

وهذا أيضاً ما يدل على حسنهم وصفاء ألوانهم، ونضرة وإشراق وجوههم. فاللؤلؤ المنثور له صورة جمالية رائعة لانعكاس شعاعه على بعضه البعض من خلال ما يبرز ويظهر من سقوط أطياف النور عليه. وفي ذلك أيضاً ما يدل على كثرة وتناثر هؤلاء الغلمان في كل مكان، وحيثما وجد وتواجد أهل الجنة من نعيم ملكهم الكبير:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾

أي وإذا رأيت هناك ما في الجنة من مظاهر الأنس والسرور، رأيت نعيماً لا يكاد يوصف، وملكاً واسعاً عظيماً لا غاية له. (صفوة التفاسير: ٣/٤٧٠).

وإذا ما كان نعيم أدنى أهل الجنة درجة، من يقوم على خدمته عشرة آلاف خادم، وله من الحور العين، والقطوف الدانية والثمرات اليانعة، والأنهار الجارية.. وله فيها ما تشتهي نفسه، فكيف يكون نعيم من هو أعلى منه درجة؟

وإذا ما كانت في الجنة مائة درجة، وبين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فكم يكون عندئذ ملك أهل الجنة؟

أخرج ابن حنبل في مسنده، عن ابن عمر، رضي الله عنها، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين". (مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢/١٣).

وأخرج ابن وهب، عن الحسن البصري: أن رسول الله ﷺ قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من **ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب** ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾". (الدر المنثور: ٨/٣٧٦ - ٣٧٧).

عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبي يقول في قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا

رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قال: الملك الكبير: إن رسول رب العزة يأتيه بالتحف واللطف، فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه، فيقول للحاجب: أستأذن على وليّ الله عز وجل، فيعلم ذلك الحاجب ثم آخر، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه عز وجل - إذا شاء - بلا إذن. (صفة الجنة: ١/١٤٠).

كما ثبت في الصحيح أن: "أقل أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ذكر مراكب أهل الجنة، ثم تلا: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾. (المستدرك على الصحيحين: ح٣٨٨٥، ج٢/ ٥٥٥).

فهذه الجنة، جنة واسعة، ونعيمها عظيم، وملكها شاسع وواسع، أينما يمتد إليها الطرف والبصر، يرى ويجد من النعيم والملك ما ليس له قصر ولا حد ولا وصف.. وكيف يكون هذا الوصف مع هذا النعيم الذي هو مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؟!

﴿ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾

السندس: رقيق الحرير.

الإستبرق: الحرير السميك المبطّن. (انظر: صفوة التفاسير: ٤٧١/٣. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٧٩).

قال المفسرون: وإنما قال " عاليهم" لينبه على أن لهم عدة من ثياب، ولكن الذي يعلوها هي هذه. (صفوة التفاسير: ٤٧١/٣).

وهنا تجتمع لعباد الله الأبرار زينة اللباس وفخامته مع زينة الحلي ونفاسته، وكلٍ منهما ناعم ولطيف على بشرتهم الناعمة اللطيفة.

فهم هنا في هذه الجنة في دار متعة وهناء وزينة، فتراهم في كل مكان، ومن هنا ومن هناك متمتعين ومستمتعين، لا يشغلهم عن استمتاعهم شيء، فالفكر هادئ غير مشغول، والقلب هانئ غير مكلوم وغير محزون، ورزقهم فيها كثير ووفير، من

دون كد منهم أو تعب، فمرة تراهم يلبسون الذهب، وفي الأخرى الفضة، وفي الثالثة الذهب واللؤلؤ، والمرة الرابعة كما تستهوي أنفسهم وبما يتناسق مع تعدد وتلون ألبستهم:

قال تعالى:

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ سورة الكهف: الآية: ٣١.

وقال تعالى:

﴿ فِيهَا يُحَلَّوْنَ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ سورة فاطر: الآية: ٣٣.

ومع طهارة اللباس تأتي طهارة الشراب:

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾

وهذا الشراب لم تصنعه أو تحضره الآلات أو أيادي الإنسان، إنما هو مخلوق بهذه الهيئة وهذه الصفة، فهو شراب رباني مستساغ، يستسيغه أهل الجنة ويخرج من أجسامهم رشحاً طهوراً برائحة المسك.

قال الطبري: سُقي هؤلاء الأبرار شراباً طهوراً، ومن طُهره أنه لا يصير بولاً نجساً، بل رشحاً من أبدانهم كرشح المسك. (تفسير الطبري: ١٣٧/٢٩).

والظاهر أن هذا الشراب مختلف ومميز عن سائر أنواع أشربة الجنة من حيث متعة نكهته ولذته، فهو منسوب إلى الله تعالى، كما جاء عليه قوله تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ لذا فهو يتفوق بفضله على سائر الأشربة.

قال أبو يزيد في قوله تعالى: ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾، قال: سقاهم شراباً طهرهم به عن محبة غيره، ثم قال: إن لله تعالى شراباً ادخره لأفاضل عباده يتولى سقيهم، فإذا شربوا طاشوا، وإذا طاشوا طاروا، وإذا طاروا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، فهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.. (روح المعاني: ١٦٤/٢٩).

عن جَابِرٍ قال سمعت النبي ﷺ: "يقول إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُونَ ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ قالوا فما بَالُ الطَّعَامِ قال جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ". (صحيح مسلم: ج٤/ص٢١٨٠).

لذا قال عنه أبي قلابة، فيما أخرجه عنه ابن المبارك: يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيطهر بذلك قلوبهم وبطونهم، ويفيض عرقاً من جلودهم مثل ريح المسك. (روح المعاني: ٢٩/١٦٤).

﴿ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

وبعد كل ما مضى من النعيم يتلقى الأبرار تكريم ربهم، وإشادته تعالى بأعمالهم الصالحة، وهذا التكريم يلقى في قلوبهم ما يفوق عظيم نعيمهم، فهو تكريم وإشادة من خالقهم وخالق نعيم جنتهم.

قال المفسرون: أي وكان عملكم مقبولاً مرضياً، جوزيتم عليه أحسن الجزاء، مع الشكر والثناء.. (صفوة التفاسير: ٣/٤٧١).

٦٢- الجنـة في سورة المرسلات

قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة المرسلات: الآيات: ٤١ - ٤٣.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾

إن المتقين من أهل الجنة متمتعون ومستمتعون بظلال الجنة، فظلالها وارفة، ودانية عليهم، وممتدة وندية.. لا فيها حر شمس ولا زمهرير برد، وهي ظلال من نور، لا ظلال من شمس.. فلا شمس في الجنة، إنما نور على نور.

ومما يزيد في متعة وجمال هذه الظلال، ما يتخللها من العيون الجارية، السائحة من بين الأشجار.. فتزيد نسمات هذه العيون الندية نداوة تلك الظلال نداوة، ليلتقي نعيم الظلال مع نداوة المنظر وجماله الخلاب.

وهذا النعيم الذي هم عليه عباد الله المتقون في الجنة من ظلال، مغاير ومعاكس لما هم عليه المجرمون المكذبون من عذاب الجحيم إذ هم في ظل من يحموم - وهو دخان جهنم الأسود - الذي لا يقي حراً ولا يدفع عطشاً، ولا يجد المستظل به مما يشتهيه لراحته سوى شرر النار الهائل. (انظر: صفوة التفاسير: ٣/ ٤٧٩).

﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾

قال المفسرون: فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهوتهم، بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب. (تفسير الجلالين الميسر: ص ٥٨١).

والفاكهة، ما يؤكل للتفكه والتلذذ، سواء أكانت طازجة أم مجففة، لذا فهي تؤكل وكما جرت عادة أهل الدنيا بعد تناول الطعام، ولكنها في الجنة وضعها

مختلف فهي بمثابة الغذاء الرئيسي لا التكميلي لهؤلاء المتقين، وتتناول قبل سائر أنواع الأطعمة وعلى عكس عادة أهل الدنيا، لأن المراد منها زيادة متعة واستمتاع أهل الجنة، وليس لسد أو لدفع حاجة الجوع.. فلا جوع في الجنة، وأجسام أهلها قوية، وأبدانهم صحيحة وسليمة، ولا تحتاج إلى قوت أو تقوت.

وفي تقديم الفاكهة لأهل الجنة ما يشير إلى متعتهم الحسية والروحية، لما تحويه وتأتي به عليهم من التكريم:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴾ سورة الصافات: الآيتان: ٤١ - ٤٢.

وتارة أخرى كرمز لما هم عليه من حال ونعمة الأمن والأمان:

قال تعالى: ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ سورة الدخان: الآية: ٥٥.

فالذي يشعر بالخوف وعدم الأمن، لا يتلذذ بتناول الفكهة، وربما لا يفكر بتناولها أصلاً.

وهي أيضاً تقدم لهم كيفما اشتهتها أنفسهم، فثمراتها كثيرة ومتنوعة، وهي من الثمر الذي عرفوه في الدنيا، ومن ثمر لم يألفوه إلا في الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فأحبوها.. فاشتهتها أنفسهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سورة محمد: الآية: ١٥.

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ ﴾.

وهذا قول ودعاء كريم من رب رحيم لهؤلاء المتقين يغطي على متعتهم الحسية، فيزيد من متعهم الروحية، فيزدادون بهنائه هناءً على هناء ما يأكلون.

وهذا النعيم لكم أيها المتقون جزاءً بما كنتم تعملون من الصالحات في تلك الأيام الخالية.

٦٣- الجنة في سورة النبأ

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾

سورة النبأ: الآيات: ٣١ - ٣٦.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴾

أي أن للمؤمنين الأبرار مكان فوز في الجنة، وهو فوزهم بالحدائق والبساتين الناضرة فيها. (انظر: صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣. تفسير الجلالين الميسر: ٥٨٣).

إن المتقين اليوم في حال هنيء وسعيد، فلقد انتهوا إلى النهاية الهنيئة السعيدة، والمرجوة، بعد رحلة السباق المضنية التي انطلقوا فيها من الحياة الدنيا.. فهم اليوم قد وصلوا بتقواهم وبرهم وطاعتهم لربهم إلى النجاة والفوز.. نجاة من عذاب الجحيم، وفوز بجنات النعيم.. هذا النعيم المتمثل بجنات الحدائق والبساتين الغنية بخضرة ونضرة الأشجار والأزهار الندية، وعناقيد الأعناب التي لم تشهدها البرية.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: عرضت عليّ الجنة فذهبت أتناول منها قطفا أريكموه فحيل بيني وبينه فقال رجل يا رسول الله مثل ما الحبة من العنب قال كأعظم دلو فرت أمك قط. (مسند أبي يعلى: ح١١٤٧/ج٢/٣٨٠).. (أي كأعظم دلوٍ ماء صنعته أمك، حيث كانت النساء هن من يصنعن دلاء الماء والسواقي).

وعن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال ما حوضك الذي تحدث عنه فذكر الحديث إلى أن قال فقال الأعرابي يا رسول الله فيها فاكهة قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى هي تطابق الفردوس فقال أي شجر أرضنا تشبه قال ليس تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام قال لا يا رسول الله.

قال فإنها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها قال فما عظم أهلها قال لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرما قال فيها عنب قال نعم قال فما عظم العنقود منها قال مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثني ولا يفتر قال فما عظم الحبة منه قال هل ذبح أبوك تيسا من غنمه عظيما فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال ادبغي هذا ثم افري لنا منه ذنوبا يروي ماشيتنا قال نعم قال فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي فقال النبي ﷺ وعامة عشيرتك. (الترغيب والترهيب: ح ٥٦٧٤/ج ٤/ص ٢٨٨).

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾

كواعب: الفتيات اللواتي استدارت ثديهن وتكعبت، ولم تتدل.

أتراباً: مستويات في السن، ومتوافيات في الجمال والأنوثة. (انظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص ٢٩٧. كلمات القرآن تفسير وبيان: ص ٣٥٤).

وفي وصف نساء الجنة بهذه الصورة الجمالية الرائعة ما يشير إلى ما يتحقق لأزواجهن المتقين من المتعة الخالصة التي لا يشوبها أي منغص قد يقلل من متعتهم هذه.

وهؤلاء النسوة أيضاً، متحابات، غير متباغضات، لا غيرة فيما بينهن ولا حسد، فجميعهن على صورة واحدة من الأنوثة والجمال.. وهذا ما يلقي في نفوسهم روح السعادة والحياة الزوجية الهانئة، المغمورة بالمودة والهدوء والسكن، علاوة على ما يجده أزواجهن فيهن من الحسن وجمال الأنوثة.

أخرج البخاري، عن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "**لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها**". (صحيح البخاري: ح ٢٧٩٢. صحيح مسلم: ح ١٨٨٠).

وجاء في الحديث أيضاً: "**إن السحابة لتمر بالملأ من أهل الجنة وهم جلوس**

على شرابهم، فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه، حتى إن منهم لمن يقول: أمطرينا كواعب أترابا، فيكون له ذلك". (تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٩).

وفي حديث آخر رواه ابن أبي حاتم عن أبي امامة، عن النبي ﷺ، أنه قال: "**إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم: يا أهل الجنة، ماذا تريدون أن أمطركم؟.. حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب**". (تفسير ابن كثير: ٤/٤٦٦).

ومع صحبة الكواعب الأتراب يطيب الكلام ويستطاب لذيذ طيب الشراب:

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾

وللمتقين أيضاً كأس من الخمر المترعة، الممتلئة والمتتابعة، زيادة لهم في اللذة والمتعة، دون أن يصلوا مع متعتها وتتابعها إلى لغو الكلام وفحشه وكذبه، إنما حالهم معها حال نشوة تتكشف عنها لذة التكريم، والمتعة والألفة القائمة فيما بينهم، فهم في دار السلام والوئام، وطيب الحديث والكلام.

قال القرطبي: المراد بالكأس الخمر كأنه قال: وخمراً ذات دهاق أي مملوءة قد عُصرت وصُفيت. (تفسير القرطبي: ١٩/١٨١).

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾

والله سبحانه وتعالى هو الذي يجزي، وهو الذي يمنّ ويهب ويعطي، وهو من يملك الحساب، وهو الذي أثاب عباده المتقين هذا الجزاء العظيم.. تفضلاً منه، وأحساناً بهم، وبما يوافي ويتوافق مع أعمالهم.

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى ﴿ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ أي جزاء كثيراً، من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي أكثر عليّ حتى قلت: حسبي. (تفسير الجلالين الميسر: ٥٨٣).

٦٤- الجنة في سورة النازعات

قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ سورة النازعات: الآيتان: ٤٠ - ٤١.

أي وأما من خاف عظمة ربه وجلاله، وخاف مقامه بين يدي ربه يوم الحساب، لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد.. وزجر نفسه عن المعاصي والمحارم.. فإن منزله ومصيره هي الجنة دار النعيم، ليس له منزل غيرها. (صفوة التفاسير: ٣/٤٩١).

إن الإنسان التقي الورع هو من يصل به حد الإيمان السوي إلى أن يستحضر مخافة ربه الأعلى عند كل قول له أو فعل.. فيعبد الله كأنه يراه، ولا يقدم على معصية، ولا يرتكب فاحشة فيها غضب ربه وسخطه.. وإذا ما غلبته شهوته بطبيعة ما في فطرته من الخطأ والنسيان فعصى ربه ووقع في معصيته، قاده خوفه من مقام ربه الجبار ليعود ليرتفع بالندم والتوبة والاستغفار، فيبقى في دائرة طاعته ومخافته التي يرتكز عليها في كبح جماح نفسه عن هواها، فينتهي عند كل هوى جاء عليه النهي.

والنفس أمارة بالسوء وتحتاج إلى جهاد، وجهادها يلزمه مجاهدة ودواء، ودواؤها الخوف من مقام ربها الذي تصل معه حد الوداعة، فتكف هوى طغيانها عن غيرها.. وتقيد بواعث شرورها، فلا تسلب ولا تنهب، ولا تتعتى ولا تتعدى فتنتهك الحرمات، ولا تأكل ولا تشرب من غير ما أحل ويسره الله تعالى لها.. فتكثر من عمل الخيرات، وتقبل على أداء الطاعات، وتجد وتثابر عليها، فترتقي عندها إلى مراتب الإنسانية الكريمة السوية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ

وَمَغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال: الآيات: ٢ - ٤.

والإنسان السويّ المكرم هو الإنسان الذي يتبع مناقب وحكمة النهي، فيرتقي ويرتفع معها إلى المرتبة الإنسانية الكريمة التي أرادها الله تعالى له، لا ذلك الإنسان الخفي الذي ينحني أمام دركات الشهوة غير المتزنة، فتهبط به من مرتبته الإنسانية إلى المرتبة الحيوانية التي لا حرية له فيها ولا كرامة.. فتصبح إنسانيته مستعبدة ومزيفة.. ينادي من خلف زيفها بما لا يدركه ويجهله من معاني ومبادئ الحرية الإنسانية.

ولكل إنسان منهما مأوى ونصيب في الحياة الأخرى.

فأما من ارتفع وارتقى.. ﴿ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِىَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾

وأما من هبط ودنا.. ﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِىَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ سورة النازعات: الآيتان: ٣٨ - ٣٩.

أخرج الترمذي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة". (صحيح الترمذي للألباني: ح ١٩٩٣، وصحيح الجامع: ح ٦٢٢٢).

٦٥- الجنة في سورة عبس

قال عز وجل:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ سورة عبس: الآيتان: ٣٨ - ٣٩.

مسفرة: مضيئة، ومشرقة من البهجة والسرور.

مستبشرة: مطمئنة بما تستشعره من رضا الله عنها.

والمعنى أن وجوه السعداء يوم القيامة مضيئة ومشرقة.. مسرورة وضاحكة لما وجدوه من ألوان المتع الحسية والروحية في الجنة. (انظر: معاني القرآن، للفراء: ٢٣٩/٣. جامع البيان، للطبري: م/١٥/٣/٦٢. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢٨٧/٥).

وهنا يبرز نعيم آخر ترتسم منه صورة أخرى لوجوه عباد الله المؤمنين يوم القيامة، علاوة على ما هي عليه وجوههم من النضرة، فهي في هذا اليوم تصور على أنها وجوه مضيئة ومشرقة ومتهللة، وضاحكة مستبشرة، مطمئنة بما رأته من كرامة الله وتكريمه ورضوانه عليها، ومستبشرة بنعيم ما أعده الله تعالى من كرامة وتكريم في هذا اليوم العظيم.

قال تعالى:

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ سورة الإنسان: الآية: ١١.

وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ سورة يونس: الآية: ٢٦.

فقليل هم من يضحكون ويستبشرون مع هول الصاخة التي يخترق صوت نفخها صماخ الأذن، وتتزلزل معها القلوب، وترتجف النفوس، فتنسلخ من روابط

القرب وأواصر القرابة في هذا اليوم العظيم ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ سورة عبس الآيات: ٣٤ - ٣٦.

فلكل امرئ في هذا اليوم شأن، وعمل، فإن ساء عمله وباء.. أغبر وجهه، ورهقته قترة. وأن صلح عمله ورجح.. تهلل وجهة، وأسفر وضحك واستبشر.. وهذه هي الخاتمة المشرقة لوجه كل من تذكر فنفعته الذكرى.. وهذه هي الضحكة لمن جاء يسعى وهو يخشى.. وهذا هو المقام المستبشر لمن تذكر واتعظ وحفظ التذكرة.

٦٦- الجنة في سورة التكوير

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ سورة التكوير: الآيتان: ١٣ - ١٤.

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾

أي قربت لأهلها ليدخلوها. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٨٦).

وهنا تعرض الآية الكريمة الجانب الآخر ليوم القيامة، جانب النعيم الذي يبرز منه الاشتياق والحنين، حيث تزلف الجنة وتقرب حنيناً بعد أن تزينت وتبرجت لمن اشتاقت إليهم واشتاقوا إليها من عباد الله المؤمنين الذين فازوا بوعده تعالى ورضاه.

ورد في الحديث الشريف أن الجنة تقول: "يا رب ائتني بأهلي وبما وعدتني، فقد كثر غرسي وحريري وسندسي وإستبرقي وعبقري ومرجاني وقصبي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وفواكهي وعسلي وثيابي ولبني وخمري، ائتني بما وعدتني". (مجمع الزوائد: ٦٨/١).

فيقربها حنينها من روادها الموعودين بها، فتُبدي لهم سهولة مدخلها، ويسر دخولها، وعظيم زينتها، وكمال قصورها، فهي قريبة ومقربة منهم وبين حدود ناظرهم.

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾

أي علمت كل نفس ما أحضرت من خير ومن شر، وهذه الجملة " علمت نفس" هي جواب ما تقدم من أول السورة. (صفوة التفاسير: ٤٩٩/٣).

واليوم لا شيء مستور، وكل شيء معلوم، فصحف الأعمال قد نشرت وأذيعت، وكل نفس أصبحت تعلم حق العلم ما أحضرت من زاد يومها هذا.. هذا اليوم الهائل الذي لا تملك فيه النفس أن تبدل وتغير شيئاً مما أحضرت من عمل،

أو أن تخفي أو تزين من عملها وتجمله، أو أن تزيد عليه شيئاً أو تقلله.. فوقت الزاد والعمل قد ولى وانقضى.. ولم يتبق لهذه النفس شيء من الدنيا تصلح به شأنها وما باء وفسد من سيئات أعمالها.

واليوم تحضر كل أعمال النفس، صغيرها وكبيرها، جميلها وقبيحها، فتنشر وتقوّم وتوزن.. فيعلم خيرها من شرها.. فإن كانت شراً.. فالجحيم أولى بها، وإن خيراً.. أزلفت الجنة لها.

٦٧- الجنة في سورة الانفطار

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ سورة الانفطار: الآية: ١٣.

الأبرار: هم عباد الله المؤمنون الذين أطاعوه وصدقوا في إيمانهم، وواظبوا على عمل الخيرات، ويقابلهم الفجّار وهم العصاة المتجاوزون لكل حد. ولكل فئة منهم مصير محتوم، ومصير الفجّار ومسارهم إلى جحيم، ومصير الأبرار ومسارهم إلى جنة نعيم.. نعيم بهجة وسرور لا يوصف في رياض الجنة. (صفوة التفاسير: ٣/ ٥٠٤).

وهذه العاقبة المرجوة والمقررة التي ينتهي إليها مطاف عباد الله الأبرار من جنات النعيم.. جنات الخلود والسرور والبهجة.

فالبر هو الطريق المؤدي إلى كل خير.. خير الدنيا، وخير الآخرة.

ومن واظب على أعمال الخير.. لازمته صفة البر.

وصفة البر تتنافر مع إثم وعدوان الفجّار، وتتجاذب وتتعاون مع صفة الكرم والإكرام التي تسمو بها الإنسانية إلى ذلك المقام المقدر والمحبب عند الله تعالى، والتي أمر وحث بها عباده المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ سورة المائدة: الآية: ٢.

فمن أراد حسن المقام، سعى في دروب الأبرار.. ومن أطاع الله، كان باراً، ومن أحسن إلى والديه كان كذلك باراً، ومن عامل الناس بالحسنى وكف أذاه عنهم.. كان باراً، ومن أطعم الطعام، وصلى والناس نيام.. كان باراً، وهكذا حتى يصبح البر من خلقه وصفته الملازمة له، عندها يكتب عند الله أنه من الأبرار، ويدخله معهم في ذاك المقام.

والبر هو حسن الخلق، الذي يهذب النفس، ويقيد نزواتها، ويصدها عن ما

يتردد في كيانها من مطالب الهوى، والمعاصي والآثام، فتبادر إلى محاسن الأعمال، وتبتعد عن رذائلها وفواحشها:

عن النواس بن سمعان، رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله ﷺ: **البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**". (صحيح مسلم: ح ٢٥٥٣/ج٤/ص١٩٨٠).

٦٨- الجنـة في سورة المطففين

وردت الجنة في هذه السورة في الآيات التالية:

أ. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ سورة المطففين: الآيات: ٢٢ - ٢٨.

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾

الأبرار: بخلاف الفجّار، وهم المواظبون على فعل الخيرات.

نعيـم: أي الجنة، ويقابلها الجحيم مصير الفجّار. (انظر: وصف الدور الثلاث من تفسير ابن كثير: ص٣٠٨. تفسير الجلالين الميسر: ص٥٨٨).

إن عباد الله المؤمنين الذين بروا، وصدقوا في إيمانهم، واتقوا ربهم في حياتهم الدنيا، لفي نعيم البهجة والمتعة التي لا توصف.. فهم اليوم يتنعمون بنعيم رياض الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فتنظرهم هناك:

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾

الأرائك: الأسرّة في الحجال: جمع حجلة، وهي بيت يزين بالقباب والأسرة والستور. (كلمات القرآن تفسير وبيان: ص٣٦٢).

فهم يجلسون وبحال من التكريم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور، ينظرون حيث يشاءون، لا يحد نظرهم شيء. فكل شيء في الجنة يخلو من القبح، فهم مكرمون في دار كرامة وتكريم.. وأينما جاء طرفهم ونظرهم وجدوا ما خصهم الله به من ملكهم العظيم. ونظرهم يسمو برؤية وجه ربهم الكريم.. وأكرمهم

من ينظر إلى وجه ربه الكريم في اليوم مرتين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، فيرى أقصاه كما يرى أدناه.. وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى الله عز وجل في كل يوم مرتين**. (الزواجر: ٢/٩٩٦).

﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾

ومن نضرة وحسن الوجوه، يعرف عظيم النعيم والنعمة.

فإذا رأيتهم، عرفتهم... وتيقنت أنهم أهل نعمة.

فنور وبياض النضرة، يفيض من وجوههم وملامحهم.. حتى إنه لم يعد يخفى نورهم على أي راءٍ.

قال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب. (تفسير البغوي: ٤/٤٦١).

وهذا النور هو ما تعكسه صدورهم من أثر الفرح والغبطة والسرور.. وهذا كله نتيجة ما يلقونه من كرامة وتكريم.. فهم ينعمون بنعيم الجنة وكل ما فيها من أنواع الملذات التي لا تنقص ولا تخلص، لذا فإن النضرة باقية على وجوههم ولا تنتهي، والذي يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا يفنى شبابه.. فشبابه دائم، فلا يهرم ولا يشيب.

أخرج مسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، **عن النبي ﷺ، قال: "من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه"**. (صحيح مسلم: ح٢٨٣٦/ج٤/ص ٢١٨١).

ولعل سبب نضرتهم وشبوبيتهم أيضاً من أثر شرابهم المصفى والمختوم:

﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴾

فهم يشربون من رحيق الشراب المصفى، الخالص من كل غش ومن كل شائبة. ولا نعلم نوع هذا الشراب ولا كنهه.. وهل هو من شراب الخمر أو غيره؟ أو هل هو شراب الخمر عينه الذي لا يأخذ من خمر الدنيا إلا المسمّى؟

فهو لم يفصل إلا بحدود ما جاء عليه آي الذكر الحكيم والحديث الشريف.

عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال: "أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة". (تفسير ابن كثير: ج٤/ص٤٨٧).

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾

وهذا الشراب بالإضافة إلى طعمه اللذيذ تظهر منه روح العناية والصيانة من كل عيب وسوء، فهو شراب مختوم، يفض ختمه عند تناوله وشربه. وهذا ما يدخل في نفوس أهل **الجنة** مزية خاصة، فيها الطمأنينة والراحة، من أن أحداً لم يسبقهم إليه، أو أن أحداً قد شرب منه قبلهم، وهذا تشبيه لحال الدنيا فقط، وإلا فشراب الجنة كثير ووفير.. أوله طيب ولذيذ، وختامه المسك والطيب.

قال ابن عباس: طيب الله لهم الخمر، فكأن آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك. (تفسير ابن كثير: ٤/٤٨٧).

وقال الحسن وقتادة: عاقبته مسك. (انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٤٨٧. الدر المنثور: ٨/٤٥١).

وقال ابن جرير، عن أبي الدرداء في قوله تعالى: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها. (التفسير الكبير: ٣١/٩١).

وقال مجاهد: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾. عاقبته مسك، قوم تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك. (تفسير الطبري: ٣٠/١٠٦).

ثم يأتي بعد وصف لذة الشراب، التوجيه إلى كل من يرغب بالتفاخر والتنافس والوصول إلى أصل اللذة والتلذذ والنعيم:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾

فالميدان مفتوح، وغير ممنوع على أحد، فمن رغب في التنافس فليستعد

وليبادر إلى طاعة الله، وليتسابق إلى كل عمل فيه مرضاته.. فالتنافس هنا حر ونزيه، وثمين ونفيس.

قال الطبري: "التنافس مأخوذ من الشيء النفيس الذي يحرص عليه الناس، وتشتهيه وتطلبه نفوسهم. والمعنى، فليستبقوا في طلب هذا النعيم، ولتحرص عليه نفوسهم". (تفسير الطبري: ٣٠ / ٦٨).

﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴾

فهذا الرحيق قد تم مزجه من شراب عين جارية، عالية ورفيعة، وهو من أشرف وأعظم شراب أهل الجنة، واسم هذه العين " التسنيم " وهي:

﴿ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾

فالمقربون من الله تعالى لعظم شأنهم عنده، يشربون صرفاً من هذه العين، بينما عباد الله الأبرار وسائر أهل الجنة يتم مزج شراب هذه العين لهم مع سائر ما أعد لهم الله تعالى من الشراب، وهذا دليل على علو درجة المقربين عند الله تعالى، ورفعة شأنهم عنده.

عن ابن عباس، قال: التسنيم أشرف شراب أهل الجنة، يشربها المقربون صرفا، ويمزج لأصحاب اليمين. (الأحاديث المختارة: ١٠/٣٠٠).

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: "أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ والأخرى الزنجبيل وعينان نضاختان من فوق إحداهما التي ذكر الله سلسبيلا والأخرى التسنيم". (الدر المنثور: ج٨/ص٣٧٥).

ب. قال تعالى:

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾

سورة المطففين: الآيتان: ٣٤-٣٥.

أي ففي هذا اليوم - يوم القيامة - يضحك المؤمنون من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا، جزاءً وفاقاً. (صفوة التفاسير: ٣/٥٠٩).

كثيراً ما قد تأخذ الإنسان في هذه الدنيا فترات الغفلة والسرور... فتنسيه ضحكته ذكر ربه... ولا ندري كم ستطول هذه الضحكة.. ليعاود من جديد ليتذكر فتنفعه الذكرى... وقد لا يكون في الضحكة البريئة مؤاخذة... فهي تخرج من قلب طيب لا تأخذه الغفلة المطوّلة، إنما المؤاخذة والأخذ الشديد لتلك الضحكة المستهزئة التي يتفكه بها المتشدقون من فجار الكفرة والمنافقين وكل من واكبهم فكان من المستهزئين.. ومهما طالت ضحكتهم ومهما علت وبغت، فهي إلى زوال والى ثبور...

فما أبأس من ذاك الذي يتخذ من أصحاب الإيمان والتصديق اليقين ألعوبة، يتفكه بها ليضحك من حوله من أولئك الأشقياء الذين هم على شاكلته، ثم يظن انه بذلك قد وصل إلى ما ظنها الشهرة... وأي شهرة هذه... إنها الشهرة المحقرة المدنسة، والتي ليس لصاحبها إلا أن ينبذن في الحطمة... فتصطليه نار الله الموقدة...ويضحك منه من كان عليه في الأمس يضحك ويستهزئ.

﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾.

فاليوم تبرز الضحكة التي تخرج من صميم القلب... الضحكة التي لا يلام عليها صاحبها ولا يلحقه من ورائها إثم ولا ذنب...

وفي هذا اليوم يضحك من قدّر الله له من أن يضحك أخيراً. فقد طويت صفحات الدنيا وطويت معها ضحكات الكافرين، المستهزئين من عباد الله المؤمنين.

واليوم المؤمنون هم من يملك زمام الأمور، فهم الذين يضحكون من هؤلاء الكافرين، كما كان الكافرون يضحكون منهم في الحياة الدنيا.. وشتان ما بين من يضحك في الدنيا وبين من يضحك في الآخرة.

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾

فهؤلاء المؤمنون وهم في خضم النعيم وعلى السرر مضطجعون ينظرون إلى أولئك الكافرين وهم في عذاب الجحيم يعذبون، فيضحكون منهم ومن سوء حالهم ومآلهم. فتنصب ضحكات المؤمنين على قلوب الكافرين ألماً وحسرةً وندامةً، على

ما كانوا عليه من الكفر والاستهزاء.

قيل: إن المؤمنين يطلعون وهم على أرائكهم على حال الكافرين وفي تلك اللحظة تفتح أبواب النار، فإذا رآها الكافرون مفتحة هرعوا إليها مسرعين يريدون الخروج منها، فإذا ما وصلوا قريباً منها، عادت وأغلقت عليهم، فيضحك منهم المؤمنون. (انظر: تفسير القرطبي: ١٩/٢٦٨).

٦٩- الجنة في سورة البروج

قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ سورة البروج: الآية: ١١.

أي الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح لهم البساتين والحدائق التي تجري من تحت قصورها أنهار الخمر واللبن والعسل. (انظر: صفوة التفاسير: ص٥١٦. تفسير الطبري: ٨٨/٣٠).

إن الإنسان المؤمن بالله، المصدق بكتبه ورسله، ليجد حقيقة الإيمان أينما جاء عليه ناظره من هذا الوجود، فيدرك هذه الحقيقة فيما يراه من موحيات الإيمان... وإن للإيمان موحيات ترتسم معالمها في كل لمحة من لمحات الوجود، وفي كل حركة وهمسة من همسات النفوس، فتخالج القلوب العطشى التقية. فتحيي فيها مشاعر الطاعة والخشوع والخضوع لله تعالى، بارئ هذه النفوس والقلوب وخالق هذا الوجود.

وموحيات الإيمان كثيرة وقوية وثقيلة في ميزان الحقيقة، ودلائلها في الأنفس والأفاق، بحيث لا يصد عنها قلب، إلا من ختم الله على قلبه غشاوة، وران على قلبه ما كان يكسب.

ففي تكوين النفس وإرهاصاتها وميولها... وفي العقل وما يديره... وفي دفقات الدم وضربات القلب... وفي السمع والبصر.. موح وإشارة.

يقول الدكتور عوني أمين المدني - مستشار أول، ورئيس اختصاص قلب - في لقاء خاص لي معه - فيما تكشف للعلم من موحيات في هذا الشأن: القلب هو ذلك العضو العضلي الحيوي الصغير في حجم القبضة يقع وراء عظمة القفص ويتوسط الصدر ولكن يميل إلى الجانب الأيسر قليلاً، ويحوي القلب أربع حجيرات، وعدداً من الصمامات القلبية التي تضمن سريان الدم الوارد من أعضاء

الجسم المختلفة لتدفعه إلى الرئتين لتنقيته عن طريق التنفس، ثم لاستخلاص الأوكسجين من الهواء الذي نستنشقه لتعويض الدم ما فقده من الأوكسجين الذي يعتبر أساسياً للعمليات الحيوية المختلفة، وبعد تشبع الدم بالأوكسجين وتنقيته داخل الرئتين يعود الدم إلى القلب ليتم ضخه إلى مختلف أعضاء الجسم، ويضخ القلب حوالي خمسة ليترات من الدم الغني بالأوكسجين والغذاء كل دقيقة لجميع أعضاء وخلايا الجسم، إلا أن للقلب تغذيته الدموية الخاصة به والتي تأتي عن طريق الشرايين التاجية التي تخرج من الشريان التاجي (الأورطي) والذي يعتبر المنفذ الأساسي لتدفق الدم من البطين الأيسر.

وهناك شريانان تاجيان (أيسر وأيمن) يخرجان فوق الصمام الأورطي مباشرة وينتشر الشريانان وفروعهما فوق سطح القلب الخارجي وتخرج منهما فروع أصغر تنفذ إلى داخل عضلة القلب لتغذيته بالدم النقي المؤكسد.

أما عملية التحكم في عملية انقباض وانبساط هذه المضخة العجيبة فتتم بانتظام عن طريق آلية كهربائية معقدة يمكن تسجيلها عن طريق جهاز تخطيط القلب من فوق سطح جسم الإنسان.

أما الرقم الطبيعي لدقات القلب فتتراوح بين (٦٠-١٠٠) دقة في الدقيقة، أي بمعدل (٧٠) دقة في الدقيقة، أو (٤٢٠٠) دقة في الساعة، أو (١٠٠٨٠٠) دقة في اليوم، أو (٣٧,٠٠٠,٠٠٠) دقة في السنة.

يضخ القلب حوالي (٧٠) ملي ليتر من الدم كل مرة، أو (٥) ليترات كل دقيقة، أو (٣٠٠) ليتر كل ساعة، أو (٧٢٠٠) ليتر كل يوم، أو (٢١٦٠٠٠) ليتر كل شهر، أو (٢٥٩٢٠٠٠) ليتر كل سنة. ويستطيع القلب ضخ حوالي (٣٥) ليتراً كل دقيقة أثناء بذل المجهود العضلي والرياضي.

وقد شكل الله عز وجل هذه العضلة التي لا غنى لنا عنها بحيث تتجدد خلاياها وأنسجتها على مر السنين، ليصبح المرء قادراً على مواجهة متطلبات الحياة في كل الأعمار، فالخمول وعدم الحركة والسمنة وعدم ممارسة الرياضة بالإضافة للتدخين وارتفاع ضغط الدم ومرض السكري والانفعالات العصبية والنفسية من

شأنها أن تحول العضلة إلى مضخة ضعيفة، أو تصيب العضلة بأعصاب تؤثر على وظيفة القلب. لذا فالرياضة والحركة والامتناع عن التدخين وتجنب السمنة ومعالجة الأمراض السابقة الذكر من شأنها تقوية القلب والمحافظة على وظائفه وحيويته. انتهى.

وفيما مضى موح وإشارة.

وفي هذا الكون الجميل... موح وإشارة، ففيه من اللمحات والومضات واللحظات والسبحات ما يستجيش لها القلب وتستكين لأجلها النفس.

وإذا ما سكن الإيمان في القلب وتخلد.. تداعت آثار لمحاته وتجمعت، فتولدت من أثرها موحيات الأعمال الصالحة، فتخرج من عالم السكون الصغير المجهول إلى عوالم الحقيقة في جولات متتابعة كبيرة، عميقة الأثر في نفس من ابتلاه ربه فجار عليه الدهر.. فتداعب النسمات الطيبة الدافئة قلبه وتناجيه، فتخفف عنه وطأته ولوعته.

ومع الإيمان اليقين ولمساته الدافئة، تتقبل الأعمال الصالحة، وتجد عند الله القبول والمغفرة والرحمة والثواب العظيم:

﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾

والنجاة من النار وجحيمها فوز، ودخول جنات تجري من تحتها الأنهار، فوز على فوز، وهذا هو الفوز العظيم الكبير، الذي يطلبه من آمن بالله وعمل الصالحات.

قال المفسرون: والفوز: الظفر بالمطلوب، والكبير: العظيم لا يحيط به الوصف. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٩٠).

٧٠- الجنة في آيات سورة الغاشية

قال تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الغاشية: الآيات: ٨-١٦.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾.

وهنا وصف آخر، ناعم لوجوه أهل الجنة علاوة على أنها وجوه مسفرة، ضاحكة مستبشرة، فهي في هذا اليوم - يوم القيامة - أيضاً وجوه ناعمة، لا يرهقها قتر ولا ذلة، فهي وجوه ذات حسن وبهجة، نتيجة ما يلقونه في الجنة من نعيم وتكريم.. وهذا هو القول الراجح من أقوال المفسرين، لأن النعيم إذا أُغدق على الإنسان فعاش متلذذاً بأنواعه مرتاحاً لما هو فيه انعكس أثر هذا النعيم رونقاً وبهجة وحسن منظر على وجهه حيث يبدو ناعماً مشرقاً نضراً. (انظر: وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٣٨٩).

فأثر النعيم يصدقه الوجه ولا يكذبه، ورغد العيش لا يمكن تجاهله.

فهم في عيش كريم ويغدق عليهم من شتى أنواع الملذات والنعيم، وهذا كله ينعكس على وجوههم فيعطيها رونقاً ونعومةً وحسناً، فتبدو وضاءة وناعمة ومشرقة، وعلى صورة القمر ليلة البدر.

جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **"أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دريّ في السماء إضاءة.... على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء"**. (صحيح البخاري: ح/٣١٤٩/ج٣/١٢١٠).

ونعومة الوجوه لا تقتصر على رغد العيش إنما أيضاً في الراحة النفسية

ومتعها الروحية من خلال الشعور بالرفعة والرضا:

﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾

أي راضية في الآخرة حين أُعطيت الجنة بعملها، أو رضيت بعملها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب، أو لثواب سعيها في الدنيا إذا شاهدوا ذلك الثواب. (انظر: تفسير البغوي: ٤/٤٧٩. الكشاف: ٤/٢٠٦. التفسير الكبير: ٣١/١٥٤. البحر المحيط: ٨/٤٦٣. تفسير أبي السعود: ٩/١٥٠. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: ص٣٩٠).

فأصحاب الوجوه الناعمة اليوم راضون ويحسون الحس الروحي بمزية كل حرف من حروف الرضى... فهم قد رضوا بما قدموا من أعمال بعد أن رأوا رضا الله تعالى عنها، فالسعي واصل، والثواب والرضا حاصل، فهل هناك أجلّ من رضى الله الوهّاب الثوّاب؟ وهل يوجد بعد ثواب الجنة شيء اسمه ثواب؟ وكيف لا يكون هناك رضى وهم:

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾

أي عالية حسّا ومعنى. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٩٢).

فهي جنة عالية بدرجاتها، عالية في ذاتها، مرتفعة عن الكافرين وعن كل رجس ودنس، فهم فيها وبرفعتها في الغرفات آمنون... ولعلوّهم ورفعتهم أثر خاص في أنفسهم وحسهم، فهم يحسون ويدركون نعيم التكريم في هذا المقام الكريم الرفيع:

أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل لتكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك". (الدر المنثور: ج٢/ص٧٠١).

والجنة مع علو شأنها ومكانتها، فإنها أيضاً على درجات متفاوتة فيما بينها من حيث العلو والرفعة والقدر والمنزلة، ويكون المؤمن فيها في الدرجة التي تتناسب مع درجة إيمانه وعمله التي كان عليها في حياته الدنيا.

عن أبي المتوكل الناجي قال قال رسول الله ﷺ: إن الدرجة في الجنة فوق

الدرجة كما بين السماء والأرض وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ما هذا فيقال له هذا نور أخيك فلان فيقول أخي فلان كنا نعمل في الدنيا جميعا وقد فضل عليّ هكذا قال فيقال له إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى. (الزهد لأبن المبارك: ح١٠٠/ج١/ص٣٣).

ورسول الله ﷺ، كان حريصاً على أن تكون أمته من اصحاب الدرجات العُلا في هذه الجنة العالية، لذا فقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر من إرشادهم إلى الطرق التي تؤدي بهم إلى نيل تلك الدرجات العلا من الجنة:

أخرج الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات"؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط". (شعب الإيمان: ٧٠/٣).

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من أراد أن يشرف الله تعالى له البنيان وأن يرفع له الدرجات يوم القيامة فليعف عن من ظلمه وليعط من حرمه وليصل من قطعه وليحلم على من جهل عليه. (تاريخ مدينة دمشق: ج٦١/ص٤٦١).

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: "في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس". (سنن الترمذي: ح ٢٥٣١/ ج ٤/ ص٦٥٧).

وفي العلو والرفعة ترفع عن لغو الكلام:

﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴾

أي: نفس ذات لغو: هذيان من الكلام. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٩٢).

فالجنة كما هي عالية في نزلها ومنزلتها فهي أيضاً عالية بسمو أهلها ورفعة ما تحويه في طياتها، فليس في الجنة فحش أو قول بذيء أو بغي حديث، وليس فيها غش أو دنس أو تلوين حقيقة، وليس فيها بهت أو غيبة، فقلوب أصحاب الجنة

صافية وبريئة.. لا غل فيها، والغل منها منزوع... وهم ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾، يطيب لهم السمر والكلام، بطيب ما في الكلام من طيب وإكرام.

وفي هذا المعنى ما يظهر أن أهل الجنة يعيشون في جو يسوده الأمن والسلام، وروح المحبة والألفة والشعور بالرضا وما فيه من الهدوء والسكون، وهذا يدل على اكتمال سبل العيش الكريم والهانئ الخالي من كل شائبة أو منغص، سواء كبر أم قل وهذا ما يعطيهم المتعة والاستمتاع الكامل والخالص بنعيم الجنة، والسعادة الأبدية الخالدة التي لا تنتهي بزمان، ولا تنحصر بمكان.

والسمر وطيب الكلام قد يكون في الحقول والبساتين وعلى ضفاف الأنهار والعيون الجارية:

﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾

أي: فيها عيون تجري بالماء السلسبيل لا تنقطع أبداً. (صفوة التفاسير: ٣/ ٥٢٥).

والعين الجارية في الجنة ليست واحدة، وهي هنا على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، وذكرها هنا أيضاً بصيغة النكرة دون الإشارة إلى كنهها وسرها، وذلك يطلق حد الوصف والتصور لما هي عليه من صفة الجمال الفريد والأخاذ.

ويكفي هنا أن نتصور جمال إحدى العيون الجارية في هذه الدنيا - مع حفظ المقام بين ما في الجنة وبين ما في الدنيا - وهي تتدفق بالمياه العذبة السائغة للشاربين، والبسط من حولها وعلى ضفافها ممدودة ويعلوها روادها العاشقون للجمال وسحر الطبيعة الخلاب، فترى هذا يلقي بصنارته، وهذا يجدف بقاربه... وذاك قد أشعل منقلة وموقده... وأولئك الفتية قد ابتدأوا اللعبة.. وصوت المياه الرتيب يملأ النفوس جمالا ومتعة.. وعبير الزهور الممزوج بنسمات المياه العذبة يضفي للجلسة نكهة أخرى ورقة.. وكل هذا الجمال وهذا السحر من تلك العين الجارية.. فماذا لو كانت هذه العين متلونة.. مرة من لبن وأخرى من عسل، وثالثة من خمر، ورابعة من زنجبيل، وخامسة إلى أبعد حد.

قال تعالى:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ سورة محمد: الآية: ١٥.

ثم إن في الجنة عيناً تسمى " تسنيم " تنبع من عليين، يشرب منها عباد الله المقربون صرف، وتمزج لسائر أهل الجنة. ولو أن مقدار كأس منها مزجت في بحور الدنيا فشرب أهلها منها لأغنتهم عن الطعام والشراب من طيب طعمها ولذيذ شربها.

أخرج سعيد بن منصور، والبيهقي عن ابن عباس قال: التسنيم، اشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج منه لأصحاب اليمين.

وتلون النعيم يوحي بكرم الضيافة كما يوحي برفعة وارتفاع التقدير:

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾

قال ابن كثير: في الجنة أسرة مرتفعة، مكللة بالزبرجد والياقوت، عليها الحور العين، فإذا أراد وليُّ الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له. (مختصر ابن كثير: ٦٣٣/٣).

وهذا ما يشابه أفعال أهل الدنيا من أصحاب الكرم، فإذا ما حل بهم زائر كريم، فإنهم يختارون له المكان المشرف والمرتفع، واللائق من بيوتهم، ويضعون له الفراش فوق الفراش، والوسادة فوق الوسادة.... زيادة ومتعة له، ويحرصون على راحته كي تطيب له الجلسة وأنسها.

وارتفاع السرر في الجنة فيه رفعة شأن لأهلها، لما في معنى الارتفاع من سمو وتنزيه وطهارة.

وهذه السرر أيضاً مزينة بالحلي، والأنواع الفاخرة النفيسة من الزبرجد والدر والياقوت إضافة إلى أنها مشبكه بالذهب والفضة التي تعلوها فرش بطائنها من

إستبرق، وهذه الفرش جاء وصفها بأنها مرفوعة كما في قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ سورة الواقعة: الآية: ٣٤، وهي بذلك تتناسب مع هذه السرر.

قال ابن عباس: هي سرر ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء. (التفسير الكبير: ١٤٢/٣١).

ومع ارتفاع هذه السرر يستطيع أهل الجنة أن ينظروا إلى أقصى حد من ملكهم ونعيمهم الذي أولاهم الله إياه مما يزيد في متعتهم الحسية والروحية، وهذه المتعة إذا ما أردنا المقاربة، فهي تشبه متعة اصحاب الأملاك والبساتين الواسعة وهم ينظرون إلى جمال، وخضرة، ونضرة، وسعة هذه الأملاك من خلال تلة أو جبل يحاذي ملكهم، وقد تزيد متعتهم أكثر إذا ما نظروا إليها من خلال الطائرة.

ولما تعددت درجات الجنة من حيث السعة والرفعة والارتفاع، تعددت سعة ورفعة وارتفاع هذه السرر فظهرت كأنها سرر بعضها فوق بعض.

ومع ارتفاع السرر تظهر متعة أخرى لها مزية خاصة، فهذه السرر تتواضع وتدنو من صاحبها إذا ما أراد الجلوس أو الاتكاء عليها، وبخلاف المصعد الكهربائي المعروف في الدنيا.

ثم يمضي النعيم خطوة أبعد لنجد أن كل شيء في الجنة معدود وموضوع ومهيأ بما يأتي عليه الذوق والحس:

﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

الأكواب: آنية الشراب، أو الأقداح.

نمارق: وسائد ومرافق يتكأ عليها ومفردها نمرقة.

زرابي: البسط الفاخرة العريضة، وتشمل ما يعرف بالسجاجيد. (انظر: معاني القرآن، للفراء: ٢٥٨/٣. كلمات القرآن تفسير وبيان: ص٣٦٨).

وأكواب الشراب معدة ومملوءة، يشربون منها كيفما شاءوا، فهي كثيرة ومتوفرة وموضوعة في كل مكان، على ضفاف الأنهار المتنوعة، والعيون الجارية وبين أيدي الغلمان، ويطاف بها عليهم، وفي الأباريق التي تأتي إليهم دون أن يكدوا

في الوصول إليها...

أخرج ابن أبي الدنيا بسند جيد، عن أبي أمامة، قال:

إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق، فيقع في يده، فيشرب، ثم يعود إلى مكانه. (الترغيب والترهيب: ح٥٦٨٤/ج٤/ص ٢٩٠).

ولا عجب في ذلك، فهم يعيشون في هناء ورغد العيش وحياتهم تسير بهم كما يشتهون، وكلها يسر وسهولة، ورتابة وجمال.

والجمال أيضاً يجدونه في النمارق المصفوفة الواحدة تلو الأخرى في صفوف ناعمة.. نعومة مشهد واتكأ. وليس هذا فحسب بل إن نعومة المشهد تطول وتمتد لتشمل نعومة وجمال الزرابي المبثوثة المتناثرة، والمنشورة أمام كل صف من صفوف النمارق الناعمة.

وإذا ما اجتمعت النمارق وجمال صفوفها والزرابي وأناقة بثها، طاب الجلوس والاتكاء لأهل الجنة عليها، فيطيب لهم طيب الشراب والحديث، فيتسامرون وهم متكئون دون أن يحذوهم ملل أو يساورهم كلل.

ثم إن جمال النعيم لا يأتي عليه الحس فيدركه الوصف إلا بحدود ما يأتي عليه حس ووصف أهل الدنيا الذي لا يغادر حسهم ووصفهم له حدود هذه السماء وهذه الأرض.

وأخيراً.. فإن هذا الإحساس لا يدركه إلا أهل الجنة الذين هم في خضم الجمال والنعيم، لأنهم هم أصحاب المدارك والأحاسيس التي تستوعب لذة الجمال والنعيم، ولذة الإكرام والتكريم.

٧١- الجنة في سورة الفجر

قال تعالى:

﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ سورة الفجر: الآيتان: ٢٩-٣٠.

قال المفسرون: هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، فيقال للنفس المؤمنة عند الاحتضار تلك المقالة: أي فادخلي في زمرة عبادي الصالحين في جنتي دار الأبرار. (صفوة التفاسير: ٣/٥٣٢).

إن هذا الإنسان ومنذ اللحظة الأولى التي يتكون فيها فيكون شيئا مذكوراً، وبعد أن تنفخ فيه الروح، تصبح نفسه أسيرة ومرهونة لما قد كتب الله تعالى لها وقدر من العيش قبل أن يوافيها ويأتي عليها الأجل.

ثم تمر عليها اللحظات، وتسير بها الشهور والسنون، وقد تمتد بها إلى أبعد حد فتصل إلى أرذل العمر.

وإذا ما جاء عليها الأجل، وحانت ساعة الرحيل والفراق، فإن أجلها لا يستأخر ساعة، ولا يستقدم.

قال تعالى:

﴿ ... إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ سورة يونس: الآية: ٤٩.

وهذا شيء حق وواقع، ولا شك من أنه آت وواقع.. ولا عجب منه، ولكن العجب يكمن في دفء ورقة ذاك الخطاب اللطيف لهذه النفس الإنسانية المؤمنة، المطمئنة، والآمنة.. المطمئنة بذكر ربها، الآمنة من هول وعذاب بارئها، لما كانت عليه من الإيمان اليقين بالله تعالى، والتصديق بوعده وحسن ثوابه لها.

فيتنزل عليها خطاب الملأ الأعلى بالأمن والطمأنينة، وروح البشارة وهي في لحظات عمرها الأخيرة من هذه الدنيا، فيداعب روحها ويناغيها بوداده تهدأ وتلطف من لوعة فراقها لأحبتها... فيبشرها بما هو خير لها وأبقى.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ سورة الفجر: الآيات: ٢٧-٣٠.

ويا لها من بشارة عظيمة وكريمة لهذه النفس التقية وهي ترجع وتتقرب من خالقها، فتدخل في زمرة عباده الصالحين.. فتسير خطاها لتواكب خطاهم فتدخل معها جنة ربها التي أعدها لها إكراماً وثواباً منه تعالى لما كانت عليه من تقوى وإيمان وصدق وتصديق.

٧٢- الجنة في سورة البينة

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ سورة البينة: الآيتان: ٧ - ٨.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾.

أي: إن المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، هم خير الخليقة التي خلقها الله وبرأها. (صفوة التفاسير: ٣/٥٦١).

وهذه هي الشهادة التي لا تعدلها شهادة، والحكم الذي لا يجاريه ولا يساوره حكم، فهي شهادة وحكم من رب البرية... ورب هذه الخليقة... أساسها الإيمان اليقين المستقر في القلب والمنبثق عنه صور الأعمال الصالحة التي تطول ما تطوله من خير وصلاح لهذه البرية.

والأعمال الصالحة لا تجد القبول ولا تثقل الميزان - ميزان الأعمال - إلا من خلال ما يتبع الإيمان من استقامة تستقيم معها النية، فتخلص نية هذه الأعمال لله تعالى وتكون خالصة لوجهه الكريم.

وهذه النية هي التي تميز أعمال المؤمنين الصالحة عن أعمال الكافرين الصالحة التي لا يريد من ورائها الكافرون ألا المنفعة الدنيوية التي لا تخرج عن أُطر تحقيق الشهرة، والكسب والمجد الزائف، وهذا ما يجعل أعمال الكافرين تصطدم في كل مرة بالثبور وعدم القبول من الله تعالى، وما جزاء الكفر والتكذيب وعدم التصديق لهؤلاء الكافرين إلا أن يمحق الله تعالى أعمالهم فيكونوا بذلك هم شر البرية.

بينما أعمال المؤمنين، فنيتها لله تعالى وجزاؤها وأجرُها عليه، وهي تثقل عنده

الميزان، وتجد القبول وحسن الأجر والثواب.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر اليه". (صحيح البخاري: ح/١، صحيح مسلم: ح/١٩٠٧).

لذا فإن المؤمنين بإيمانهم وأعمالهم هم خير البرية، وما جزاء من هم خير البرية عند ربهم:

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾

أي: ثوابهم في الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة جنات إقامة تجري من تحت قصورها أنهار الجنة. (صفوة التفاسير: ٥٦١/٣).

والجزاء هنا لهم من ربهم، وما دام أن هذا الجزاء، جزاء خير البرية قد وقع أجره على رب البرية وليس على أحد من العالمين، فهو جزاء عظيم، وعطاء كريم، لا يماثله جزاء ولا عطاء من عطاء أهل الدنيا، وهو هنا لخير البرية بلا حدود ولا قيود، وبدون وجود أي منغص قد يقلل من تمتعهم به، فلا حد ولا قيد ولا منغص في جنات عدن، جنات الإقامة الدائمة ذات البساتين النضرة، والظلال الوارفة، والأنهار الجارية السائحة بين بساتينهم وجنان غرفهم وقصورهم.

فلهم أن يشربوا من لذيذ شرابها المختلف ألوانه، فإذا ما شربوا من ثاني ألوان شرابها، وجدوه أطيب من شراب أولها، ورابعها ألذ من شراب ثالثها.. وإذا ما عادوا إلى أولها، وجدوه أطيب من سائرها... فلذة الشراب تأتي في كل مرة أطيب من سابقتها حتى وان كان من نفس اللون والصنف. فكيف لو تنوعت اللذة مع تنوع كل صنف من أصنافها الكثيرة، فالأنهار متعددة، وشرابها متعدد ووفير.. فهذا نهر شرابه ماء غير آسن، وهذا من لبن لم يتغير طعمه، وذاك لذته وطعمه مختلف فهو نهر لذة للشاربين، ورابعها أنهار من عسل مصفى لا تشوبه شائبة.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ

وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ سورة محمد: الآية: ١٥.

ومما يزيد الجزاء لذة، والجلسة نكهة، انه جزاء دائم، ونكهته باقية:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾

أي: ماكثين فيها أبداً لا يموتون ولا يخرجون منها، وهم في نعيم دائم لا ينقطع. (صفوة التفاسير: ٥٦١/٣).

والخلود في الجنة هو خلود مزدوج، فهناك خلود لأهلها وخلود لنعيمها، فلو أن أهل الجنة عرفوا حداً لنعيمهم فيها لحزنوا ولم يطيب لهم التمتع فيها، ولو أنهم شكوا بنفاد نعيمهم لحزنوا أيضاً ولم يتمتعوا ويستمتعوا به.

عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: "لو قِيلَ لأَهْلِ النَّارِ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ فِي النَّارِ عَدَدَ كل حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا لَفَرِحُوا بها وَلَوْ قِيلَ لأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ فِي الْجَنَّةِ عَدَدَ كل حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا لَحَزِنُوا وَلَكِنْ جُعِلَ لَهُمُ الأَبَدُ". (المعجم الكبير: ح١٠٣٨٤/ج١٧٩/١٠).

ثم إن أهل الجنة كلما مكثوا فيها طاب لهم المكوث دون أن يكّلوا منه أو يتحولوا عنه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ الكهف: الآيتان: ١٠٧-١٠٨.

والخلود في الجنة فيه رضا.

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾

أي: قبل الله أعمالهم وأكرمهم بفضله. ورضوا عنه، ففرحوا واطمأنوا وسعدوا بما تفضل عليهم. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٩٩).

وهذا الرضى لهم من ربهم على ما كانوا عليه من عمل، هو رقي ودرجة

عالية رفيعة، وندية، تفوق كل ما في الجنة من نعيم.

عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال قال رسول اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فيقول هل رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وما لنا لَا نَرْضَى وقد أَعْطَيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خَلْقِكَ فيقول أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذلك قالوا يا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلك فيقول أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا". (صحيح البخاري: ح ٦١٨٣/ج٥/ص٢٣٩٨).

فيزيدهم رضا ربهم عليهم نعيما فوق نعيمهم ورضا في نفوسهم أكبر مما فيها من الرضى... والرضا المتبادل بهذه الصلة يعجز الفكر عن إدراكه، فلا يجد القلم شيئا ليخطه.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾

أي: خاف عقابه، فانتهى عن معصيته. (تفسير الجلالين الميسر: ص٥٩٩).

وذلك الجزاء كله لمن خشي ربه واستحضر مقامه وجلاله عند كل عمل وعند كل لفظ وقول، ولا يكون ذلك إلا من خلال الاستقامة والإيمان اليقين.

ثم إن خشية الله تعالى هي سبب كل نجاح وصلاح وفلاح في الدنيا والآخرة، فمن خشي الله، أطاعه ولم يخالف أوامره، ولم ينتهك حرماته، ومن خشي الله أخلص له في العبادة وخشع في صلاته، واجتهد في مناجاته، وأكثر من دعائه، وطلب النجاة من عذابه، والفوز برضاه وبنعيم جناته.

الخاتمة

وبعد:

فإني لا أملك سوى التوجه إلى الله تعالى بالحمد والثناء أن منّ عليّ وهداني وألهمني إلى إنجاز هذا المؤلف الذي عشت معه أجمل لحظات حياتي مع كل كلمة فيه، حتى شعرت بحلاوة ونداوة جنات رب العالمين، التي نسأل الله تعالى أن يدخلنا إياها ولا يحرمنا من عيشها الرغيد الكريم المتوّج برؤية وجه ربها.. رب العالمين ورب العرش العظيم، لنا ولسائر أمة الإسلام والمسلمين.. راجياً من الله تعالى أن ينتفع به كل من آمن، واستقام على الدرب واهتدى، وسعى سعي الجنة، وأمن ثمنها وهو ما زال في الحياة الدنيا، ألا واعلموا أن سلعة الله غالية، وتحتاج منا إلى بذل كل جهد، وإيمان يقين، وعمل صالح مكين، وصبر جميل، ومواظبة على الطاعات، والابتعاد عن سبل الشهوات، والاتقاء والحذر عند الشبهات...

ولا أجد خير ما تكون عليه الخاتمة خير مما ابتدأت به كتابي من آي الذكر الحكيم، وهدي حديث سيد المرسلين محمد ﷺ:

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة التحريم: الآية: ٨.

وقال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ سورة ال عمران: الآية: ١٣٣.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: قال الله تعالى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقرؤوا إن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ (صحيح البخاري: ح ٣٠٧٢. صحيح مسلم: ح ٢٨٢٤).

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ لأَصْحَابِهِ: أَلا هَلْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ. (صحيح ابن حبان، باب وصف الجنة وأهلها: ح ٧٣٨١/ ج ١٦/ص ٣٨٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

١. الأحاديث المختارة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

٢. إحياء علوم الدين، تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، دار النشر: دار االمعرفة - بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي.. دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٤. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية.

٥. تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

٧. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

٨. تفسير ابن أبي حاتم تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٩. تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.

١٠. تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١١. تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل.

١٢. تفسير البغوي، تأليف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.

١٣. تفسير البيضاوي، تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.

١٤. تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

١٥. تفسير الجلالين الميسر، للإمامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، حققه وعلق عليه د. فخر الدين قباوة، مكتبة دار لبنان ناشرون، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣.

١٦. تفسير الصنعاني تفسير القرآن، تأليف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.

١٧. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.

١٨. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

١٩. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

٢٠. تفسير النسفي، تأليف: النسفي، المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢١. تفسير حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، دار صادر.

٢٢. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.

٢٣. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٢٤. الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٢٥. الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي، الاصدار الثاني: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٢٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٧. حياة أهل الجنة، تأليف محمود شلبي، دار الجيل، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٨. ذخيرة الحفاظ، تأليف: محمد بن طاهر المقدسي، دار النشر: دار السلف - الرياض - ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي.

٢٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٠. زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الثالثة.

٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الرابعة عشرة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

٣٢. الزهد، تأليف: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبي عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٣٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر، تأليف: ابن حجر الهيثمي، دار النشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا - بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: تم التحقيق والاعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

٣٤. سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٣٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبي القاسم، دار النشر: دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.

٣٦. شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٣٧. الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

٣٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٣٩. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٠. صفة الجنة، تأليف: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني أبي نعيم، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي رضا عبد الله.

٤١. صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم، تأليف محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٣. في ظلال القرآن الكريم، تأليف سيد قطب، دار الشروق، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٤٤. القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٥. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٤٧. كلمات القرآن تفسير وبيان، فضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف، مكتبة دار حراء.

٤٨. لا تحزن، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة التاسعة عشرة: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٤٩. الدر المنثور، تأليف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣.

٥٠. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

٥١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧.

٥٢. مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.

٥٣. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تأليف: أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دار النشر: دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥٤. المستدرك على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٥٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر.

٥٦. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن أحمد حكمي، دار النشر: دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ - ١٩٩٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: عمر بن محمود أبي عمر.

٥٧. معاني القرآن الكريم، تأليف: النحاس، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد علي الصابوني.

٥٨. المعجم الأوسط، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار النشر: دار الحرمين - القاهرة - ١٤١٥، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٥٩. المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٦٠. الموسوعة القرآنية الجنة في القرآن الكريم، محمد كامل حسن المحامي، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان: ١٩٨٨.

٦١. الموضوعات، تأليف: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: توفيق حمدان.

٦٢. نزهة المتقين، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام الحافظ الفقيه أبي زكريا محيي الدين يحيى النووي، تأليف د. مصطفى سعيد الخن، د. مصطفى ديب البغا، محيي الدين مستو، علي الشربجي، محمد امين لطفي، دار المصطفى - دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٦٣. وصف الجنة في القرآن الكريم وأثره في الشعر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، د. شادية حسن عبد الرحمن زيني، مكتبة دار القاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤.

٦٤. وصف الدور الثلاث من تفسير ابن كثير، جمع وترتيب أبي ذر القلموني، مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

فهرس المحتويات

PARADISE IN THE HOLY QUR'AN

by

Bakr Abdul Hafiz al-Khlayfat

Introduction by

Dr. Hani Khalil Abed

